

محمد حسين يونس

# خطوات على الأرض المحبوسة



دار المستقبل العربي

٢٠٠ قرشاً

محمد حسين يونس

---

# خطوات على الأرض المكبوسة



دار المستقبل العربي

AMF 01472

صمم الغلاف : سعد عبد الوهاب

---

دار المستقبل العربي  
٤١ شارع بيروت ، مصر الجديدة  
ت / ٦٦٥٩٠٠ القاهرة  
جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى ١٩٨٣

## **أهـداء**

الى الرجل الذى علمنى كيف أتكلّم وكيف أمشى وكيف  
أكتب وكيف أكون شريفاً •  
الى والذى الذى هجر سريرته ونام على الأرض طول فترة  
نومى على الأرض فى الأسر •

**محمد حسين يونس**

## مقدمة

بقلم : محسن الخياط

هذا الكتاب .. وهذا المؤلف

الكتاب الذى بين ايدينا يقدمه مهندس شاب عاش بين صفوف القوات المسلحة المصرية وشارك في حرب الايام الستة التى عرفت بايام النكسة .. وهو يقدم من خلال رؤيته الخاصة ومشاركته الفعلية في الحرب الكثير مما يراه السبب في الكارثة التى حلت بالجيش المصرى آنذاك .. ويتعرض بقلب الوطنى الغيور على مصير شعبه وامته ، لكثير من السلبيات التى شابته حرب ٦٧ مستهدفا التبصير بمستقبل افضل للانسان المصرى والعربى على ضوء تخطى السلبيات وتجنب الوقوع فيها ..

واذا كان من سلبيات المعركة عدم التدريب الكافى للقوات المسلحة ونقص المعدات الحربية والزج بالاحتياطى غير المحرب في المعركة والخلل الذى اصاب القيادة العسكرية نفسها .. فان ذلك لا يعنى بالضرورة ان حروب اكتوبر كانت التصحيح لهذا الوضع الذى كانت عليه القوات المسلحة فتصحيح الأوضاع في القوات المسلحة قد بدأ مباشرة بعد النكسة واتخذت المعركة في الثلاث سنوات التالية للنكسة طابع الصمود ثم الاستنزاف الذى جاء نتيجة مباشرة لتدريبات مكنته على القتال وعلى عبور القنال بل وتم في تلك الفترة تدمير اجزاء كبيرة من خط بارليف .. ومن هنا فان معارك الاستنزاف والتدريبات الشاقة هي التى فتحت الطريق امام القوات المسلحة لعبور القناة وانهاء خط بارليف ..

وقد نتفق جميعا مع المؤلف في أن غيبة الديمقراطية وحرية الرأى قد يكون لهما اثر مباشر في مسار المعارك الوطنية .. ولكن الذى حدث ان حرب اكتوبر وعبور القناة قد تم أيضا في غيبة الديمقراطية ..

وفي غيبة الديمقراطية أيضا فقدت حرب أكتوبر الكثير من ايجابياتها فقد اثبتت الحرب مقدرة المقاتل المصرى العربى على القتال والصمود واكدت امكانية التحرك من موقع التفوق والقوة ولكن الذى حدث ترك خلفه من السلبيات ما نعانى من خطورته سواء في « طابا » او في غزو لبنان البربرى الذى وضع الأمة العربية في وضع لا تحسد عليه لقد وضعت هزيمة ٦٧ الشعب المصرى في موقف الصمود وانتصدي بينما لم يحقق انتصار أكتوبر في غيبة الديمقراطية سوى النتائج التى وصلت اليها المفاوضات والتى كان اكثرها بروزا اقدام اسرائيل على تحقيق أطماعها- التوسعية بقوة السلاح . . . متجاهلة كل دعاويها للسلام .

وكل ما تم بعد عام ١٩٧٣ ثم في غيبة كاملة للديمقراطية بالرغم من وجود المفابر وتحولها الى أحزاب فيما بعد . . .

فالديمقراطية الليبرالية لا تقوم بقرارات فوقية . . . ولكنها حق طبيعى لكل الطبقات التى لها الحق في تشكيل أحزابها والتعبير عن رأيها . . . حق يكفله دستور ليس من صنع فرد أو أفراد ولكنه من صنع الشعب الممثل في جمعية تأسيسية منتخبه من أجل وضع دستور يقنن مكتسبات الشعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وعلى أى حال ، فالمؤلف - شأنه شأن أى مقاتل في صفوف القوات المسلحة - قد صدمته حقيقة النكسة . . . وهو يسرد الأحداث كما رآها بعيني رأسه ، وهو لا يفقد الأمل في المقاتل الفرد حين يلتقى بأحد الأبطال الذين فجروا مستودعات للذخيرة في الأرض المحتلة - حتى يرى مع مستقبل الأيام كيف تمكن الجندى المصرى الشجاع من اقتحام القناة في عام ١٩٧٣ ورفع علم مصر على أرض سيناء المحتلة .

وهو نفسه . . . ذلك الجندى الواعى الذى يفوق من السلسلة المؤقت ليواجه بشجاعة مأساته ورفاقه في معتقل « عتليت » الاسرائيلى . . . حيث يتمكن جميع الأسرى من تنظيم صفوفهم في النهاية في مواجهة العدو المنتصر المتعجرف .

ولعل أخطر ما يتعرض له المؤلف في كتابه هو الفصل الذى يتحدث فيه عن الاستلاب الفكرى الذى مارسه قوى الغزو الاسرائيلى على أسرائنا

في معتقل « عتليت » فقد استفاد الإسرائيليون الوافدون في كافة أنحاء العالم ٠٠ استفادوا من خبرات كل المعتقلات الفاشية والنازية ٠٠ وبعد دراسة لتلك الخبرات ٠٠ توصلوا الى أن التعذيب البدني والتعذيب بالابادة الشاملة - ليس وحده كافيا لاستخراج الاسير الى الاعتراف او الادلاء بمعلومات هامة - ليس وحده كافيا لتحويل الاسرى أو بعضا منهم الى عملاء لهم في وطنهم - أدركوا أن الاساليب الأكثر ايجابية هي تفريغ المعتقل العربي من كل المثل والقيم التي عاش لها وآمن بها - وفقويض كل ما آمن به من مسلمات عن الوطن والدفاع عن النفس والحرية والديمقراطية .

ويدرك القارئ أحداث معتقل « عتليت » انهم كانوا بارعين في بخر عدم النعم في نفس الانسان العربي ، وتشكيكه في كل شيء ٠٠ في قيادته ٠٠ في انتمائه القومي ٠٠ وتجميل وجه العدوان الاسرائيلي الذي يديره الدفاع عن النفس وليس طريد شعب بأكمله من وطنه ٠٠ فهم يمدونهم بكل ما يزرع فيهم عدم الثقة في كل شيء ٠٠ مستغلين في ذلك المجالات والكتيبات والشائعات المخنفة المتقنة الصنع ٠٠ وهم يصطحبون أسراهم بعد فترات ترويض وتخويف نسبية ، في رحلات استكشافية لحياة الانسان الاسرائيلي - ايهاما للاسرى بحضارة مزيفة ٠٠ ومعانى للتحضر والديمقراطية ٠٠ لا يمتلك مفاتيحها في النطقه سوى « شعب الله المختار » .

ولكنهم في بعض المواقف ٠٠ يحدث ما يكشف عورتهم ٠٠ فيحسبون بانهم قد أخطأوا الطريق - فيغيرون من اساليبهم ٠٠ ويغيرون أيضا خرائط الرحلات المعدة سلفا -

ويفصح للكتاب من خلال رؤية صديقنا الراوى خرافة الكيبوتزات الاسرائيلية التي اتخذت مظهرها اشتراكيا ٠٠ ولكنها وضعت أفرادها في وضع لا يمكنهم الفكك من الأرض والا ماتوا جميعا هاليكن - وبهذا يصبحون أداة طيعة في يد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية - يشاركون بالأمر وتحت واقع الارتباط الاجبارى بالأرض في تحقيق الأطماع الصهيونية في التوسع واحتلال ارض الغير بالقوة - وقد كشفت أحداث لبنان الأساوية الاخيرة والغزو الاسرائيلي للبربرى لها ٠٠ أن كلمات الدفاع عن النفس التي طالما تحدثوا بها لأسرى ٦٧ لم تكن سوى بعض فقائيع الهواء في زجاج مياه غازية ٠٠

ويطرح المؤلف في روايته لأحداث حرب ٦٧ قضية التحدى الحضارى - تلك القضية التي همس له بها أحد الأصقاع العرب بالناصره - فالتحضر الاسرائيلي المستورد - لا يمكن مواجهته بحضارة أخرى مستوردة - حضارة لم تستنبت في واقعنا ٠٠ ولكن من الممكن مواجهتها بحضارة أمة تمتد جنورها

الى تاريخها ٠٠ حضارة تنمو في جو طبيعي - تضع الانسان العربي في مقدمة الشعوب المتحضرة ٠٠ تدرك اسباب تخلفه من فقر وجهل وامية وقدرية وتدفع به الى الامام الى مستقبل افضل ، يقف بتحد في المواجهة للتحضر الاسرائيلي المزيف ٠٠

ان المؤلف وهو بحق ابن جيل عاش فترة الصراعات الوطنية ، ضد قوى الاستعمار الامبريالية ٠٠ عاش نورة ٢٣ يوليو ومجانية التعليم ، وخروج الانجليز من مصر ونأميم القناة - وبناء مئات المصانع ٠٠ وارتفاع السد العالي وعاش القومية العربية حركة عدم الانحياز - عمل في جيش مصر - وعاش يحلم ببناء وطن متحضر يتطور فيه المد الثقافي والفكري الذي عاش في الستينيات من خلال الكتاب والفيلم والرواية والمهرجانية والأغنية ٠٠ هو نفسه الذي عاش انتكاسات الثورة وظهرته أحيانا السلبية والخوف .

أن كتاب « خطوات على الأرض المحبوسة » الذي تقدم على نشره دار المستقبل العربي بالرغم من مرور ١٥ عاما على أحداث ٦٧ يضع الشعب المصري أمام مسؤولياته الحقيقية - فأحداث ٦٧ وما أصاب الأمة العربية بسببها كانت نذيرا بالخطر الذي يتهدد المنطقة بأكملها ٠٠ كما أن نتائج حرب ٧٣ لم تنجح في ازالة هذا الخطر ٠٠ فالغزو الاسرائيلي للبنان اكد استمرار الخطر وبشاعته ٠٠ ولا مفر من اعادة صياغة المجتمع العربي بأكمله ٠٠ وهي مهمة ملقاة على عاتق الشعب العربي كله ٠٠ بحيث يمسك المجتمع العربي بأسباب التحضر الحقيقي بأوسع معانيه التي تتمثل في رفع المعاناة وحرر الفقر والامية والقضاء على السلبية والقدرية ٠٠ مجتمع يخطو بخطى ثابتة نحو آفاق تشيع فيها روح الديمقراطية وتصبح فيها وسيلة للتطور وليست غاية في حد ذاتها ٠٠ حتى يمكن لهذه الأمة بأصالتها وتاريخها وروحها المتحضرة من الوقوف في وجه الخطر الزاحف عليها ٠٠

اخيرا ، لا يفوتني أن أنوه أن هذا العمل التسجيلي الروائي قد كتب باحساس شاعر وروح فنان عاش لحظة حرجة في تاريخ الشعب المصري ٠٠ وهو أحيانا لفرط حساسيته يسخر من نفسه يعربها ويصلبها ٠٠ ويلفحها بالكرباج - حتى تبدو لمعنييه الحقيقة المختفية تحت جلده ٠٠

انها لحظة صدق قد نقتق أو نختلف في تفسير بعض ظواهرها ولكنها في النهاية حرية الرأي وحرية التعبير بما ينير الطريق الى المستقبل .

محسن الخياط

١٩٨٢/١٢/٢٠



# الفصل الأول

٥ يونيو ١٩٦٧

الفرق بين الانسان والحيوان .. أن الانسان حيوان قادر على التجريد  
أي يمكنه أن يحول الرموز الى كائنات .. تولد وتنمو وتمرض وتموت  
في بعض الأحيان سنذكر وكلما كان لدى الانسان القدرة على التجريد كلما  
أصبح أكثر انسانية .. وصديقنا الذي سنتكلم عنه كانت لديه قدرات  
فائقة على التجريد وكانت الكلمات لديه تحمل مذاقا ورائحة ولونا وشكلا  
ترتبط بعلاقات مركبة شديدة التعقيد .. قد يكون لدراسته أثر في ذلك فهو  
مهندس معماري يبني القصور في مخيلته ثم يضعها رموزا على الورق  
ثم يراها تنمو وتكمل بالخرسانة والحديد والطوب والزجاج وقد تكون الأحداث  
التي مر بها قد صقلته فجعلته أكثر انسانية وأكثر تفاعلا مع الأحداث ..

في صباح هذا اليوم وكان يوم اتمام استرجاع سيناء .. ورفع  
أعلام مصر على مدنها الرئيسية عندما قلت له « صباح سيناء » امتلأت  
عيناه بالدموع وسألني وما هي سيناء بالنسبة لك ؟ ثم اكمل - مساحة  
من الأرض الصحراوية يفصلها عن الوادي خليج وقناة السويس وفي احسن  
الاحوال مصدر لعديد من المواد الخام !!

كنت أعرف أنه مر بظروف صعبة خلال حرب ٦٧ عندما فقدناها ذقن  
اسر في ذلك الوقت وأغلب الظن أن تجربة الاسر هذه أثرت في تكوينه النفسي  
والعقلي والاجتماعي فقد كنت أعرفه من زمن أبعد من ذلك اليوم الذي  
جلس فيه معي يتكلم عن أسباب هزيمة ٥ يونيو .. وشعرت بالتعاطف  
معه عندما قال أن الهزيمة ليست هزيمة جيش وانما  
هزيمة مجتمع .. وتقابلنا بعد ذلك كثيرا ودارت بيننا حوارات عديدة ..

اكمل : يا صديقي هل نمت يوما تحت ظلال النخيل على شاطئ ذى  
رمل أبيض ناعم وأمامك بحر ذو زرقة شديدة هادئة .. ويتجول حولك  
أسراب من الماعز التى قرعى فى سلام .. ان لم تفعل فأنت لا تعرف سيفاء ..

هل قدغنت فى يوم بحبل صغير فى نهايته شص لبحر كثير المطاء ..  
فمنحك أغلى ما عنده من أسماك .. هل شاهدت الفجر من خلال أشجار  
النخيل أو من خلف جبل وأنت تنحرك على الطريق .. هل جلست فى يوم  
تشاهد الشمس وهى تستقط فى البحر وتترك خلفها غلالات صفراء تكسو  
الافق .. هل عاشرت بشرا يسهزون طول الليل حولك يعرسلونك لاتك  
تهذى من الحمى حتى تشفى .. هل عطشت حتى الموت ثم اندفع الى حلقك  
سرسوب من اللبن الدافى من ثدى غزوة وهبت لك الحياة .. هل شمتت  
رائحة زهور البرتقال تلفك من كل جانب .. هذه هى سيناء .. هل حلمت  
بالمستقبل وبغيت المدارس والوحدات الصحية والاجتماعية المتناثرة على  
مسافات لا تقل عن المائة كيلو بين الواحدة والاخرى وشاهدت الاطفال  
والنساء وهن يملأنها ..

هذه هى سيناء بالنسبة لى .. ثم صمت قليلا وتابع كلامه فى حزن ..  
يا عزيزى - سيناء كانت مريضة .. لقد تركناها وهربنا .. نحبسوها  
عنا ونحبسونا عنها .. وداسوها بالآقدام .. وعرضوها فى المعارض والمتاحف  
والكبريات .. سيناء مريضة وستبقى مريضة حتى نهتم بعلاجها ..

كان ينكلم كما لو كان يحلم .. لقد كان يكبرنا قليلا .. ولكنه كان  
يشعر بان هناك فارقا ضخما بيننا .. وكان يصبر على ذلك ففى تصويره ان  
الأحداث التى مرت على العالم ومصر خلال الاربعين عاما الماضية فصلت  
الأجيال بشكل تعسفى .. جعلتها بحيث تصبح لعدد أصابع اليد من السنوات  
ذات فارق محسوس فى تشكيل البشر وتميزهم ..

ولد صديقنا فى حارة من حوارى القاهرة فى أول ليلة يقصف فيها الالمان  
مدينة القاهرة .. ونقلوا والدته الى المخبأ وهى تلده فاستقبل الحياة بين  
صرخات الزعر والرعب وطلقات الحفعية المضادة للطائرات والاضواء الكاشفة  
وأصوات القنابل والانفجارات وكان مقعده ايزانا ببده الازمة الاقتصادية  
فى مصر .. وفى عائلته .. وكان يرى الجنود الانجليز بمنظوراتهم القصيرة

ووجوههم الحمراء وهم جالسون على أفاريز شبابيك ثكناتهم يقذفون المسارة  
بقشر الفاكهة والعلب الفارغة وكان يلحظ بذلك شديد نفور والده وإهله منهم  
هو الآخر حتى عندما لاعبه أحدهم وحاول أن يمنحه قطعة من الشيكولاته  
رفضها .

وعندما أخطى الانجليز هذه الثكنات رفعه والده فوق كتفيه ليشاركه  
الملك فاروق وهو يرفع علم مصر بدلا من العلم الانجليزي لقد أثر فيه هذا  
المشهد كان يقول لنا : أنتم لم تتروا هذا . لقد ولحتم ولم يكن على أرض  
مصر جندي انجليزي واحد . ومع ذلك لم تستطع أن نحافظ على استقلالنا .

قلت له : هل تريد زيارة سيناء الآن .

قال : وما جدوى الزيارة المهم أن نحافظ عليها . المهم أن نعالجها .  
لا أريد أن أرى اليوم الذي يرفع فيه علم آخر غير علم بلدنا على أي جزء  
من أجزائها . هل جلست في يوم على شاطئ القنال وفي مواجهة علم اسرائيلي  
يرغمف على الجانب الآخر ولا تستطيع العبور لقتزعه ؟

قبل قيام الثورة كان صديقنا مازال طفلا صغيرا وكان والده يصحبه  
معه ليشهد - الاجتماعات السياسية التي كانت تقيمها أحزاب المعارضة وتعلم  
القراءة في صحفها وكان يشترك في المظاهرات التي تندد بالملك والحكم الفاسد  
والاحتلال . كان لا يستوعب ما يقال حوله . ولكنه تعلم كيف أنه وفي ظل  
الديمقراطية والحرية يمكن أن يتحول البشر إلى بشر إيجابيين ولو طاردهم  
جنود بلوكات النظام والبوليس السياسي .

وعندما قامت الثورة . تصور أن كل مشاكل بلده قد انتهت ولم يبق  
إلا أن يعمل الجميع بجد لبناء الوطن كان متحسا إلى أقصى درجة لتأميم  
القناة . والدفاع ضد العدوان الثلاثي . وبناء السد العالي . وهكذا عندما  
تخرج من كليته كان تصوره أن دوره الأساسي هو أن يعمل وبإخلاص وذكاء  
تحت راية الثورة في جيش البناء .

لقد كان ابنا للثورة . تعلم تحت مظلة مجانية التعليم وتكونت أفكاره  
وعلاقته بالعالم من خلال رحيقها .

سألته : وما تصورك لكيفية المحافظة على سيناء .

رد : دع كل الزهور تتفتح ومائة فكرة لتتصارع ... نحن ما زلنا لا ننظر  
الا تحت أقدامنا .. رغم أن عصرنا أصبح عصرًا للجماهير صانعة الحياة  
يجب أن نتكلم لغة العصر .

عندما سأله قائد الكتيبة هل تريد الذهاب لليمن - أجاب : ولماذا ؟؟  
ليس لدى أولاد في سن الزواج أو زوجة مريضة أريد علاجها أو منزل لم يتم  
بناؤه وأريد استكمالته ...

سأله : وهل هذه هي الأسباب فقط ؟؟ أجاب : هذا ملخص الطلبات  
المقدمة للمشير بغرض السفر لليمن من مئات الطالبين ...

لقد كان يلاحظ ما حوله من سلبيات ولكن كمادة أهله يطلق النكات فقط  
... ولا يقاومها .. وسافر ..  
وفي اليمن تعلم الكثير ..

كان أول دروسه عندما سأله زميل أكبر سنا عن طريقة تصرفه في أول  
بدل سفر له ... عندما أجاب بأنه اشترى نظارة بيرسول .. رد الآخر  
يا خسارة كان لدى الأمل في جيلكم ثم أردف نحن جيل عاش محروما ومقهورا  
بواسطة كرابيج الاقطاع والبشوات فتلفنا أما أنتم فما عذركم .. كل  
الاشياء الكبيرة تبدأ بتنازلات صغيرة ... اليوم اشتريت نظارة فبجلة  
فولاعة .. ثم تغير البوتاجاز لانه صغير ثم البلاجة لان المستورد افضل  
ولا مانع من بعض قطع الموازنو والبساجيد. ثم عربة صغيرة تكبر والشقة  
تصبح فيلا ولا تنتهي المصحات ونحتاج لنقود فتبيع كل شيء حتى نفسك ..

كذلك تعلم كيف تفتت الجيش الى قطع صغيرة غير متجانسة ..  
وانخفضت كميات أسلحته .. وكيف أصبح الاهتمام الأكبر للرجال هو جمع  
أكبر قدر من الاموال من خلال بدلات السفر وتهريب العملة واستغلال البضائع  
المستوردة .. وكيف انحطت الكفاءة القتالية للجيش ..

وفي النهاية أدرك أن القيادة قد وقعت في المصيدة التي نصبت لها لاضعافها  
وتشتيتها في حرب اليمن ..

ويعود صديقنا محمدا بالمهموم وينتحدث عما شاهده من تصرفات البعض في تهريب السجائر والسلع والاستهتار بأرواح البشر وإصدار تعليمات وأوامر غير مدروسة وعفوية ..

سأنته وما لغة العصر ٠٠٠٠ ١١

رد : عندما تكلمنا لغة العصر بعد الهزيمة .. كان معناها .. عمل خطة واستكمال المعدات ... وتهريب الأفراد عشرات المرات وتفهيم جيد لمهامهم القتالية .. ودراسة الموقف سياسيا واقتصاديا .. ثم التطبيق .. فاستطعنا أن نجبر سد بارليف ونحقق موقفا متوازنا أمام القوات الاسرائيلية ان لم يكن انتصارا ..

هذه هي لغة العصر .. وما تم بعد ذلك من معارك سياسية انتهت بجلاد القوات الاسرائيلية حتى حدودنا الدولية .. هو لغة العصر .. ولكن هل ستستمر هذه اللغة .. يتوقف هذا على هامش الديمقراطية والحرية اللذين سوف يتمتع بهما الشعب المصري .. وعلى قدر الحرية ستزيد المبادرة الفردية والجماعية .. قد يستغرق هذا أجيالا حتى نسوى حسابنا مع أمراض الماضي ولكن هناك أملا !! أما في غيبة الحرية والديمقراطية .. فلا أمل على الإطلاق ..

يوم عاد صديقنا من اليمن .. كان يمثل مقدمة كتيبته التي تقلصت بعد ترك نصف قواتها في اليمن .. وكانت هناك حركة تنقلات مفاجئة في القيادات أتت بقائد جديد ورئيس عمليات جديد .. اللذين اجتماعا بهم ليحدثاهم عن سياستهما في إدارة الكتيبة .. والتي تتلخص في الحصول على أفضل تقدير أثناء التفتيش عليهم من هيئة التدريب .. ولذلك كان عليهم تجهيز فصول للتدريب وملئها بمساعدات التدريب .. ودهان وترميم بناء المعسكر واستكمال بعض المنشآت وإهمها بوابة فاخرة وملء نماذج التدريب وتجليد الدفاتر الخ من مهام عديدة تتصل بالظهور بمظهر مناسب أمام اللجنة ..

وكان على صديقنا بصفته معماريا يقع العبء الأكبر .. على أن يتم قبل ١٥ مايو ١٩٦٧ وهو اليوم المحدد لزيارة اللجنة .. وكان قد تعود على هذه المهام بل اتقنها خلال الفترات السابقة لخدمته لذلك لم يتذمر .. حتى كان يوما ينظم مكتبة وحدته يربتها ويصنفها .. فعثر على كتاب اسمه (كتيبة ومركة)

قصة سوفيتية حاول استطلاعها قفرا أول صفحة ثم ثانی صفحة ولم یستطع ان ینتقف حتی حضر المیکروباس الذی ینقلهم لئازلهم ركبہ وهو مستمر فی القراءة صعد الی شقته وهو مارال یقرا ٠٠ جلس علی أقرب کرسی وظل یقرا حتی أنهی الکتاب ٠٠ کان یفص قصة کتیبیة سوفیتية فی الحرب العالمیة الثانیة أثناء حصار موسکو بواسطة الالمان وکیف أن قائد الکتیبیة استلم جنودما رجالا منبیین یملا یمسهم المنیة ثم کیف دربهم حتی تحولوا الی جنود دخل بهم معركة دفاعیة وهجومین ٠ یقص من خلال قصة مشوقة للغاية کیف تغلب هؤلاء المنبیین علی عقبیات لا نهائیة فی میدان القتال ٠

وتغیر صدیقنا ب ٠ أصبح لا ینام ٠٠ یراجع کل افکاره وموقعه من العالم والحیة ٠٠ ویقارن بین ما تم فی هذه الحرب وما یتم فی الجیش فی ذلك الوقت ٠٠ ان الحرب تحتاج الی تحریب وفهم وعلم ٠٠ ان کل ما یمعله الان هو من قبیل الغش ٠٠ غش فی حیاة أفراد ومصیر أمة وشعب ٠ عندما حمل افکاره وهمومه لزملائه ٠٠٠٠٠ سخروا منه ٠٠ عندما ناقش قاداته قالوا له اهتم بما هو فی اختصاصک فقط ٠

وكان وکانوا یملون النفس بانهم لن یشهدوا حربا حقیقیة فی یوم ما ٠ ولكن للأسف كان الیوم اقرب مما یتصورون ٠

سألته : ولكن الدیمقراطية والحرية تحتاج لشعب متعلم ونحن نسبة الامیة احیفا لا تقل عن ثمانین بالمائة ٠

رد : لیس قفرا فوق الواقع ولا استسلاما لتخلفه ٠٠ علینا أن نتعامل مع مجتمعا من خلال واقعنا ٠٠ ان الممارسة والعمل الجاد فی الواقع ورفع کفاءة الانتاج عمل یوهی ودؤوب ٠٠ ولكن لن یقوم به الا بشر احرار ٠٠ مزید من الدیمقراطية والحرية تنخفض نسبة الامیة ٠٠ هل تعلم ان هذه النسبة كانت ستین بالمائة قبل الثورة ٠

فی یوم ١٣ مايو ١٩٦٧ أعد صدیقنا جنود سریته واستعد للذهاب لیدان النار لتدربهم استعدادا للاختبار ٠ وذهب لیستأذن القائد فوجده مرتبکا اصفر الوجه ٠ ورد علیه باقتضاب ٠٠ لا تخرج للمیدان ٠

سال : هل الغی التفتیش ٠

وكان الرد : لا ٠٠٠ ولكن صدرت الأوامر بفك التخزين واستدعاء الاجازات  
وكان معنى هذا ان الجيش أصبح في أقصى درجات الاستعداد والطوارئ ٠٠  
ساد الكتيبة الهجوم ثم انتشرت الحركة فجأة في كل اطرافها ٠٠ ألف أمر وأنف  
شخص يتكلم ٠٠ الاصوات عالية ٠٠ والاعصاب متوترة ٠

كان عليهم فك تخزين المعدات المعدة للحرب ٠٠ واستكمال نقص العدة ٠٠  
وفتحت مخازن الجيش أبوابها لاستقبال مندوبي الوحدات واجتمع الضباط  
أكثر من مرة وملئت عشرات النماذج الخاصة بالصرف والارتجاع وأعيد الكتابة  
في دفاتر الهدى ٠٠ وخرجت العربات تزمجر ٠٠ وتصيح المسائقون أريد بطارية  
٠٠ فردة الاستين نائمة ٠٠

وكان على الكتيبة الانتقال الى مكان الانتشار في خلال ساعتين ٠  
وازدحمت العربات بالمهمات والكراسي والخيام والمناضد والبضائع  
استيقظ في الكانتين واخيرا الجنود وسلاحهم ٠

وتحركات الكتيبة الى مكان الانتشار ٠ وأوقفت الاجازات والمبيت خارج  
المسكن جلس صديقنا مع زملائه داخل عربة زيل في ضوء فانوس ميداني ٠ المطر  
يذهب في الخارج وهم يرتعشون من البرد ٠٠ يشعلون سجائرهم ويبحثون  
من معنى لكل ما يحدث من خلال الاستماع للمذياع ٠

لا ترجع الا أغاني عادية ٠٠٠٠

كانوا ينسألون ٠٠ هل معنى هذا أننا سنحارب !!

كان احدكم سميذا لالغاء التفتيش ٠ وكان الآخر يحاول أن يجد مجزرا  
او سميله لدهاب انزله ٠٠ وكان صديقنا الوحيد المدهش كيف يمكن أن  
نحارب ونحن نصف كتيبة فقط ٠٠٠

في الصباح كانت المنارين الرئيسية في الجرائد ٠٠ اعلان درجة الاستعداد  
التصوي بالقوات المسلحة ردا على حشد القوات الاسرائيلية على الحدود السورية

سمح لهم بالتشيب ساعتين لاستكمال مهمات كل منهم ٠٠ وفي الشارع ٠٠  
كانت القاهرة تميش عيدا ٠٠ لكل يشجع رجال القوات المسلحة ٠٠ المحلات  
ترفض أخذ نقود مقابل البضائع التي يشترونها ٠٠

عندما ضمته أمه إلى صدرها وبكت .. قال لها .. لا تخافي سنعود لمورا  
... بعد أن نحقق حلم العرب وننهي المشكلة ...

وبعدما تسأل .. ولكن كيف .. ! وأصابه الشك !!

وعاد فعل نفسه بأن يكون الجيش المقابل جيشا متخفا .. ليست قواته  
الوئيسية احتياطية .. ان القيادة لابد وان تكون قد درست كل شيء ..  
والا كيف تخاطر ..

وتصاعدت الاوامر .. ررحل صديقنا مع وحدته الى سيناء ضمن القوات  
التي لا أول لها ولا آخر .. ونشرت في الجرائد صور دخول الفرقة الرابعة  
المرعة سيناء ... كان يعجب .. هل هذه حرب .. أين السرية والمناورة ..  
الجرائد على الطرف الآخر تنشر صور الجنود الاسرائيليين يستحمون على البلاج  
وصور للمجنندات الاسرائيليات ونحتها جيش المعاهرات ... ما هذا ..  
من سيحارب من !!

ولفت نظر صديقنا خبر صغير في جريدة الاخبار .. بأن القادة الانجليز  
يتصحون بضرب المطارات والطيران المصرى أولا ثم قتل الجيش المصرى  
في مقبرة سيناء المهجورة .. انها نفس خطة ٥٦ .. ومستحيل تنفيذها مرتين ..

سألته : ما معنى ليس نفرا فوق الواقع ولا استسلاما له ؟

رد : هناك بعض الافراد الذين يندهبون بما يتم حولهم في العالم بعضهم  
اندهر بانجازات الاشتراكية النوفيتية والآخرين بانجازات الرأسمالية  
الامريكية ... وحاول كل طرف استجلاب التجربة وتطبيقها في مصر بدون  
تصور لواقعنا الذى نعيشه ما الذى حدث ؟ مزيد من الألم والعنف أو السرقات  
والفجر .. البعض الآخر تصور أن الاستكانة للتخلف الواقع والعودة الى  
التخيم هو الحل ... ومعنى هذا انصاف حركة التقدم والبعض الآخر طالب  
بالرجوع الى اخلاق القرية ..

ما هي اخلاق القرية تلك التى يتغنون بها ...

وعندما صاحبت القوة فكرة من هذه الافكار أصبحت الإضحية هي الحرية  
والأمل في التطور .. أما في نال الديمقراطية. وصراع جميع هذه الافكار على



أرضيه الحرية وللشرعية فان الديماجوجية والسلفية وكل ما هو غث سيعرض  
ويبقى للناس ما يفيدهم .

عقد الرئيس عبد الناصر في ذلك الوقت مؤتمرا صحفيا قال ان أمريكا أموى  
دول العالم وهي لن تتدخل أو نرجو ذلك ونحن كفيالون بارجاع الحق لاصحابه  
وتأديب إسرائيل . وعندما سأل أحد الصحفيين الانجليز بأن مرور عشر  
سنوات منذ ٥٦ هل أثرت فيه رد : هل تتخيل أننى مثل مستر الخرع .

رشدت أنتباه صديقنا هذه العبارة - ما هذا - هل المشكلة مطروحة على  
بسط الجندف والتهامة والفتنة . . . ليس ممكنا أن تنتهى هذه الاحداث  
بحرب لا بد وأنها مناورة لارهاب إسرائيل فقط وارغامها على عدم الهجوم  
على سوريا . . .

عندما عبر الى سيناء قال له قائد كتيبة الكبارى وكان قائده السابق  
ان شاء الله ستمودون سريعا . هذى مناورة . كان سكان الاسماعيليه يقابلونهم  
بالزغاريد والشربات والخلوى والدعاء وكانت العربى تتحرك متوغلة في عمق  
سيناء في الظلام تصدر اصواتا رنيبة وتبعث الدفء والخدر في جسده  
فتدور الافكار وتصططم براسة ثم تخرج تجول حوله . وتعود له تزيغ  
. . . لماذا تم تغيير القيادات قبل الحرب بمدة قليلة - اليمست القيايات  
القديمة أبعث للثقة . . . !! هل هى حرب فعلا . . . اذن لماذا ينشرون كى  
هذه الصور واتصريحات . . . ولماذا الطرف الاخر يجلس في برود يراقب . . .  
وفى يأس قال لفرحه ماذا سيحدث اقتصاها سوف أجوت . . . وتذكر قائد  
كتيبة ومعركة عندما كان يتول لجندره . . . نحن نحارب لكى نعيش لا لكى  
نموت . . . ما فائدة جندى ميت ولكى نعيش يجب ان نستعد ونتدرب . . .  
وكان يسأل نفسه ترى هل استعدنا . . . هل تدربنا . . .

وظهرت في الافق الاضواء الحمراء والبرتقالية ايذانا بظهور الفجر .  
وانشغل في متابعة اثار الضوء على الموجودات حوله عن افكاره حتى ظهرت  
الشمس تماما كان جسده قد أصبح جزءا من الدربة ولم يعد يشعر بأنه  
يسافر وكان الجندى السائق يحواره بتملوا .

سأله : هل أنت خائف ؟

رد عليه : لماذا . . . ربنا معنا . . . ان شاء الله نرميهم في البحر .

سأله : ولماذا نرميهم في البحر ؟

رد : دول ولاد كلب كفره •

وتعجب صديقنا من الرد •• ولكن هذا هو مستوى الانحياز •• وحاول أن يشرح للجندى القضية ولكنه توقف فقد فات الاوان • وتنبه أنه هو نفسه لو وجه أحدهم له هذا السؤال ماذا سيكون رده •• هل هناك أى مبرر مهما كان لأن يقتل انسان آخر أو يرميه في البحر ؟

سألته : هل ستزور اسرائيل بعد الصلح ؟؟

تردد قليلا ثم رد : وهل يتحتم على أن أزور جميع بلاد العالم ؟  
ان لييبيا قريبة جدا ولم أزرها والسودان اقرب وأوروبا وباقي أفريقيا •  
عندما وصل صديقنا الى نهاية رحلته وجد نفسه في معسكر خان يسند لاستقبال مندوب هيئة التدريب ••• وبسرعة انتشرت العريات وابتدأت البلد وزرات تعمل في حفر الملاجئ وخنادق الوقاية واقامة الخيام •• واستغرق العمل اليوم بكامله •• وكان اهم خبر هو انتصار القرصانه على الاهلى وخصولها على الكأس لأول مرة بعد حصول الاسماعيلى على العورى ••  
واحتد الاهلويه والزملكاوية •• وكان هناك مقال في مجلة صباح الخير بقلم محمود السعدنى أربع صفحات عن الانتصار العظيم للاسماعيلى •  
استدعى نبض الضباط لحضور مؤتمر يععده المشير عمرى ندير نسيط قيادة الفرقة ••

وذهب صديقنا لحضور المؤتمر •• استقبلهم قائد الفرقة الجديد المعين منذ أيام عثمان نصار بتعليماته قبل حضور المشير •• لا شكوى •• لا تلبات •• نحن مستعدون للتضحية فقط مفهوم •••

وحضر المشير عامر وصطفى محمود قائد الطيران وعبد الحसन كامل مرتضى قائد الجيوش البرية وعديد من قادة الاسلحة والقوات •

---

(١) هامش : لم يصدر أى تصريح من أى مسئول مصرى برمى اسرائيل في البحر ولقد أكد السيد الوزير محمود رياض ذلك أكثر من مرة في عديد من المؤتمرات وفي هيئة الامم المتحدة ولكن هذا التصريح صريح الشقيرى في بداية الازمة •

تكلم المشير عن المعركة القادمة بصفتها نزعة عسكرية وطلب من الضباط أيضاً أى استفسارات لهم ...

لم يتكلم أحد .. حسب أوامر قائد الفرقة .

احتد وقال انا عارف انكم بتتكلموا فى الميزات اسمعنى عفا .

أحدهم يسأل : ترى هل نحن مستعدون .

اجاب - بالطبع احنا عندنا أقوى طيران فى الشرق الاوسط انتم جبلة

قول لهم يا صدقى قول لهم عن السخوى والتوبيخوف ..

رد الاخر : يافندم لن يحتاج المشاة للحرب .. سأنهم المعركة

ولن يحتاج جندى المشاة حتى لتطهير الخنادق ساطهرها بالطيران .

وخرج الضباط عن قمارهم فصفقوا .

سأل ضابط آخر : يافندم الجيش كله فى سيناء وهذا ما حدث فى ٥٦

ماذا سيحدث لو هاجموا مصر ..

ردى المشير المضطرب بعنف بقبضته وقال .. انا المشير غنبد الحكيم

عاهو يقول لى قادر على حماية مصر وتحقيق نصر فى اليمن وتحقيق نصر

فى سيناء ثم انتصب واقفا وغادر القاعة وهو يبتسم ويقول ان شاء الله

لن يحدث شئ وكان صديقنا فى حاجة شديدة لهذا الرد .. معنى ذلك

ان كل ما يراه فى القوات البرية لا قيمة له .... لان الحرب الحديثة تعتمد

على الطيران والقيادة تحت اشراف طيران فى الشرق الاوسط وشعر بالغيرة

وفى نفس الوقت بالاطمئنان .. وكما حدث له .. حدث للآخرين ....

ولكنهم اعتمدوا على الكلمة الهامسة البتسمة ان شاء الله لن يحدث شئ ..

وابتدأوا يحسبون موعد الاجازة والزيادة المتوقعة للمرتبات .. ومتى سيبدأ

تفتيش هيئة التدريب .

سألته : ولكن اسرائيل ليست اى بلد فى العالم .. لقد زرتها أسجرا

ذليلا .. فهل ترغب فى زيارتها ضيفا عزيزا .

اجاب : لقد قال لنا سكرتير الحزب الحاكم فى ذلك الوقت الماباى

اأنا اليريم أسرى ولكن سنأنا أم لم نشأ فسيأتى اليوم الذى نصبح فيه

اصدقاء ونزورهم بهذه الصفة . ولكن كيف يحدث هذا وفى اسرائيل وحولها

مليونان من العرب الفلسطينيين مطرودين ومشردين كيف أستطيع ان

١  
أواجه ذا العيون الزرقاء، والذي قابلني هناك .. قد استطيع ذلك يرم أن  
تحل القضية الفلسطينية ويرتضى الطرفان شكلا مناسباً للعلاقة والتواجد .

صدرت بعد ذلك الأوامر لكتيبة صديقنا بالتحرك الى موقع جسيديد قرب  
الحسنة بكيلومتريين .. وجلس صديقنا بجوار سائق جرار ضخم يصدر  
أصواتا عالية وهو يصعد المنحدر في الطريق الى الحسنة .. كانت  
الشمس قد قاربت على المغيب ونفسه هوام يارده تهب من الشباك  
على يمينه بكابينة الجرار .. وكان يشعر بحزن لا سبب له عادة ما يصاحبه  
في هذه الفترة من اليوم . حان الشمس وهي تستقط غاربة في الأفق تعلن  
أن يربما آخر من عمره قد انتهى .. وما العمر الا ستطبات متتالية لهذه  
الشمس في الأفق .. وفي يوم ما تعلن انتهاء حياة الانسان ككائن على  
الأرض ... وكان امامه في ( القول ) عربة محملة بأخشاب لا قيمة لها الا اذا

كانت جوانب مرحاض ميداني ... وكراسي ومناضد وخيام ومكاتب  
وجراكن وموئى هذه الفوضى يجلس جنديان لفا حول رأسيهما فوطه كاكي  
اتقاء للبرد . أحدهما يشعل سيجارة ويستند على كرسي. عندما دقق صديقنا  
فيه انفجر ضاحكا فلقد كان كرسيه بثلاث أرجل فقط . عندما لفت نظر السائق  
الضخم له .... تسائل باستغراب - والنبي يافتهم اللباس دي طئلة  
تحارب بكرسي بثلاث أرجل ... استمر الآخر في الضحك ثم علق .. عهده  
حيهملوا ايه ... ولكن الموضوع لم يكن بسيطاً عند صديقنا هكذا  
اذ من الأحق بالمكان في العربة جندي يجلس مرتاحا أم كرسي بثلاث  
أرجل ؟؟ ، لماذا نحتقر الانسان هكذا ؟؟ لماذا نطلب من ذلك الجندي أن  
يحارب وهو راقد فوق كومة دن النفايات . الا نستهلك جنودنا هكذا بهذه  
الطريقة الأبدائية الوحشية ...

واستمرسل في أفكاره .. هل كل هذا العناء وكل هذه الضجة من أجل  
الضغط على اسرائيل .. لا بالتأكيد انه للضغط على مصر .. فحرب  
اليمن وصلت الى قمة مشاكلها .. والأسعار في ارتفاع مضطرد والمشاكل  
الداخلية تهز البلد هذا وهذه الحرب الصليبية ضجة من أجل الهاء الجياع  
عن شكوى بطونهم وهكذا تعودنا عندما تتفاقم مشاكلنا الداخلية تطلب  
النصر في الخارج ..

يوم الانفصال السوري .. انتصرنا بثورة اليمن ودفعنا بقواتنا  
اليها وقطع السائق تسلسل أفكاره بسؤاله .. ياغندم هل اليهود يعرفون

أين نحن الآن .. أتصد هل يعرفون أننا متجهون الى الحسنة . ( ان  
الخوف الاسطوري من العدو قابح في نفوسنا .. رغم كل أساليب الدعاية )  
رد صديقنا - بالتأكيد ان اليهود بشر مثلنا ولهم امكانيات لا تقل  
عن امكاناتنا وبالتأكيد هم يعرفون ماذا يحدث كما نمرف ماذا يفعلون  
فلاستطلاع والمخابرات هي أعين وآذان الجيوش ويجب ان نتحرك ونحن  
مبصرون والا وقعنا في أول بالوعة فاعرة فاعها ...

سألته : ولكن ما هو تصورك للحل العادل للقضية الفلسطينية .

اجاب : لا يوجد عادل أو غير عادل . نحن في مواجهة تحدى حضارى  
اما أن نقبله ونكون ... أو نتجاهله ونزوى .. وفي حالة قبولنا للتحدى  
وتطورنا .. لن تصبح هناك تصايا شكلية .. الاسرائيلى يقول ماذا نفعل  
بالأرض ان مصنع ساعات صغير يجر ارباحا وعائدا يوازي مئات الار .  
المروعة والاف الافدنة غير المزروعة .. اذا امتلك العرب عناصر التحدى  
الحضارى أى امتلكوا لغة العصر . وطوروا امكانياتهم واستقلوا افضل  
استغلال مستغوب اسرائيل داخل الامة العربية كما ذاب اليهود دائما  
في وسط المسلمين والمسيحيين طول التاريخ .. ان امتلاك العرب للغة  
الحضارية سينزع من اسرائيل اشواكها ومخالبها المثلة في تكوينها  
الاستعماري ولكن هل نحن لدينا الثقة في أنفسنا .. اذا ابتدأنا فالزمن  
في صالحنا ....

استقرت وحدة صديقنا في اليوم الأول من يونيو ١٩٦٧ قرب الحسنة  
وابتدأت باقى القوات تتمركز في مواقعها .. استعدادا لمركة قد تحدث  
اولا تحدث وكانت اولى المهام التى أوكلت الى صديقنا مشاركة مجموعة  
استطلاع الفرقة في تحديد واختيار اماكن الاحتلال للواءات التابعة لها .  
مثلا لوجهة النظر الهندسية .

كان مكان اول اللواءات وهو اللواء ١١٨ سهلا فلقد كان عليه أن يحمي  
المنطقة من المدق التركى ( وهو طريق كانت تستخدمه القوات التركية  
في حركتها ) الى طريق الحسنة القسمية . لذلك انطلق في ثلاث عزبات جيب  
قائد الفرقة ورئيس الاركان ورئيس العمليات وقادة اللواءات ورؤساء  
اركانهم وضباط العمليات وصديقنا الى منطقة عمل اللواء وحدد مكان

الكتائب ونقط الاتصال مع اللوات المجاورة ... الخ . كما لو كان الامر يتصل بتدريب او مناورة عادية ..

وفي اليوم التالي ٢ يونيو ثم تحديد مكان اللواء ١٢٠ اى اللواء الثانى وكان قائده عميدا احتياطيا اسمه العميد بركة رجل كبير السن طيب الى درجة كبيرة وأبعد ما يكون لأن يصبح قائدا اللواء فى المواجهة حتى أن ضباطه كانوا يسمونه ( الضرب من الحركة للعميد بركة ) وكانت منطقة عمليات لوائه فى مكان موحش يسمى وادى خرم ولم يكن يعرف مكانها الا قائده استطاع الجيش وفى محاولته للوصول اخطأ الطريق أكثر من مرة .. حتى أصبح من الصعب لغيره الوصول ثانية خاصة أنه فى طريق عودته عاد من طريق آخر مختصر يمر من خلال مجرى سيل خالف متشقق ولا يصلح لمزور العربات الا الصغيرة جدا .

٣. فى اليوم التالى ٣ يونيو طلب رئيس الفرع الهندسى من صديقنا قيادة مفرزة قدامى تحرك لتعليم وتفتح الطريق لتحرك اللواء ١٢٠ لئحتل مكانه .. وعندما واجهه صديقنا تبانه لا يعرف طريق الوصول هذه المرة بأنه سوف يحاكمه ..

واختار صديقنا هل يقبل المهمة ويضلل لواء كاميه خلفه ولعله ينجح عن طريق التجربة والخطأ .. ام يقول ويصر على أنه لا يعرف .. ومن قال لا أعرف فقد أفتى حتى ولو حاكمه رئيسه .. واختار الحل الأكثر شرفا .. أن يقول لا أعرف ويصر عليه ..

أخذه رئيسه الى العميد بركة يستوضح الموقف .. وعندما قال له العميد « والله يا بنى له حق أنا نفسى معرفش أوصل ... ده دوخنا اصبارح » تحرك رئيسه بعصبية وتمتم « يا سيادة الرائد عليك أن توصلهم » ثم ركب عربته وانطلق ..

جلس صديقنا بجوار رئيس مهندسى اللواء مهمما يفكر ماذا يستطيع ان يفعل ... وعندما أسر ذلك لزميله .. احتاج الآخر .. وابتدأ يتشكى

مما يراه حوله .. وبهت صديقنا من الموقف المتردى الذى عليه الجيش فقد اتضح انهم استدعوا الاحتياط على عجل وبملابسهم المدنية ووزعهم بغض النظر عن تخصصاتهم السابقة على الوحدات الأعجب من ذلك انهم احضروهم بواسطة عربات كتيبة النقل ثم سحبوا العربات وتركوا الجنود بدون اسلحة كافية او حتى مياه للشرب .. وأصيب بالقلق فتحرك فى اتجاه العميد ليستنجد به لعل زميله لا يعرف كل الحقيقة .. عندما سأل كيف ستنتقلون .. فاجأه الآخر باعطائه قطن من الجيلاتى احضرتنا ثلاثيات ضخمة من القاهرة ترفيها للجنود العطشى .. وقال اولاً نأكل الجيلاتى وبعد ذلك نتفاهم .. ثم اردف .. سيحضرون لنا عربات كتيبة النقل لتوصيدنا قل لى والنبى يا بنى من أين سنحضر المياه .. يقولون أن غناك بثرا .. هل رأيته؟؟

قطع عليهم الحديث وضوا قائدا الفرقة وضابط استطلاع الجيش الذى نادى على صديقنا .. يا يا يشهينجى مات معدتك واتبعنى .. افتح الطريق وعلمه لعربات اللواء ..

... سألته : وما بعد الاستطلاع ..

أجاب : فى اللغة العربية عندما تضع بعض الكلمات بين قوسين فمعنى ذلك أنها جملة اعتراضية لتصبح موقف ويمكنك قراءة الجملة متجاهلا ما بين القوسين .. ما حدث منذ ٦٧ يمكنك أن تضعه بين قوسين وتكمل الجملة .. قبل ٦٧ كانت الجملة هى كيف نتغلب على أزمة اقتصادية حادة كيف نعمل ؟ كيف نواجه عالما متظورا ؟ ويتطور بسرعة أكبر .. كيف نقود المنطقة لصالح شعوبها وشعبنا ؟ لتحل المكان المناسب لها وقطعت هذه الجملة بحرب واحتلال واستنزاف وحرب ومفاوضات وصراع .. والان علينا أن نكمل جملتنا كما كان يجب أن نكملها منذ خمسة عشر عاما ..

كانت الرحلة مرهقة الى أقصى درجة .. فان وادى خرم ان لم تكن تعرف ارض زراعية أهملت لمئات السنين .. فجفت وتشتقت .. واصبح أى خدش لها يثير أثرية ورمالا سائبة .. ولعمل طريق حتى ولو مؤقت يستغرق شهورا .. لذلك اكتفى صديقنا بتعليم طريق بواسطة طرف مسكينة الجريد ليكون علامة للعربات فقط وكانت العربات تتبعه فزيد .. ن نبش الرمال حتى أصبح من المتعذر أن تتحرك بسرعة أكبر من ٢٠

كيلو متر ساعة وبصعوبة .. وزعقت موترات العربات .. أثارت خلفها  
عواصف من ارباب السائبة .. ونصايح الجنود الملقن فوقها .. وتحول  
وادي خرم الى سيرك ... فوضى شاملة كاملة .. وفي نهاية اليوم حوالى  
الخاصه .. وصلت القافلة الى عايتها ... بحث قائد الفرقة عن صديقنا  
... اجاط كتفيه بساعده ثم اشار الى مجرى السيل الجاف ... وطلب  
منه فتح طريق عرضي عبره ليحرك عليه المدفعية التي حتما ستعجز عن  
الحركة خلال الطريق الذي اتوامنه .

كان الرجل يتكلم بصوت هادى أبوى .. وقد حاول أن يكسر حدة  
التعليقات المسكرين الجافة ... وأثر ذلك كثيرا في صديقنا .. فهو  
كبقية شعبنا يمكن أن تسلب منه حياته بالكلمات الرقيقة التي لم يتعودها ..

عندما سأل قائده عن خريطة يتحرك من خلالها ... قال له الآخر ..  
لا توجد الا واحدة .. ولا يستطيع الاستغناء عنها انما الطريق المطلوب  
في اتجاه النخسلات اليميعات .

ذهب صديقنا متحمسا وطلب من جنوده انزال البلوزرات من فوق  
المتطورة ليبدأ فتح الطريق ...

ولكن لماذا ستكون وحدة صديقنا اكثر تنظيما من الآخرين !!

لقد همس السائق في اذنه ... بأن الرديراتير مخروم ولا يوجد معه  
ماء ..

وكاد أن يصيح فيه ... وكاد أن يقول له مثل رئيسه « تصرف »  
ولكن ماذا يفيد كل هذا ... كان عليه أن يثاكد من سلامة معداته قبل  
أن يتحرك بها .. وكان عليه أن يتأكد من وجود ماء ...

وعاد لقائد الفرقة حزينا وموتورا فوجده رائدا على الارض ينظبر  
الى السماء يتأمل ... عندما لاحظته سأل « مش حقدّر ... طيب بكره  
ان شاء الله تحضر معدتك وتفتح الطريق » .. وبإحساس بالذنب أجاب  
صديقنا فوراً وبدون أى حسابات « لا يا أفندم انشاء الله سيفتح الطريق  
اليوم » وعاد الى رجاله يفكر كيف سيوفى وعدا قطعه على نفسه بدون  
تفكير أو حساب .



كان جنوده يشعرون بمدى الحرج والاحباط اللذين تسببوا فيهما لقائدهم فجلسوا واضعين أيديهم تحت رؤوسهم في انتظار الفرج . . . وكان قد توصل الى خطة ابتدائية بأرسال عربية محملة بجراكن مياه الى الحسنه فتملأها وتعود بها حتى ولو كانت الساعة العاشرة مساء فبدأ العمل في الصباح .

ولكن رقيب سريته عاد مهللاً . . . كما لو كان أرشميدس ينادى لفيثاء يافندم . . . لفيثاء . . . فلقد وجدوا بئر مياه على بعد أمتار . . . اندمعوا جميعاً في فرح حقيقى تجاه البئر . . . ولكن كيف؟ . . . !! كيف يحضرون المياه منه . . . وتتجرت طاقات لم تكن في الحسيان . . . فك سائق حبل شبكة التمويه . . . وأحضر آخرون جراكن ربطات بالحبل وملأوا كل الجراكن بالمياه . . . وفي وسط الفرخة . . . تنبه صديقنا الى أن الوقت يجرى وستنيب الشمس بعد مدة قصيرة . . . ولن يستطيع تحديد اتجاهه . . .

أخذ رجائه وتحرك بسرعة في الخمر ينثرهم ويبين كل واحد وآخر حوالي مائة متر . . . في الاتجاه الذى حدده له قائد الفرقة . وبعد دقائق دار البلحوزر وعلى ضوء كشافات العربات والجرارات أزال التربة المكسرة في عرض مجرى السيل . . . ساعات . . . وساعات . . . وساعات . . . حتى وصل الى آخر جندى . . . ولم يظن طريق القسيمة الحسنه كانت الساعة قد قاربت الرابعة صباحاً . . . قسم جنوده الى قسمين أحدهما مستبقي للحراسه وآخر ينام . . .

ظهرت الشمس شاحية . . . راضات المكان . . . لم يتعجل في يوم ظهورها كما تعجله في هذا اليوم . . . ولم يفرح بالضوء قدر فرحه بهذا الضوء . . . لقد كان الطريق على بعد أمتار منه . . .

في التاسعة صباحاً كان صديقنا يقف أمام خيمة القائد . . . وكان قد انتهى من ارتداء ملابسه . . . ابتسم وسأله . . . هل ستذهب لفتح الطريق بإباشمهندس . . . رد الآخر . . . لا . . . بل أنا عائد من خلاله . . . صاحبه قائد الفرقة معه الى ميز الضباط القادة . . . لتناول افطاره . . . بعد قليل حضر رئيس المهندسين نظر له بغضب ثم همس . . . ما الذى أتى بك هنا . . . الم اقل لقم الا تتصلوا بأحد الا من خلاى . . .

انقذه قائد الفرقة وقال : الحقيقة الباشمهندس قام بعمل رجولى لقد فتح لنا الطريق العرضى ويمكننا أن ننقل المدفعية اليوم . . . من فضلك وجه له خطاب شكر بأسمى على كتيبته .

غير رئيس المهندسين لهجته وعقب على كلام القائد « في الحقيقة هو ضابط ممتاز » خارج الميز كان يقف قائد الكتيبة عندما شاعر صديقتنا في صحبة رئيس المهندسين بإدارة « ايه يا بنى انت كنت فين !! » هو فيه تسران هنا والا ايه » .

رد رئيس المهندسين بعد ان وقف انتباه وقال :

يا سيادة المقدم يشرفنى ان ابلغك بأن قائد الفرقة يقدم شكره لسيادة الرائد والكتيبة على العمل الرجولى الذى قامت به سرية في فتح الطريق العرصى لتحرك المدفعية .

رد قائد الكتيبة « وأنا كمان يا فندم ساذب بنفسى لاصلاح الطريق الآخر » رد الآخر « لا المهم احضار حمار الخناق من اللواء ١١٨ ونقله الى اللواء ١٢٠ - في خرم » .

سأنته : ولكن ما تم خلال خمسة عشر عاما لا يمكن أن يوضح بين قوسين . لقد كان له تأثيرات ايجابية وسلبية في كل شيء .

اجاب : عندك حق . ان الاطفال الذين ولدوا في ٦٧ أصبحوا الان شبابا . والشباب أصبحوا في منتصف العمر . ولكن المشكلة ما زالت قائمة التحدى المطروح ما زال قائما كيف نستطيع ان نجتاز الهوة الواسعة بين عالم متقدم ويتقدم بسرعة فائقة وبين توقفنا . لا تهتم بأن المجارى والمياه والعارق والكهرباء والتليفونات . الخ . تحتاج لاصلاح . هذه سيتم اصلاحها . ولكن الانسان نفسه هو موضوع التحدى يا صديقى . كيف يعيش . كيف يفكر . كيف يعمل . ما هي قيمه . ما هي علاقاته . الانسان المصرى خلال الازمة تشوه كثيرا ولكنه أيضا احتمل كثيرا وفي استطاعته مع التنظيم أن يخلق المعجزة . الانسان المصرى لا يقل عن الاثني أو الياپانى الذى استطاع بعد الحرب العالمية ورغم اقتصاده المدمر والتشوهات الواضحة التى حدثت له أن يخلق المعجزة .

- عندما عاد صديقنا الى وحدته وجد رئيس العمليات يطلبه .. فلقد  
أحضروا لهم مائتي جندي احتياط يثيرون الاضطراب في كل شيء ..  
وطلب منه أن يقول لهم كلمتين ليسكنوا .. اليس مسئول التوجيه المعنوي  
بالكتيبة . جلس بينهم يتأملهم كلهم تجاوزا الثلاثين .. رجال مدنيون  
رغم الاوفروات الواسعة التي يرتدونها . قابلوه بعاصفة من الطلبات ..

الماهية يا سعادة البية .. القضية يا سعادة البية .. قضيتهم فنل  
.. مراتي بتولد .. امي بتموت ..

ظل ساكنا حتى انتهوا وصفتوا .. أطل فترة سكوتهم مسنينا  
بالبسلطات التي منحه إياها المشير عامر يوم وضع على كتفه رتبة العسكرية ..

أخيرا قال لهم بصوت هادئ .. هل تريدون أن تحاربوا !!

ردوا في صوت واحد .. آه .. آه .. نموت في سبيل فلسطين ..

رد متحिला نفسه قائد ( كتيبه ومركبة ) .. لماذا تموتون .. جندي  
ميت لا قيمة له ثم صمت قليلا وأكمل من يستطيع منكم أن يرص لغما ؟ ..  
لم يرد أحد - من عمل في سرية طوق ؟ .. من حفر بالمفرقات ؟ .. لم يرد  
أحد - أكمل .. حماسكم أكبر من قدراتكم .. وبالتالي فالعمل العظيم  
الذي تستطيعون أن تقوموا به هو أن تتركونا نعمل ولا تزيدوا مشاكلنا ..  
الأكل سنحاول أن نقسمه .. الماء سنحاول أن نحضره .. ولكن أرجوكم  
تذكروا أن حماسكم أكبر من قدراتكم وعليكم أن تقوموا بواجبكم بأن  
تتركونا نعمل بهدوء ..

الشيء الغريب بعد ذلك أنهم قاموا بواجبهم وتكون منهم ما يشبه  
الحكم الذاتي وظيفته المحافظه على المهد الذي قطعوه على انفسهم ..

كانت مشكلة الجنود الاحتياط سهلة .. ولكن الأكثر صعوبة كانت  
الضباط الاحتياط الذين انضموا الى الكتيبة لتعويض نصفها المفقود في  
اليمن .. لقد كان معظمهم قد حضر سيناء لأول مرة وبعضهم ذن - ايس  
مدة طويلة عن القوات المسلحة .. كاساتذة في الجامعة .. أو مسئولين  
بوحدات مدنية .. وكان كل منهم يحمل في يده لسيناء خريطة صغيرة

موسوم عليها الطريق الأساسية .٠٠ انتفروا حول صديقنا يسألونك عن تفاصيلها .٠٠ عندما طلبه قائد الكتيبة وهو مذعور .٠٠ ان قائد الفرقة يطلبك بالاسم لامر هام أسرع لمقابلته .٠

**قال له : أنا انفتيتك لهذه المهمة للأسباب الآتية أولا : لانك موشوق منك ويعتمد عليك + ثانيا : لانك تعرف الطريق جيدا .٠٠ ثالثا : لانك مهندس .٠٠ ستذهب لخرم هناك احتل اللواء ١١٦ بدلا من اللواء ١٢٠ الذى سجنهنا ولقد وصلوا منذ ساعات فقط ستقابل العميد خيرى قائد اللواء وستقول له ان سيادة المشير سيحضر باكر ٥ يونيو صباحا للتحقيق على التجهيزات الهندسية وديفاعات اللواء + وبإشارة تعد ثلاثة مطارات لثلاث طائرات هليكوبتر فى مكان ظاهر تحيطه بالجدير الابيض كى تنزل الطائرات فيها لا تنأخر الساعة الان الساعة يجب أن تصل قبل التاسعة .**

خرج صديقنا مذهشا .٠٠ كمادته فى هذه الايام .٠٠ كل الاشياء انتهى .٠٠ ذبح مضاعفة .٠٠ كيف يسحب اللواء ١٢٠ ويحتل مكانه ١١٦ رغم أن الأول لم يمرض على احتلاله لموقعه أكثر من ساعات .٠٠ يفتش المشير على لواء لم يمرض أكثر من ساعات على احتلاله لموقعه .

ولكن عليه أن يبلغ الرسالة .٠٠ فما ادراه .٠٠ قد تكون هذه هى طبيعة الامور .٠٠ والانسان الذى ينظر للتفاصيل قد لا يرى الصورة العامة جيدا - جمع مجموعة من الجنود فى عربة ومعهم مهماتهم .٠٠ وتأكد فى هذه المرة من أن المهمات كاملة .٠٠٠٠ واتجه الى مقر اللواء ١١٦ .٠٠٠٠

الطريق فى الصباح لعنة .٠٠ فما بالك ليلا .٠٠ والحركة فى الصحراء بدون خريطة او اضاءة معجزة حتى لو كنت تعرف المكان فما بالك وهو لا يعرف أين احتل اللواء الجديد مكانه .٠٠

تحرك فى الطريق المعروف لديه حتى وصل الى نهايته وهناك ظل يفر بالعربة فى دوائر ضيقة لساعات طويلة .

وفى كل لحظة يوقفه جنود الحراسه .٠٠ ويسألونه عن كلمة سر الليل التى هى كلمة خاصة بهذا اللواء ابتكرها على عجل .٠٠

دخل السريه الطبيه وسرايا البخته .. حتى عثر على سريه المهنصين  
بانصدفة .

كان قائدما صديقا له .. قابله بالاحضان . عندما عرف مهمته  
نصحه بان ينام حتى الصباح .. ولكن الاخر كان لابد وأن يبلغ الرسالة  
.. دله صديقه على المكان التقريبي لقائد اللواء وهناك اوقفه جندي الحراسة  
اثبت .. طفى النور .. خلمه سر الليل عايز مين .

- سيادة العميد خيرى .

- نقوله مين .

- ضابط من طرف قائد الفرقة .

وجه حديثه للمره - يافندم - يافندم .. سيادة الرائد عايزك ..  
صوت أجش من داخل السريه .

- عايز ايه .

- أنا يافندم ضابط من طرف سيادة قائد الفرقة ومعى رسالة .  
يرد من المداخل ايه الرسالة .

- ألكم سيادتك لانها سريه جدا ..

يستيقظ بتأفف ويصيح نور البادوس ويفتح الكبوت من الخلف .  
فيظهر فى الضوء الخافت شخص سمين جدا . أسمر - شرس ..

- ايه ياسيدى الرسالة السريه جدا اللى جاييها الساعة اثنين . دى

- سيادة المشير سيحضر باكرا للتفتيش على تجهيزات الدفاع  
الهنعسى .

- وأنا حمل ايه الساعة اثنين ( وكانما شعر بأنه تجاوز فأردف )

طيب اتفضل أنت ... علم ياسيدى .

ادى صديقنا مهمته وانهى قلقه .. وترك الاخر ساهرا .

فى الخامسة صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ومع ظهور أول ضوء للشمس  
يسمح لصديقنا بتميز ما حوله .. وقف فوق ظهر عربته .. وحدد أماكن  
ظاهرة تستطيع أن تنزل فيها الطائرات .. وكون ثلاثة مربعات تصلح

الى خيمة صديقه قائد سرية المهندسين فوجدهم يعدون العدة لرص  
الى خيمة صديقه قائد سرية المهندسين فوجدهم يعدون العدة لرص  
حقول الغام في مواجهة اللواء الجديد ١٠٠

بعد قليل مبطت طائرة في مكان من المطارات الثلاثة للتأكد من صلاحيته  
قبل حضور المشير ٠٠ ثم عادت ثانية ٠٠ وجلس صديقنا مسترحي  
قبل أن يستعد للعودة ٠ كان يفكر ٠٠ وهكذا كانت نظرتة ضيقة للامور  
عندما اعترض على احتلال اللواء ١٢٠ - الاحتياطي للموقع ٠٠

ان هذا اللواء بالتأكيد افضل كثيرا ٠٠ وقطع عليه سلسلة تخيره  
ضابط يدخل مندفعاً الى الخيمة ٠٠

مسمعتوش وقعنا عشرين طيارة ٠٠

- اية

- وقعنا عشرين طيارة اسرائيلية ٠

- مين ٠ ٩٩

- احنا ٠

- مين ؟ !

- في مصر ١١

- امتي ٩٩

- الان ٠٠٠٠

- مين قال كده ٠٠

- في الاذاعة ٠٠٠٠ فتح الراديو بسرعة ٠

كان صوت المذيع يجلجل ٠٠٠ وقعت اسرائيل في المصيدة ٠٠ هذا  
يومك يا عربي ايها المواطنون ٠٠ [ استمع بانتباه شديد ثم التفت لصديقه ٠

- معنى كده ان القاهرة دمرت ٠٠٠

- ليه ٠

- فوقع عشرين طائرة في اول موجة ٠٠ معناه انهم هجموا بمئات  
طائرة على الاقل ٠

- آه .

صیحات من الخارج والجنود يرقصون بقوا اربعين ياغندم .  
عواطفه تغلب على عقله ويبكى . اربعون . اذن شبكة الصواريخ قامت  
بالواجب . احتمال الاصابه ٩٠٪ في روسيا لو الضابط لم يصب الطائرة  
بالصاروخ يعدمونه . هكذا يقولون !!

- يرد صديقه - ياغم ده كلام اذاعة تلاقىهم عشرة او خمستاشر .

يدخل رئيس المهندسين مهرولا . وبدون تحية . يسأل صديقنا -  
أين قائد الحتيه . خرج منذ الصباح لاحضار حفار الخنادق من اللواء  
١١٨ ولم يحضر حتى الان . . . . .

طائرة منخفضة جدا تطير فوق الوادى . طائرة ميراج اسرائيلية .

اسميد خيرى يهرول ويشتم . كل العربيات تنقشر . انتشر .  
هد الحديه دى . حاس صونرا جدا . . . . . ونقل توتره للآخرين .

ويعود صديقنا الى كتيبته من الطريق الذى فتحه بالامس . . .  
المدافع المضادة للطيران فى حالة تأهب . . . طلقات متباعدة تسمع من بعيد .

فائد الكتيبة يقاتله . ويسأله : ألم تر الحفار .

يرد : حناز أيه ياغندم الحرب قامت . . .

## الفصل الثاني

### الحرب

سالت صديقنا : هل تتصور أن تقوم حرب أخرى مع إسرائيل .  
أجاب : كل شيء ممكن . . . دعنا أولا نحلل أسباب الحروب ومنها  
نستطيع الإجابة على سؤالك . . . في الغالب يكون سبب الحرب هو فرض  
إرادة سياسية واقتصادية من طرف على طرف آخر . . . فخلال صراعنا مع إسرائيل  
قبل ٤٨ وأثناءها . . . كانت مجموعة من الصهيونيين يحاولون عمل  
وطن قومي لهم يهربون فيه من اضطهاد دول العالم - كما يقولون -  
لهم . . . أي فرض إرادة سياسية . . . تطور هذا الموقف بعد ذلك عندما عرضت  
إسرائيل نفسها على بريطانيا كأداة لحماية مصالحها بمنطقة الشرق الأوسط  
وقامين قناة السويس . . . ثم على فرنسا . . . لضرب ثورة الجزائر عن طريق  
كسر شوكة مصر . . . وفي ٦٧ كانت الحرب هي فتويج لخطة امريكية هدفها  
الانتهاء على الروح والخط الثوري المتحرر في المنطقة والذي كان يقوم  
عبد الناصر . . . في البداية استهلكت القوات المسلحة في اليمن ثم هدت  
الاقتصاد القومي بالمقاطعة والحصار . . . ثم أكملت على ما تبقى في حرب  
٦٧ . . . لتفرض إرادتها السياسية والاقتصادية على المنطقة . . . ومن جهة  
أخرى فإن الاقتصاد المصري والراسمالية المصرية . . . هما المنافسان  
الوحيدان والمطلان لتقدم الراسمالية والصناعة الاسرائيلية  
وتغلغلها في أسواق المنطقة . . . حرب ٧٣ كانت رفض الاستسلام للواقع  
الذي فرضته إسرائيل وأمريكا . . . وفي جوهره بالطبع فرض إرادة . . .  
سياسية . . . أهداف إسرائيل من الصلح هو التجارة أولا وأخيرا . . . وهم  
لا يفكرون ذلك . . . أي التغلب على الأزمة الاقتصادية الاسرائيلية عن طريق  
سوق يضم مائتي مليون عربي . . . في المنطقة . . . ان لم تحقق امريكا  
واسرائيل أهدافهما . . . فستقوم حرب . . . ولكن هل يوجد عاقل واحد  
في مصر يستطيع أن يغامر بكل اقتصاد البلد بدخوله معركة أخرى . . .



أنظر يا صديقي قناة السويس .. كل البترول المكتشف في مصر ..  
اصلاح الاراضى والزراعة .. السياحة .. المواد الخام .. كلها اليوم  
في منطقة ميدان المعركة التقليدية .. من الذى يستطيع أن يدمر اقتصاد  
مصر بتعطيله قبل واثناء وبعد حرب مهما كانت اعدائها أو أسبابها ...  
عاد صديقنا الى كتبيته .. اذن فقد بدأت المعركة وغابت اسرائيل  
التحدى بدلا من أن تقبل الضغط عليها وتسحب حُودها من امام سوريا ..  
وانقطعت الاخبار .. ترى ما الذى يحدث الان .. الشمس في كبد السماء ..  
ولا توجد سحابة واحدة .. والارض لم تتغير .. والبشر يتحركون يبحثون  
عن المياه والأكل ...

ومن الراديو يأتى صوت أم كلثوم .. جيش العروبة يا بطل ..  
الله معك .. ما اشجعك ما اروعك .. يشعر بأنزعاك من كلمات الاغنية  
ولحنها ... ما الذى حدث .. أين أغاني ٥٦ .. الشعب يبرزف زى النور  
.. الشعب جبال .. الشعب بحور ..

رقد على سريريه يفكر .. ترى كم طائرة هاجمت القاهرة .. وترى  
هل زد طيراننا بنفس القوة .. وكم طائرة سقطت لنا .. في صباح ابوم  
التالى .. كانت الامور هادئة .. اين الحرب لا شيء الا بعض الاغاني  
والتسعاترات واديانات وفي صوت اسرائيل كان ليقي اشكول يقول لجنوده  
.. معكم السلاح ولديكم القيادة المدربة جيدا .. ولقد تدريبتم واسويبتم  
دوركم وما عليكم الا ان تدافعوا عن انفسكم وتنتصروا لتعيشوا .. ومن  
القاهرة كان أحمد سعيد يقول .. كلها دقائق ونصل ثل ابيب .. سنسحق  
موسى ديان على اقرب شجرة .. افتلوهم .. اذبحوهم .. انه يوم  
العروبة .. الجيش الاردنى في المعركة .. الجيش السورى في المعركة ..  
الجيش الكويتى في المعركة .. الجيش .. الجيش ..

رئيس الفرع الهندسى يخرج مهرولا ومعه قائد السريه الاولى ليرص  
الغاما أمام اللواء ١١٤ ( اللواء الثالث في الفرقة ) ويعود ثانية ليطلب من  
صديقنا الذهاب الى قيادة الجيش لاحضار خطة نصف الطرق من رئيس  
مهندسى الجيش العميد « عبد الستار مجاهد » . في قيادة الجيش والى سم  
اعداها في خمس سفنات تحت الأرض لتتحمل انفجار قبله ذريه فوقها  
مباشرة كان العميد عبد الستار يجلس اصفر الوجه جاحظ العينين ..

أمامه قروصتا سجائر كليوباترا والطفائيات ممثلة بأعقاب السجائر ..  
وحوله مساعدوه .. عقداء ومقدمين ورواد .....

سأل صديقنا : هل أنت قادم من الحسنة .. هل يضربونها الآن  
بالطيران ..؟ عندما أجاب صديقنا بالنفي .. رد الآخر : الآن يضربونها ..  
انتظر قليلا .. كان حوله في غرفة العمليات معلق خطط الجيش ملونة  
بالأحمر والأزرق والأسهم والاشعارات تؤكد أماكن القوات وموقف العدو ..  
وكان صديقنا يتأملها ..؟ عندها دخل أحد الرواد فاجأها بأحدث المعلومات ..  
- لقد اخترقوا الخط الدفاعي الرئيسي وسقطت العريش وبئر الحفن  
وأبو عجيلة ورفع والشيخ زويد ..

وذهل صديقنا انها أول معلومات حقيقية يعرفها عن الحرب ..  
معنى ذلك ان الاسرائيليين في طريقهم الى مواقع قواتهم في الحسنة اذا  
استمر الموقف هكذا فستكون المعركة في اليوم التالي .. أي ٧ يونيو ..

ركز عينيه على الاوراق .. أين هذه القوات وأين الهجمات المضادة  
.. لقد كان بناء على ورق .. ومن الورق .. انهار مع أول نسمة هواء  
.. وتجمعت كل الخفافيش تصدده في الظلام .. شريط بدأ بانكرسي دى الارجل  
الثالث .. وخبط المشير على المنضدة بتبضئة يده .. واللواء الاحتياطي  
المهمل بدون مياه أو حتى عربات .. واللواء الآخر الذى احتل أماكنه خلال  
ساعات .. وقائد كتيبته الذى مازال يبحث عن الحفار .. وكانت العربية  
تتحرك به بعيدا عن قيادة الجيش في اتجاه الحسنة .. وكانت سحابات  
الدخان تتصاعد من المواقع القريبة من وحدته .. وهكذا يعمل الاسرائيليون  
يكونون بالطيران ثم يهجمون بالمدفعات والمشاة بعد ذلك .. وبالتالي  
فالمعركة انتهت بهذه السرعة سقطت أبو عجيلة والتي كانوا يسمونها مركز  
سيناء لقد صمدت في ٥٦ عدة أيام رغم أنها لم تكن محصنة بفنفس الدرجة  
التي عليها الآن .. انه يعرفها جيدا فقد شارك في إقامة هذه التحصينات  
في يوم ما .. لقد كان لكل بندقية دشمة خرسانية .. وكاد يشك في صحة  
هذه المعلومات .. ولكنها معلومات هيئة العمليات .. على أعلى مستوى ..  
آه .. هل انهزم الجيش وشعر بالقشعريرة .. لا يمكن ان لدينا أقوى طيران  
في الشرق الاوسط ..

ولاذ صديقنا بالصمت يوقب ما سوف يحدث .. خوفا من أن ينشر  
الدعر والبلبة بين الزملاء .. واختفى عن الاعين في حفرة بعيدة يبكي ..

ويجتزئ الالم ٠٠ حتى أفاق على جحيم نيران الطيران المعادي - كانت الطائرات الاسرائيلية قد ملكت الجو تسقط عليهم مطلقة دفعات متتالية من الرشاشات ٠٠ ومن بعد كان يسمع صوت انفجارات مكتومة ومرتعات متباعدة ٠٠٠

ويسقط بجواره سائق عربته ٠٠ وآه وهو يسقط اصفر وجهه بشدة وجعلت عيناه متسائلة ما الذي حدث !! ٠٠ ثم الثوب قدما ٠٠ وترنح اليمين ثم اليسار ودفع يديه للامام ممسكا بالهواء وسقط على وجهه معلنا صوت اصطدامه بالأرض ٠٠ موت أول رجل ٠٠ من وحدة صديقنا ٠٠ كانت المعدات الضخمة الظاهرة ٠٠٠٠ هفها سهلا للطائرات أغرت الطيارين بأن يلهوا بوصاصاتهم كأنهم في تدريب ٠

سقط الطيار منقضا بطائرته مرة أخرى بعد أن دار دورة كاملة ٠٠ وعاد ليكمل تخمير المعدات ٠٠ اقترب جدا من الأرض ٠٠ كان قادما في مواجهة صديقنا ينثر الموت حتى أنه وآه ٠٠ كاد يلمسه ٠٠ وجهه كان واضحا من خلال زجاج كابينة تخيل أنه يبتسم متسليا ٠٠ وجه منتفخ ابيض شديد الاحمرار يدل على ضخامته يخفي عينييه خلف نظارة مستديرة قابضة على وجهه وطافية جلد قابضة على رأسه وأذنيه وأمطر الموقع بالرصاص ٠٠ كان من الممكن اصطياده ببندقية صيد ٠٠ لا بل بطوبة ولكن ببندقيته رقدت عاقرا بين يديه لسبب لا يدريه ٠٠

وكانما مر هذا الخاطر برؤوس أخرى ترقب ٠٠ ولكنها كانت أكثر فاعلية إذ أنه سمع طلقات بنادق قادمة من الطرف الآخر للموقع ٠٠ طلقات يائسة متباعدة ٠ أخرجت القائد من مكمنه يصرخ ٠٠ من الذي ضرب على الطيار ٠٠ ؟؟ أجاب أحد الجنود - انها طيارة اسرائيلية ٠

رد الآخر - م ٠ أنا عارف ٠٠ عايز تلفت النظر له ٠٠ تشيره ٠٠ سيعود لك ثانيا ٠ هل تستطيع مقاومته ببندقيتك هذه ٠  
- رد جندي - انها تسقط الطائرات في فيتنام ٠

- أجاب القائد بصورة قاطعة - وحياة أبوك بلاش فلسفة ٠٠ فيتنام حاجة وهنا حاجة ثانية متضربش الا بأوامر ٠

ذهب صديقنا بعد ذلك ليرى الضحايا ٠٠ كان اولهم سائق عربته ٠٠ ولد إذ لا يمكن أن يطلق عليه لقب شاب ٠ فبرغم تجاوزه العشرين الا أن

جسمه كان ضئيلا انهكه سوء التغذية والفقر ٠٠ كان قادما لتوه من أعماق  
الصحراء يحمل معه جهله وسذاجته ٠٠ وبيضا طاعته الابوية ٠٠ التي  
لا تسمح له بأى تصرف ذاتى ٠٠ ثم درب على أن يكون سائقا لعربة  
قيمتها الاف الجنيهات ٠٠٠

ولقد كان من الممكن الا يموت لو لم يتذكر فجأة أثناء القصف أنه  
تسمى خوذته في العربة ٠٠ وهذا مخالف للأوامر فانطلق من خذقه في اتجاه  
العربة وفتح الباب وأخذ الخوذة ليعود بها وهنا تنفض الطائرة وهدفها  
بركة الدماء ٠٠ وكان له زملاء كثيرون في اطراف المعسكر ومعسكرات أخرى  
٠٠ سقطوا ٠٠ دون كلمة عطف أو تشجيع ٠٠ ماتوا وقد كانت حياتهم ليست  
بخير من مماتهم ٠

جفت دموعه ٠٠ وتماسك ثم همس لنفسه ٠٠ قد تكون هذه هي  
الحرب ٠٠ الا يجوز أن يكون طيرانا مشغولا في ضرب مطارات العدو ٠٠  
الا يجوز أن نقوم بهجوم مضاد نستعيد به أرضنا ٠٠ وقد يستطيع مع  
رجاله أن يقدم عملا ٠ أى عمل يوقف الهزيمة ٠٠

كان القائد يصيح في التليفون ٠٠ يا فندم الطائرات تلقى شراكا  
خداعية ٠٠ أرجو تبليغ الوحدات بالأى يمسه أحد حتى ننسفها ٠

واستدعى اقدم صف ضابط وأشار له في اتجاه جثة السائق ٠  
لقد وجدنا شركا بجواز الجثة اذهب وانسفه ٠٠ يصدر أوامره بعصبية  
فلتبتعدوا جميعا ٥٠ مترا على الأقل ٠٠ يتكلم ثانية في التليفون الميدانى ٠٠  
يا فندم سننسف الشرك بعد نصف ساعة ٠٠ يلى الوحدات حتى لا يحدث  
رد فعل غير مطلوب ٠

وتكونت نصف دائرة بعيدة بالفقر الكافى يرقبون الصف ضابط وهو  
يزحف تجاه الشرك بين اعجاب الجنود واشفاق الضباط ٠٠ حتى وصل  
الى مكان الشرك راكدا ٠٠ ثم فجأة وقف متحديا لكل الاوامر ٠٠ وأمسك  
بالشرك ورفع لاعلى ثم عاد ضاحكا رغم المأساة التى يعيشها وصاح  
من بعد ٠٠ فلقد كان الشرك خوذة الجندى الميت بعد أن اخترقها الرصاص  
فأخرج باطنها وأصبح منظرها غريبا ٠

ومكذا مر اليوم الثانى للقتال ولم ير صديقنا الا تلك الطائرات  
النفقة .. وصوت المنيع الثرثار الذى لا يزال يتكلم عن الخطوات الباقية  
المرتقبة والشئق على اقرب شجرة .. قرب نهاية اليوم انشأ مقبرة للشهداء  
ليدفن فيها الموتى .. وعلى ارتفاع منخفض كانت تطير طائرتان ميج ١٧ ..  
هلل لهما الجنود والضباط .. وعلق أحدهم .. الم أقل لكم لقد صدرت  
الأوامر للطيران بالتدخل .. وكان قائد الفرقة يمر سريعاً بعربته وخلفه  
عدد آخر من العربات الجيب عائداً من معركة قرب العريش \*

ومع غياب شمس ذلك اليوم حضر رئيس الفرع ليبلغ قائد الكتيبة  
بأن الفرقة ستسحب ٣ كيلو مترات الى مدينة الحسنة للدفاع عنها ..  
أثناء حديثه يعود أحد الضباط من مأمورية توصيل الغام « لخرم » أصفر  
الوجه ويتكلم دون أن يطلب أحد منه .. خرم محروقة الجثث مضروبة  
بالفابل .. ولا أحد هناك كل الناس انسحبت للنظر مرعب .. أكوام أكوام  
من الجثث السوداء راقدة فوق بعضها البعض .. عندما سأله قائد الكتيبة  
عن أحد الضباط الاحتياط الذين يعاونونه \*

أجاب : لقد كانت عربته آخر عرب في القول والظاهر انه خاف وهرب ..  
رئيس المهندسين يثبور هل نحن نلعب ؟ .. يا حضرات لا توجد  
أوامر بالانسحاب وإذا انسحب أى فرد ففى الاسماعيلية الشرطة العسكرية  
ستضربه بالنار فوراً .. ويسأله صديقنا : ولكن كيف سندافع عن الحصنة  
ونحن قوات مساعدة لا تحارب \*

يرد - أوامر : .. والأوامر صادرة من قيادة الجيش \*

- من الذى سيحارب نصف كتيبة مهندسين أم سرية الخدمة أم  
الشرطة العسكرية \*

يرد - سيدعمنا الفوج المدرع \*

فكر قليلاً .. وقال لنفسه لا بد وأن القيادة تفكر أفضل .. أن الأوامر  
لعمل ما .. ثم تكلم كما لو كان يكمل حديثاً ساءت ترك في المفرزة يافندم ..  
ابتسم رئيس المهندسين .. ثم لف ساعده حول كتفيه فلقد كان يعرفه  
منذ أن درس له في مدرسة المهندسين شاباً لا يقبل إلا المنطق ويناقش كثيراً  
ولكنه ملتزم الى أقصى درجة .. ويؤدى واجبه بفهم \*

قال له : اننا اعرف انك لن تهدأ الا اذا فهمت .. خطة سيادة الفريت  
محسن هو أن تتحول الهزيمة الى نصر بتكوين نقاط قوية قابلة للحصار  
تدافع عن مناطق محدودة ويترك الجيش الاسرائيلي يدخل المنطقة ويفرد  
قواته في مسافات واسعة .. وبذلك يسهل على الفرقة المدرعة أن تفك  
الحصار وتحول الهزيمة الى نصر .

— رد صديقنا — لكن يا فندم دى العريش والشيخ زايد وابو عجيله .  
— اجاب — أيوه فاهم .. فاهم .. ووصلوا الى الكيلو ١٦١ قرب  
المكان الذى كنا فيه لكن اللواء ١١٤ المدرع أرجعهم .. لا تكن لوحا .

أسرع الجنود في تحميل العربات ولكن العربات لم تكن تكفى فلتقم  
سحب بعضها لتحميل الألغام وتوصيلها للواءات المعاونة لذلك  
فلقد أصبح القائد أوامره بترك ما يزيد حتى ولو كانت اجهزة  
للماسكى ... ركب صديقنا بجوار قائد الكتيبة في عربته وترك الراديو  
الخاص به بجوار السائق وانطلقا لتنظيم تحرك قوة الانسحاب .

أحد الجنود الاحتياط تكسر ساقه لقد اصطدم جرار بالعربة التى  
يركبها . زملاؤه يحاولون اسعافه وهو يركى « ياخيبتكم يا ولادى من بعدى » .

قوات أخرى تنسحب من القسيمة على الطريق متجهة إلى ثمادة ..  
الجنود يبتسمون لماذا ؟؟ سيدافعون عن خط الدفاع الثانى معنى هذا  
أن خط الدفاع الأول قد سقط .

همسات بين قائد الكتيبة ورئيس العمليات .. لا معنى أحدا ..

يصلون الى المكان الجديد المحدد لهم .. توزع العربات .. تتخندق  
... توزع الحراسة .. ويجد صديقنا نفسه منفردا بعد طول تعب حوالى  
الثانية صباحا يحاول أن يجمع كل المعلومات التى استطاع أن يحصل  
عليها وكل ملاحظاته ويربطها في إطار منطقي .. أذن .. فإن هناك هزيمة  
.. ولكنها هزيمة تكتيكية .. ان دور الطيران والمدفعات لم يبدأ حتى الان  
.. وبالتالي فان القوات تنسحب لتتمسك بأرض أخرى ينطلق منها قوات  
الهجوم المضاد .. هكذا حدث في روسيا .. لقد وصل الالمان الى مشارف  
موسكو .. وحاصروها .. وفك الحصار وانطلق الجيش حتى برلين .

وبالتالى فعليه الا يهلع من الظواهر .. ويتمسك بالارض مع جنوده .. حتى  
يفك الحصار .. الحصار .. معنى ذلك ان الموقف الحاكم الان هو المياه ..  
وجرى في اتجاه فناطيس المياه .. احضِرْ اَهم صف ضابط وقل له ..  
انت المسئول عن هذه الفناطيس .. لا تصرف منها الا بتعليمات منى شخصيا ..  
كل المطلوب هو الثقة في القيادة .. لابد وانهم تعلموا من حرب ٤٨ ،  
٥٦ .. بالاضافة للخبراء الروس .. ان باكر هو يوم المواجهة مع العدو ..  
وتذكر انه لم ينم منذ مدة .. وقرر ان يجبر نفسه على النوم ولو لساعات  
قليلة .. حتى يكون قادرا على مواجهة العدو .. كانت أضواء طلقات أضواء  
ارض المعركة تلمع من بعد .. لابد وان هناك معركة على بعد عشرات الكيلو  
مترات فقط ..

وأجبر صديقنا نفسه على النوم داخل كابينة المعربة .. واستبقت  
على أصوات جنوده يضربون شبابيك كابينة المعربة بقبضاتهم .. لقد  
ابتدأ الاله جورس يظهر في طرف السماء نائرا حوله دماء افعى الشر القى  
تقف على بوابة العالم الاخر .. منتصرا على الظلام .. كان الجنود  
يتكلمون في صوت واحد .. دبابات العدو يافندم وقفز من مكانه مسرعا ..  
صعد الى أعلى التبة .. ثم ضحك .. لا هذه دبابات الفوج المدرع القى  
ستدافع معنا عن المدينة ..

وجاء حوره للرد على تساؤلات الجنود .. متلما رد رئيس المهندسين عليه

— لكن المعركة دائرة طول الليل يافندم ...

— اثبتوا .. كونوا رجالا ... واستدار يبحث عن الراديو ..  
وتذكر انه نسيه في عربة قائد الكتيبة ...

سأل : أين القائد

: غير موجود نحن نبحث عنه .. كذلك رئيس العمليات اختفى  
.. تجمع عدد من الضباط يتساءلون ...

لعلهما يأخذان أوامر جديدة .. لعلهما في رئاسة الفرقة .. وتفرد  
الضباط والصف ضابط يبحثون عن قيادة الكتيبة .. عن القائد ورئيس  
العمليات ثم رجعا بأخبار غريبة .. لا وجود لقيادة الفرقة .. لا وجود  
للوحدات الاخرى .. القائد ورئيس العمليات هربا ....

ثم تجمعت اشتات من الكتائب والسرايا الاخرى التى لم تجد رئاستها حولهم ... ودار حوار بين الجميع لا فارق بين ضابط او صف ضابط او جندى ...

- فلنمش نحن ايضا .
- لنسا دور يا حضرات .
- القيادة انسحبت .
- ولكن الجنود موجودون .
- العدو على بعد خطوات .
- نقاوم .

- نقاوم فى الخلف مع النسق الثانى .

... وقطع الحوار هجوم الدبابات السوداء .

وزعق الجنود من اعلى التباب .. اليهود يافندم .. دبابات اليهود .. وفى هذه المرة عبرت الدبابات عن نفسها بإطلاق النيران ، وجرى الجميع تجاه العربات ... بعضها محمل بالالغام .. الضباط يتجمعون فى كابينه عربيه .. خمس ضباط ... الجنود يقفزون الى ظهور العربات .. العربات تجرى بسرعة .. طلقات الدبابات تطاردهم .. العربات تجرى أسرع .. توقفت الطلقات .. أصبحوا بعيدا عن مداها .. وفوجيء صدقنا فجأة بأنه قد هرب .. وشعر بالعار .. كيف لم يؤد واجبه .. أى واجب خلال هذه الفوضى .. لم يكن يتصور فى يوم أن يهرب وبهذه الصورة وبدون أن ينظر الآخرين .. أصبحت قضية حياته أهم .. وتسامل كيف ساعيش بعد الان .. وكيف سأواجه الآخرين .. حتى حياته أصبح مشكوك فيها .. ان العربيه التى يركبونها محمله بالالغام .. عندما صرح بذلك تنبه زملاؤه فقال أحدهم نرميها علق آخر .. لو ضربتها طائرة ستدمرنا جميعا

قال هو .. نعمرهما ونرميها تعطل القوات القادمه خلفنا .

قال آخر .. وما ادراك قد تتعثر فيها قوائنا نحن ..

واسـتقر رأيهم على أن يتدفقوا بالالغام كما هى .. فأصـدروا تعليماتهم للجنود المتعلقين بظهر العربيه يقدفوا .

وبعد أن اطمأنوا على تأمين حياتهم فهم الان يعيدون الى حد ما .. وبعد أن تخلصوا من الالغام .. ابتدا السؤال الخالد يطرح نفسه عليهم



وبعد ... ماذا سنفعل .. لأول مرة عليهم اتخاذ قرارهم بأنفسهم بعد  
ان انهارت القيادة هل يستكملون الحرب !! فيلجأون الى الجبل ومن هناك  
يشكلون مقاومة ما ... هل يستمرون في الحركة بالمربة حتى يصلوا الى  
مكان آمن .. هل يتحركون في الجبل .. وأستبعدوا الحل الاول .. ثم الحل  
الثاني لخطورة الطيران على العربات المتحركة .. وقرروا أن يتحركوا  
في الجبل ولكن بعد أن تطوع أحدهم يملء العربى والجراكن بالمياه والحصول  
على طعام من العربات المضروبة على الطريق واللاحق بهم .

نزلوا جميعا من العربى الا واحدا منهم ومعه جنديان .. الذى تحرك  
الى الطريق ثم اختفى عن نظرهم والى الابد ...

وأصبح عليهم الان السير .. الحركة او الموت .. ولا يهم الماء ..  
ولا يهم الطعام .. ولا يهم أى شىء سوى الحركة .. وكلما توغلوا في حوض  
الجبل .. كلما حافظوا على حياتهم أكثر .

سالت صديقنا : هل تتصور ان العرب سوف يعودون لمصر أو أن  
مصر سوف تعود للعرب ...

اجاب : الامور لا تؤخذ هكذا ببساطة يا صديقى .. انا لست منجما  
ولا اطمح في أن اكون منجما .. انما فلنستقرى الاحداث .. ما الذى تحتاجه  
مصر من العرب وما الذى يحتاجونه منها .. وعلى اساسه سيتخذ ما الذى  
-وف يحدث .. العرب ومصر .. يحتاجون لأن يصبحوا قوى اقتصادية  
وعسكرية وثقافية وحضارية .. في مواجهة القوى المختلفة في العالم .  
والذى أصبحت فيه الشراكم لا تستطيع العيش .. العالم يتجه الى الوحدة ..  
لا التجزئة .. وبدون ذلك ستحاول العراق عمل القنبلة الذرية واليابسا  
شراهما والسعودية اقتاها .. وهكذا .. ومصر تفصل الوطن العربى الى  
نصفين شرقى وغربى .. وهى القلب وبحكم كثافتها السكانية وتجاربها  
الحضارية هى الثقل .. ولكن عليها أن تعدل في علاقتها بأخوتها .. فهى  
لم تعد الواحد والباقي اصفار على الشمال .. كما كان يقال .. بل هى تزداد  
بتماسك قوى أخرى معها وعلى الآخرين انهاء شكل البطولة الفرنية والزعماء  
الواحد وتحويل بلادهم أن حكومات عصرية .. فادرة على مواكبة العصر  
... وهناك أمل .. ولكن بهدوء .. ودون تعجل .

شمس يونيو ... وصعود الجبل ... وارهاق عشرين يوما ..  
ونقص المياه والطعام .. عذاب ..

وهروب الجندي من ميدان القتال ومن الدور الذي اعد له نفسه  
سنين طويلة وخيبة امله في نفسه .. وفي كتيبته .. وفي جيشه وقومه ..  
عذاب .. وفقدان الطريق .. والامل .. والهدف .. والماضي والحاضر  
والمستقبل عذاب .. ولكن أكثر درجات العذاب هو الرعب من قوى غير  
منظورة .. وغير متوقعة .. وغير مستعد لها .. أكثر درجات العذاب  
لان الانسان يشعر في هذه اللحظات بمدى ضلّته .. لان الانسان يعود  
الى عصور الجهل فيما قيل التاريخ عندما كانت تحيطه الغوامض من كل  
اتجاه وتحاصره الاعداء في كل خطواته .. وهكذا كان أصدقاؤنا .. مجموعة  
من الضباط والصف ضباط والجنود بعضهم يعرف البعض .. والبعض  
الآخر رمت به الاقدار قبل المعركة بأيام جندي من جنود الاحتياط والبعض  
الآخر وجد الامن في ان يتحرك مع جمع أي جمع .. حتى ولو لم يكن يعرفهم ..  
الان انتهت كل الفوارق .. الا قوة الاحتمال .. من يستطيع المثابرة  
والحركة للوصول للهدف سيبقى حتى ولو كان جندي احتياط علاقتة بالجيش  
بدأت منذ أسابيع ومن يسقط .. فسيسقط للابد .. حتى ولو كان أقدم  
الضباط جميعا .. وتفجرت الطاقات .. تفجرت الطاقات المختزنة أمام  
الرغبة في الحياة التي لا يقف أمامها أي عائق .....

وتحرك الرجال رغم فقد جميع الاحتمالات النظرية للنجاة .. ولكن  
الامل دفعهم لبذل المزيد من الجهد .. والعرق .. والتحمل ..

يقول صديقنا وهو صادق في ذلك : لم يكن أتصور أبدا أي احتمال  
عدا أنني سوف أعود .. الى الوطن .. الى الارض .. الى المنزل ..  
الى الاهل .. الى الراحة .. لم أتصور أبدا أنني سأموت أو أأسر .. رغم  
أن كل الظروف كانت ضدي واليهود ضدي .. وبني وطني ضدي وأنا نفسي  
.. ضد نفسي .. الا أن خيال الفناء لم يراودني أبدا طول رحلة السير ..

ونفذت الطاقة .. ونفذت المياه .. وابتدأت الخيالات المرعبة تغزو  
بعض الافراد .. وظهر تأثير الضعف الناتج من قلة الماء والطعام وحرارة  
الشمس على بعض الافراد .. وتخيل البعض انه لا نهاية لهذا العذاب  
وأنهم سوف يموتون .. ولكن لا وجود للمثبات في الحياة وانما هي في حركة  
مستمرة متجددة متغيرة .. كل لحظة تختلف عن التي قبلها .. حتى في جبل  
قفر .. فعندما قارب الجميع على التوقف نتيجة لقلة المياه .. وظهرت بعض  
الاصوات التي ادانتهم لصعودهم الجبل .. وجدوا من يجري خلفهم وينادى

٠٠ يا مصري ٠٠ يا مصري ٠٠ وإذا هم مجموعة من عرب سيناء الهاريين  
الى الجبل خوفا من رصاصات الطرفين ٠٠ ومعهم ماء ٠٠٠

لحظات خاف الأخوة بعضهم من بعض ٠٠ وثفزت الى مخيلاتهم  
الاساطير التي نسجت عن استغلال عرب سيناء للموقف ٠ وعن تسليمهم  
المصريين للاسرائيليين ٠٠٠ ولكن العطش والخوف من الموت شجعهم على  
حوارهم ٠٠ ولم يندموا ٠٠ فلقد شربوا جميعا حتى الارتواء وملأوا الاواني  
التي معهم ٠٠ وداوهم على الطريق من خلال مسارب الجبل ٠٠ وأهدوهم  
ما هو اغلى من ذلك جميعا ٠٠ أهوهم النصيحة ٠٠ قالوا لهم لماذا أنتم  
ملتاعون هكذا ٠٠ الستم رجالا ٠٠ سيروا في الجبل لا تنزلوا للطرق الرئيسية  
٠٠ وفي الجبل ستجدون الماء والماعز اذبحوا واحدة أو اثنتين ٠٠ أشووها  
٠٠ وكلوها ٠٠ يوم ٠٠ اثنين ٠٠ ومستصلون ان شاء الله فقط لا تدرؤا  
للطرق الرئيسية ٠٠ لقد كانوا رجالا حقيقيين ٠٠ صلبهم الجبل والحياة  
٠٠ لم تدلهم الدينة وتتلهم وتحولهم لحيوانات مدللة صغيرة نموت ان  
لم تطعمها ٠٠٠٠

بمرور الوقت اكتشف الجمع أنه في حاجة الى قيادة حقيقية تحافظ  
على قطرات الماء التي يحملونها ٠٠ ويعرف الاتجاه والمنطقة ويحدد خط  
السير ٠٠ ويتحمل المسؤولية ٠٠ الان لا داعي للترقب انما مطلوب قائد حاسم  
٠٠ غير متردد ٠٠ يفهم الموقف ٠٠ ويستطيع ان يقود ٠٠ وتكون تلقائيا  
طاقم قيادة ٠٠ فرض نفسه لامكانياته وأطاعه الآخرون رغم أن منهم من  
هو أقدم رتبة ٠٠ وحدد الطاقم الطريق ٠٠ لو تحركنا في اتجاه الغرب فسنصل  
بأكر الى طريق البحيرات نخترقه بسرعة ٠٠ ونصعد للمجبل ثانية بعد  
بأكر لوسرنا بنفس المعدل سنكون على ضفاف القنال ،

وحمل آخرون زمازم المياه بحيث يتم توزيعها في حضور الجميع  
وبنفس القدر ٠٠٠ وفي وقفات خاصة ٠٠

واستطاع الجمع بذلك أن يصمد ويتحرك في وسط السكون ٠٠  
لا تقعات ٠٠ ولا رصاص ٠٠ ولا مدرعات ٠٠ ولا دماء ٠٠ ولا صوت  
٠٠ ولا حتى أحاديث ٠٠ اصرار على الحركة فقط ٠٠ كان كل شهر يقطعه  
الجمع ٠٠ لا يستطيع العودة اليه ٠٠ فلقد كان أسفل الجبل وعلى طريق  
تد - يتحرك قول من المدرعات الاسرائيلية وكأنها في طابور استعراض

يسير أمام النصبة الرئيسية في ثقة شديدة .. اعداد لا نهائية من المدرعات المتجاورة يحرم عليهم العودة .. أرض مصر .. يحتلها الاسرائيليون .. ويمنعون المصريين من الحركة .. آه .. آه .. وانتهى الماء المحافظ عليه وابتدأت المعدات تطالب بالطعام .. وفقد الرجال طاقتهم وأبتدأ الاله آمون يترك مكانه في مملكة النهار ليدلف الى مملكة الظلمات بعد أن كبر وشاخ خلال رحلته عبر السماء .. وقبل أن يغيب اهدى الجمع قطيعا من الماعز .. يرعى في سلام .. وجرى كل اثنين خلف معزة .. كانت الماعز تحاورهم وتجري منهم وكلما تصوروا انهم قابضون عليها افلتت ..

وأمسك صديقنا وآخر باحدى الماعز ووضع فمه على ضرعها .. يالذه .. سرسوب من اللبن الدافئ يصططم بحلقه الجاف فيرطبه ويرويها .. الماعز مستسلمة .. بل تنظر اليهما بحنان شديد ..

يقول صديقنا .. كانت تنظر لى بحنان أم وحبيبة .. وانهلث عليها أقبلها بين العيينين .. يالانسانية هذه المعزة .. يالأمومتها تركتنا نشرب لبنها في محبة وسلام .. لقد حطمت حياتي بعد ذلك تلك المعزة .. فانا مازلت أبحث عن نظرات عينيها بين النساء حتى الان وأفقدتها .. لن انساعا ما حييت ..

كان آمون قد أنهى وظيفته في هذا اليوم وهذه الذكر بعد ما شاهده على أرض الكنانة .. وقرر دخول مملكة الظلمات وكان اصداقنا يستغيثون به .. أن أبق قليلا ولكنه لم يكن في حنان الماعز .. لقد كان قاسيا للغاية وتركهم في ظلام .. وأصبح الطريق غامضا .. لا يرون شيئا الا جبالا تكسوها المهابة .. والسواد .. وتجمع داخلها المتناقضات .. السلام والهدوء .. والغموض والرعاة .. وابتدأ الهواء يفقد حرارته .. ويلبسهم قلا تحميهم ملابسهم الصيفية .. وقفز الدفء ليصبح هو حاجتهم الاساسية .. ولكن كيف !! وقد فقدوا كل ترث البشرية العلمي في بعث الدفء .. ان الانسان في عصرنا بدون أدوات حضارية ضعيف جدا .. ترى كيف عاش اجدادنا في العصور المتوحشة في هذا البرد عراة .. وتحرك العقل البشرى يحميهم ويخود عنهم كما ذاد من قبل عن اجدادهم فمنعهم من الانقراض .. عليكم ان تتكيفوا مع الوضع الجديد .. وهكذا ابتكروا طريقة للدفء بأن يحتضن بعضهم بعضا فيبعث كل منهم الدفء في الآخرين ويتمتع هو الآخر بدفء مقابل .. وناموا فوق الجبل أجسادا ملتصقة لا فارق بين

جسد ضابط أو جندي أو صف ضابط فكلها باعثة للدفء .. وفي وحدتها  
نجاه للجميع .

وظهر حورس في الامق متجدد التنسائط فايئظ النيام باعنا الامل  
في نفوسهم مستكشفا ما حدث .. ليحكى القصة التي لا يزال يراعا منذ بدء  
التاريخ .. ظلم الانسان لاخيه الانسان .. تجبر القوى .. وحيرة الضعيف .

ومع الضوء .. جاء السؤال .. ما العمل ؟؟ .. هل سيصلون ..  
هل ضلوا الطريق .. لا بد وأن يكون قريبا من هنا .. وجلس البعض  
في باس مكانه .. وتحرك آخرون .

وتساءل صديقنا كيف يمكنه المحافظة على قدرته وحركته .. لا بد  
وإن يأكل .. وأدار بصره حوله فلم يجد شيئا .. الا بعض القواقع تركت  
في مجرى سيل .. وفكر قليلا لا بد وإنها تحوى بعض البروتين .. فما  
المانع من أكلها .. شكلها كريه .. ومع ذلك مد يده وأخذ يكسر بعض  
القواقع يمتص ما بداخلها .. ليس طعمها كريها .. وابتدأوا يتسابقون  
بعد ذلك في العثور عليها حتى تحدث المعجزة . في بعض الاحيان تكون المعجزة  
أن تكسب شهادة استثمار .. أو أن يموت لك قريب في الارجنطين أو أن  
تكون الفتاة التي تحبها لم ترضع عليك .. هكذا علمتنا السينما المصرية  
والجريدة .. والقصة .. ولكن أن تكون المعجزة اثرا لسير عربة .. فهذا  
شيء جديد ..

لقصد وجد الجمع .. أثارا حديثة لعربة .. معنى هذا أنهم بتتبعهم  
له سيصلون الى مكان مألوف أو طريق يحدد لهم حركتهم .

وساروا على هداه .. حتى وصلوا الى عدة عربات مضروبة بالصواريخ  
هل بهاماء .. ولم يجدوا الا قليلا من المياه الصالحة في الرديراتيرات تخاطفوها  
سريعا ..

وتتبع آخرون مسارات أخرى .. ثم عادوا يصيحون الطريق .. الطريق ..  
سمالت صديقي : الا زلت تحلم بأن نكون قوّة كبرى باتحادنا ..  
الم يكفنا ما حدث لنا !!

أجاب وما الذى حدث لنا .. اربعون عاما من المعاناة .. مائة عام ..  
أن عمر الشعوب يا صديقى لا يحسب بالاعوام القليلة هذه .. ولا بد أن نحلم  
واقدمنا على أرض الواقع الصلبة لنطوره ونبنيه على أساسات قوية نحتمل  
بناءا شامخا .. ان الاجيال القادمة تطالبنا بما لم يحققه لنا الاباء وعلينا  
أن نزرع شجرة الزيتون التى لن يأكل ثمارها الا الاحفاد ..

اندفعوا فى اتجاه الطريق .. لقد كان طريق البحيرات فعلا .. بالتالى  
لم يضلوا كثيرا .. يصبح الباقى للوصول للقتال حوالى سنتين كيلومترا  
أى يمكنهم الوصول خلال يومين .. وتجدد الامل مع صباح آخرین الماء  
.. الماء .. لقد كان هناك عربات محملة ببناطيس وجراكن ممثلة بالماء  
ومحطة على الطريق .. شربوا حتى ارتوا .. وحملوا كل ما استطاعوا  
حملة من أوعية ممثلة .. واستعدوا للحركة .. واختلوا .. جزء منهم  
رأى السير بمحاذاة الطريق .. وجزء آخر رأى اختراق الوادى وجزء قال  
فلنصعد ثانية الى الجبل .. كان الرعب من الجبل أقوى من الرعب من طائرات  
العدو وقولاته ... خاصة أن ذلك المذبح الثرثار كان لا يزال يتلکم  
عن القتل والخنق والضرب .. وأن القوات المصرية قد حصرت القوات  
الاسرائيلية على الطريق الاوسط .. وهم على الطريق الجنوبى .. هم أذن  
في امان .. المشكلة فقط مشكلة وقت وانتصر الراى الذى يقول أن يخترقوا  
الوادى فهو حل متوسط بعيدا عن مغامرة الجبل .. وبعيدا عن اغراء الطريق  
للطيران المعادى .. وكما تضع بلورة سكر صغيرة فى محلول مركز فتجتمع  
حولها بلورات أخرى وتكبر كذلك حدث لهم .. تجمع حولهم اعداد كبيرة  
من الجنود والضباط الشارين فى الجبل .. وزاد عددهم حتى قارب المائه ..

حاولوا التفرق لمجموعات صغيرة .. ولكن كل المحاولات باءت بالفشل  
أمام غريزة القطيع .. وتنبه صديقنا الى عامل جديد استجد .. نظرات  
كراهية اطلت من أعين بعض الجنود الجدد للضباط وكانهم يحملونهم  
مسئولية ما حدث لهم .. وتوقع أى تصرف خال من الحكمة .. كان صديقنا  
يحمل مبلغا من المال حوالى مائتى جنيهها هى خصيلة بضائع بيعت من  
كادتين الوحدة .. ورغم أن النقود لا قيمة لها فى مثل هذه المواقف .. ولا يمكن  
استخدامها الا أن الامل فى ثراء مفاجيء قد يدفع أحدهم ومن خلال هذه

المفوضى لسلبها ولو على جثة صديقتنا .. فإخفى النقود بين ملابسه  
الداخلية وجسده ...

كان الجمع يتحرك يحدوه الامل في النجاة ويغذيه بدلا من الطعام ..  
بعضهم يحلم والبعض الآخر يبسخط والبعض يتحامل على نفسه حتى سمعوا  
صوت محركات طائرة التفتوا جميعا لها .. كانت طائرة اسرائيلية ذات  
محركات تسير بمنتهى الامان تستكشف المنطقة .. كانت نجمة داود  
واضحة عليها ..

زق أحدهم ارقدوا جميعا .. كان الامل الا تراهم .. ولكنها استدرت  
لتعود ثانيا فرقمهم .. ليرقدوا .. وهكذا حدث حوار غريب بينهم وبين  
طائرة الاستطلاع .. كلما أعطتهم الطائره مؤخرتها ساروا .. وكلما عادت  
رقدوا على الارض .. ولكن بعض الجنود لم يشعروا بالمسؤولية .. خاصة  
بعدما فقدوا احترامهم لمقاتلتهم فكانوا يتحركون بغض النظر عن مكان الطائرة  
.. وابتدأ يدور بينهم حوار .. ترى هل لا خطتهم .. هل سترمي جنود  
مظلات ؟؟ هل هي طائرة استطلاع ... !! هل هي ناقلة جنود ! لماذا تتحرك  
بأمان هكذا رغم بيانات الاذاعة بأن الطريق الجنوبي مؤمن .. وقطع حديثهم  
عقورهم على عربة زيل معطلة في وسط الوادي .. عندما اداروها وجدوها  
سليمة ... ووجدوا بها بعض الطعام علب اكل محفوظ .. كانوا يأكلون  
ويحلمون حول العربة ..

بعضهم كان رايه ان يركبوا العربة ويتحركوا بها في اتجاه القتال ..  
بأش حوالى أربعين كيلو مقرا تستغرق ساعة .. في نهاية اليوم يصبحون  
في الاسماعيلية ..

البعض الآخر كان يرى أن القوات الاسرائيلية بعيدة ولا خطر الا من  
الطيران فلينتظروا حتى غروب الشمس ويتحركوا بالعربة .. ونصحهم  
أحدهم بالابتعاد عن العربة كي لا يلفتوا النظر اليهم .. وكان صديقتنا  
قد اطمأن .. بعد ساعات سيصل الى البر الغربي .. سيرسل لاهله تلغرافا  
من كلمتين « لازلت أعيش » وبعدها سيذهب لرؤيتهم .. سيصل .. سيصل ..  
يا للمفامرة .. رائحة خصوصاً لو انتهت بسلام .. كان يجب كيف

أسنطاعوا أن ينجوا من الموت .. ينجوا من الموت وصدمته هذه الفكرة  
والجيش .. والحرب .. والهدف .. والقضاء على إسرائيل والدفاع عن  
العروبة .. ماذا حدث ؟ !! كان يريد أن يأكل .. أن ينام .. ترى ما سبب  
الهزيمة ؟؟ هل أصبحت هزيمة ؟ من ادراه فهو لا يرى الا جزءا ضئيلا  
داميا من الصورة .. وشعر بالخدر فاسترسل في احلامه .. كان يريد أن  
يستحم ... أن يخلق ...

وفجأة وبظنرة للأفق البعيد تبددت كل الاحلام .. لقد ظهرت طائرة  
حربية تطير على ارتفاع منخفض .. وخلفها أشباح سوداء تتحرك على  
الأرض ..

سألته : وهل ستتركنا الدول الكبرى تنمو ونناطحها ..  
الآن تطالبنا بالثمن ..

رد : هي دائما تطالبنا بالثمن وهي دائما لا تتركنا ننمو ولكن هل  
تتصور أن الحياة مفروشة بالزهور دائما .. وهل كانت الدول الكبرى منذ  
الازل دولا كبرى .. !!

الساعة حوالي السادسة مساء ٨ يونيو والشمس تميل للمغرب وأصدقاؤنا  
مجموعة من الضباط والجنود المنسحبين عبر سيناء في طريقهم الى مصر ..  
حوالي المائتين رجل على يمينهم جبل لا يعرفون ماذا وراءه .. وعلى يسارهم  
واد رملي غسيع جاءوا من خلاله .. وخلفهم يمتد الوادي في اتجاه مجهول  
قادم منه أشباح مكدرات سوداء تتقدمها طائرة تطير على ارتفاع منخفض  
.. وعلى بعد عشرات الامتار منهم عربة زيل معطلة ولكنها أملهم في أن  
يتحركوا بها الى القتال .. وبين الكودى الحشيشية البرية المنخفضة  
يرتدون في انتظار الظلام - اللحظات تمر ببطء كأنها دهور وهم يكتمون  
انفاسهم في انتظار القادمين .. ترى هل هم جيشهم جاء متصورا أنهم مجاميع  
إسرائيلية هابطة في الوادي !! أم ترى هم إسرائيليون قادمون للتخلص منهم

ولاول مرة يكتشف صديقنا أنه من الممكن أن يموت فان الأشباح  
القادمة ستطلق عليهم النار حتى يتعرفوا عليهم .. وعلى هذا قد يقتل  
بعضنا بعضا .. الموت .. الموت لأول مرة .. وفجأة صاح ..



- اليهود .. دبابات اسرائيلية ..

- لا .. انها دباباتنا ..

- انها .. لليهود ... وأنهت المناقشة .. اصوات طلقات رشاشات  
ومدافع دبابات .. ومرت عن يمينهم ويسارهم دبابتان تليهما عربتان  
مدرعتان .. وارتفعت الطائرة الى اعلى .. لتدور دورة كاملة في السماء ..  
فلقد أدت دورها .. وتصاعد من الجمع المخفى بين كدى الحشائش التصبرة  
أصوات عديدة ...

- نحن عرب ... احنا مسلمين ..

- اسكت ... دول يهود ..

- يا حبيبتى ... يا بنتى مين حبيبكى بعدى ..

- متنا خلاص ... أشهد أن لا اله الا الله ...

- سلم يا محمود ..

- ارفع المنديل ..

- مظلومين والله مظلومين ..

- سلم يارب .. سلم يارب .. سلم ..

- احدهم يجرى نحو العربية في محاولة يائسة للدوب بها ..

- ابعد عن العربية .. يعقبها طلقة مباشرة تصيب العربية فتحولها  
الى كتلة نار ...

طلقات الرصاص ترسمهم .. اصوات جنازير العربات المدرعة قريبة  
وملاحظة كأنها تسرع مقلقة لتنوس على الاجساد الملتصقة بالارض ...

يقول صديقنا : كنت احاول ان اغوص في الارض كي تحمينى ..  
ولكنها كانت تلفظنى فوقها كأنها أم مجنونة قاسية قذفت بأبنها على شريط  
للسكة الحديد وهى واقفة تضحك لترى هل سيهر القطار القادم فوق ابنها  
أم على الشريط المقابل ... »

تجاوزتهم العربات والتفت امامهم مكونة نصف دائرة اطلقوا عليهم  
دفعات متتالية من الطلقات .. ثم قفز الجنود الاسرائيليون من العربات

ينادون جبرية ركيكة « سلم يا مصرى .. قومي .. مفيش حد حذصريه .. »  
في الوقت الذى يصبح فيه الانسان وجها لوجه امام الموت ينتابه شعور غريب  
عادى .. الحقيقة مجردة من جميع الاخفاءات التى يحاول أن يخفيها بها  
في الظروف الطبيعية .. ويتصرف كل منا ولاول مرة على سجيته وتأخذ  
الاشياء حجمها .. الطموح .. الرغبة .. الامتلاك .. الفخر .. حتى الحياة  
نفسها .. وهكذا تجرد اصداؤنا جميعا واصبحوا عرايا امام انفسهم وامام  
الاخرين وتحول رجال منهم الى اطفال يهنهون وتحول بشر شامخون  
الى خرق مهلهلة .. وتحول بعض الصامتين الى جبال صلبة شامخة ..

كان احدهم يبكي اطفاله الذين سوف يتيمنون .  
واخر يستجدي عطف آسريه باطلاق مجموعة من الشتائم في كل من  
يجلو لهم سماع شتائمه فيهم .

واخر لم يبق له الا تراثه الفكرى المتمثل في الدين فاخذ يقرأ سوراً  
من القرآن ويصلى تائباً عن ذنوبه ..

ورابع اخرج صورة زوجته واخذ يكلمها ويقلبها .. احضرت لك الشفة .  
والسيارة .. وكل ما طلبت وذهبت أنا .. معاشى سيجملك ..

وخامس خلع رتبه العسكرية واتهمك في حفر خفرة ليدفنها فيها ويسرعه  
خلع سترته لكي يخلع الفانلة والكلمسون فاليهود يعرفون الضباط من  
ملابسهم الداخلية ..

ودار في نفس صديقنا سؤال عجيب لا يدري كيف قلز الى قشرة شعوره .  
ماذا فعل بملابسه المكسرة في دوابه وبلاجهزة المصرية التى في منزله ..  
ومغامراته العاطفية المتعددة .. وقراءاته .. وتعلمه عشرات السنين ..  
وسهر الليالى في الرسم والتصميم حتى حصوله على البكالوريوس ..  
ودموع الفراق .. وساعات الانتظار .. وصراعه وعنفه .. ثم تهدد وقال ..  
« مسكينه يا أمى ترى كيف تستقبلين خبر موت ابنك » .. كل الاشياء  
أصبح لا قيمة لها الان وكل الساعات التى قضها هيام .. وكل الليالى  
تبخرت .. ولن يبقى الا بعض الكتابات التى قد يهتم بها افسان ما ..

آه لو كان له عمر فسيهبه ليترك اثرا في الحياة .. سيفير حياته  
بالكامل حتى ...

« سلام يا مصرى .. قومي مفيش حد خضر به .. احنا مش  
متوحشين .. قومي » وقام صديقنا مع من قاموا .. الان هو امام  
الاميراثيين وجها لوجه .. ها هي ذى اللحظة .. ولكن في موقف مخزى  
يستجدى حياته في نظرات الاعداء .. ها هي ذى اللحظة .. ولكن  
يا لها منها .. تشجع يا فتى انه القدر الذى كتبه عليك فزو الكأبات  
الحمراء ... تشجع فان مت فلتمت شجاعا .. تشجع لو ضعفت فستنم  
طول عمرك .. تشجع فلن يجدى انهيارك شيئا الا لذة عدوك .

سألت صديقنا : هل أنت ياض عما حدث حتى الان !!

اجاب : لقد قمنا بأقصى ما نستطيع .... ان الحرب عمل لا انساني  
مرعب .. التدمير .. والقتل .. والتشوهات البدنية والنفسية .. شئ  
لا يحتمل .. واذا كان من الممكن ان تسترد حقوقك دون تفريط بالسلم  
فبالتاكيد هو أفضل من الحرب ...

سألت : هل لتجربتك الشخصية دخل في وجهة نظرك هذه !!

اجاب : بالتأكيد لا يعرف الوجد الا من يكابده ... ولا الصبابة  
الامن يعانيتها ...

## الفصل الثالث

### الاسر

عندما عاد صديقنا من الاسر كان قد استقر في روعه من خلال المعاناة الطويلة بأن الهزيمة التي تمت كانت هزيمة مجتمع .. وأنه لابد من حدوث تغييرات أساسية في هذا المجتمع لمواجهة الهزيمة .. وأنها كافية جداً لتجعل كل القوى تتكاتف وتفتيق من غيبوبتها .. كان يقول دائماً « لقد كنا نعيش ونحن نتخيل أننا نستند إلى حائط صلب ونقف على أرضية متماسكة .. وكنا نرمي بكل ثقلنا على القيادة .. متصورين أنها تصنع المعجزات .. هكذا علمونا .. لذلك أخذنا موقف المتفرج وفي أفضل الاحيان المتعاطف الساذج ولم نحمل ابداً مسئولية اتخاذ قرار استنادا على أن القيادة أفضل وتعرف صالحنا أكثر .. وقرارها سيكون الاصول وتفاوضينا عن أشياء كثيرة وسلبيات حادة تراكمت ونخرت في البناء حتى أصبح بناء من قش طار مع أول صدمة »

ولم يستطع ما حدث أن يمحى حماسه وثقته بالقسوة .. بل كان يتخيل أنه انحراف أو خطأ حدث ويمكن تعديله .. بتكاتف كل القوى .. ولكن صدمته كانت كبيرة ... عندما عاد فوجد أن المصريين هربوا من المواجهة .. جزء منهم هرب عن طريق الامراض الهمستيرية .. أي تحول مرض نفسي إلى جسدي .. فمرضوا بالضغط والسكر و امراض القلب والمعدة .. وجزء آخر هرب بالهجرة .. وجزء هرب بالتجائه إلى التطرف الديني أو القتلوف العبيث والاستهتار والفرق في اللذات الحسية .. وحتى الذين لم يهربوا وحاولوا اتخاذ موقف ايجابي لجأوا إلى أنماط جاهزة تعلموها من الصين وفيتنام وكوبا والاتحاد السوفيتي .. وأنفسبموا إلى شراذم صغيرة تتخفى تحت الأرض ويجور بينها وبين بعضها صراعات مرعبة .. وبينها وبين الحكومة ثقة مفقودة ...

ومكذا عنهما تخلخل البناء بحث كل منا عن وسيلته الخاصة للنجاة  
تماما كما حدث لحظة أسرهم ٠٠ عندما تحقق الجميع أنهم أصبحوا أسرى ٠٠  
انطلقت الأصوات مليش دعوة ٠٠ ملعون أبو الحرب ٠٠ احنا مسالمين ٠٠  
وكان الآخرون يصيحون أيضا « ايدك على رأسك » ٠٠ مين اللي رعى  
القنبلة على الدبابة ٠٠٠

واقترب منه شاب في حدود الخامسة والعشرين أبيض ذو شعر محدد  
طويل يلبس أوفرول أخضر مزركش ويسير بكبرياء وخيلاء شديدين ٠٠ وفي  
نفس الوقت حذر من المفاجآت ٠  
وسأله : « انت ضابط » ٠

سأله وفي نفس الوقت مد يده نحوه فاخطف النظارة البيريسكول  
وقذف بها لزميل له وقف بعيدا ٠ فتشبه ولم يكن معه شيء ذو بال سوى  
النقود التي أخفاها ولم يعثر الآخر عليها ٠ سحبه بعيدا وقال : ارتد ٠٠  
ايدك قدامك ٠٠ اخفض رأسك ٠

جمعوا الجنود في مكان والضباط في مكان آخر كنا صديقنا وضابط  
آخر ثم ابتدأوا يحضرون رشاشاتهم لاطلاقها على الجنود  
وقف باقي الضباط وكانوا قد تخلصوا من رتبهم مذعورين ٠٠ منبئين عن  
أنهم ضباط ٠٠ عرضوهم على صديقنا فأقر ورصوهم بجواره ٠ وزعوا المياه  
لكل فرد رشفة من زهمية معدنية مثلجة ٠٠ مساء ذو طعم خاص مخلوط  
بالمغنيسيوم أو ما شابه ذلك ٠٠

سأله أحدهم باللغة العربية وهو رائد : ماذا تعمل ٠  
رد عليه صديقنا بالانجليزية : مهندس معماري ٠

ثم ابتدأ يتكلم بالانجليزية ٠٠ لم يكن يدرى لماذا فعل ذلك ٠٠ كل  
ما شعر به أنه انطلق يتحدث بالانجليزية ٠٠ هل كان يتصور في ذلك  
الوقت أنهم لن يفهموا العربية ٠٠ أم لأنهم أغراب كلمهم بلغة غريبة ٠٠  
أم أنه حاول لا شعوريا أن يفهمهم أنه مثقف مختلف عن الآخرين ويجب  
ألا يقتلوه بدون سبب ٠٠٠

ولكن لم يهتم هذا الحال طويلا فقد زعق بالعربية .. وكان الصوت  
قادم من انسان اخر غريب عنه .. حرام عليكم .. حتملوا ابيه فيهم  
عندما شامدهم يجهزون رشاشاتهم لاطلاقها على الجنود .

التفتوا لصاحب الصياح ليؤدبه .. ولم ينفذه منهم الا قدوم عربية  
جيب مركب بها جهاز لاسلكى وضابط كلهم بالعبرية .. فتركوا الجميع .  
الا واحدا منهم اراد ان ينتهز الفرصة لياخذ لنفسه بعض الاسلاب .. فمد  
يده لينزع خواتم الزواج من الايدي ولكن لسوء حظه انه قد ابتداً بذلك  
الضابط الذى اخرج صورة زوجته يقبلها اثناء الموقف فصاح فيه هذه ليست  
ملكى انها ملك المدام خوفاً من الفضيحة تنازل عن رغبته فى الاسلاب ..  
قوموا ... تقدم ضابط يدير الطابور .

وتقدم اقدمهم ليدير الطابور .. طابور من الاسرى !! ومع ذلك فلتد  
كان يديره كما لو كان فى استعراض .. بالطبع لم يقصد هذا .. ولكنه  
تعود ان ينادى على الجنود بنفس الطريقة خصوصا لو كان ذلك امام قائد  
كبير يريد ارضاءه .. وهو هنا يحاول ارضاء آسريه .

الاسرى متعبون .. خائفون لدى اى بادرة غير عادية تصدر من الجانب  
الاخر فهم لا يأمنون لهؤلاء السائرين خلفهم .. أعدائهم . وجنود الاعداء  
فرحون كأنهم مجموعة من أرسقراطى العصور الوسطى خرجوا للصيد  
وعادوا بمجموعة نادرة من الحيوانات سليمة ..

ظل صديقنا يتفحصهم .. هؤلاء الاعداء .. هؤلاء المنتصرون  
الاسرى المتحكمون فى حياتهم .. لا يمكن ان يضم جيش كل هذه  
المتناقضات فى اللبس والسلاح والشكل واللغة والحركة والتصرف .

ملابسهم : مايوه .. ( اى والله مايوه ) قميص احمر وبنطلون  
كاكى .. أوفرول اخضر وحذاء مظلات .. أوفرول رمادى .. أوفرول  
اصفر .

اغذية رؤسهم : طافية صوف مشغولة .. برنيطة رعاة بقر امريكية ..  
طافية مصرى .

أسلحتهم : خنجر - رشاش عوزى اسرائيلى - رشاش بور سعيد -  
بنديقية بلجيكي - بنديقية تشيكي - بنديقية رش ( أى والله رش ) .

مجموعة متنافرة لا أساس لها . . ولا تكوين . . غريب . . حل عؤلاءم  
أسروهم أبيض أسود . . أسمر . . شامى . . عراقى . .  
مغربى . . يمنى . . مصرى . . تأمل صديقنا ثم ضحك ورويت على كتفه . .  
سأله :

- ألسنت من الظاهر ؟؟

- نعم

- مدرسة الالهامية .

- نعم

- لقد كنت معك فى المدرسة .

- ماذا ستفعلون بنا .

حظكم رائع . . صدرت الأوامر الآن فقط بوقف إطلاق النار واخذ أسرى  
قبل ذلك بحقائق كانت الأوامر تقتل ولا أسرى الا فى أضيق الحدود . ثم  
دار حوار سريع بين الطرفين . . كل منهم كان يريد أن يتعرف على الطرف  
الآخر . . حاول الاسرائيليون فى البداية تهذئة الاسرى . . لا تخافوا نحن  
لسنا متوحشين . . ماذا تظنون بنا .

بعد ذلك ابتدأت الاسئلة . . لو كان الوضع بالعكس ماذا كنتم  
بنا فاعلين . ثم ابتدأت نغمة الفرح والتعالى . . ما رأيكم فى طيرافنا ؟؟

كانت فرحة النصر تتلألأ فى أعينهم وفى زهيرات صوتهم . . لا يستطيعون  
إخفاءها . ولا يستطيعون تصديق أنهم فجأ من ربهيم فى البحر .

كانوا يريدون أن يتلفخوا برؤية زعب أسراهم وخوفهم وضياعهم .  
لحظات غريبة تلك فى حياة الانسان التى يصبح فيها بلائمن ويمكن قتله  
يسهولة لنزوة فى رأس مجنون . أو للتسلية . . لو أن جنديين مهوسين

من ضغط الموقف والارهاق نراهننا على أن يصيب أحدهما عين أحد أسراهم  
اليمنى في مقابل زجاجة كازوزة ٠٠ لكان من حقهما ٠ عنهما كنا نسمع عن  
إبطاره لهم السلطة للاطاحة برأس أى انسان لسبب واه أو بدون سبب  
كانت أجسادنا تتشعر ٠٠ فما بالك بأصدقائنا هؤلاء ٠٠ الذين أصبحوا  
بدون ثمن ٠٠ جردوا فجأة من الحصانة التي يتمتعون بها طول عمرهم  
ولم يشعروا بنعمتها وهي الا يموت أى منهم بدون مبرر ٠ وبدون أن يدافع  
عن نفسه ٠٠٠

كان صديقنا يحلم وهو يتحرك في طابور الاسرى ٠٠ آه لو كان الأمر  
بيدى لفرصت الحق والعدل دون دماء ٠٠ ثم أبتسم ٠٠ عننا للأساطير  
والخرافات الشرقية عنهما يحلم كل منا بخاتم سليمان يحركه فيتحقق  
له أمانيه ٠٠ لا عدل الا مع القوة ٠٠ وفي الوحدة ٠٠ والتدريب ٠٠ والعمل  
المستمر ٠٠ والقيادة الواعية ٠٠ والانتصار يحتاج لعرق وتعب وتضحية  
وايثار وعقل وبذل وتخطيط ووعى وتجانس بين المحاربين في الحياة  
والمعيشة والهدف والرمى والايمان بالقضية التي يحاربون من أجلها  
وهذا حدث لهم فانتصروا وافتقدناه فما نحن نسير في طابور الاسرى ٠

عندما قامت أول مظاهرة في القاهرة بعد الهزيمة ٠٠ وكان صديقنا  
قد عاد من الاسر ٠٠ كانت مظاهرة احتجاج على الاحكام الصادرة ضد قادة  
الطيران ٠٠ اندهش صديقنا ٠٠ فلقد كانت أول مظاهرة يشهدها منذ أن  
قامت الثورة ٠٠ أى احتجاج الأمر لسنة عشر عاما وهزيمة عسكرية حتى  
يستطيع الانسان المصرى أن يحنج ويعلن احتجاجه في مظاهرة  
جماهيرية ٠٠ وودلو أنه انضم لها ولكنه خاف ٠٠ خاف عليها من أن يقبض  
عليه فيقال أن المخابرات الاسرائيلية هي المحركة للمظاهرة فيفسد الهدف  
منها ويفسد اسمه أيضا ٠٠ أن هذا الخوف في نفسه وفي نفوس الآخرين كان  
يغريه بالتأمل ٠٠ وكان يقول هذا لجنوده ٠٠ أنتم تخافوننى واقصى  
ما استطيع أن أفعله هو أن أسجنكم لكن ماذا ستفعلون مع اعدائكم وهم  
يستطيعون ما هو العن ٠٠ أن يقتلوكم ٠٠ لا تخف منى ٠٠ كى لا تخاف  
من عدوك فتستطيع أن تحارب ٠٠ الانسان القادر هو الانسان الخر المتحرر  
من المخاوف ٠٠ الأمن على حياته ولقمة عيشه وعمله وحريته ٠٠  
فيدافع عنها ٠٠



أحضروا لهم عربة مغلقة وركبوا فيها ٠٠ أو ركب من تبقى من المجزرة  
حوالي الخمسين ٠٠ والباقى تركوهم جثثا أو أشباه جثث بعين كودى  
الحشيش ٠ قفلت العربة من الخلف بأذلال الكبود المشمع واظلمت الدنيا ٠٠  
وأصبح كل منهم مع نفسه وفي مواجهتها وتضاعفت الأحداث لا يعرف من  
القاتل ومن الملقى ٠٠٠

- أبعد يا أخ شويه ٠
- يا بنى هنا مكان الضباط
- هو هنا كمان ضباط ومش ضباط ٠٠ كلنا أسرى فى أيديهم ومفيش  
حد أرجل من حد ٠
- آه لك حق الرجل كان وانا نفسه ٠
- الوحيد اللي فيكم الرائد الذى صرخ علشاننا ٠ يا أخى راجل فعلا  
لا قال كلام فارغ ولا اتهم زى الثانيين ٠
- لولاه كنا متنا ٠٠

كانت هذه الكلمات نياشين علقت على صدر صديقنا رغم أن تأملها  
لا ينتظر مكافأة على ذلك ورغم أنه لم يتصنع لتقال له ٠٠ وأبتسم ٠٠ حتى  
في أحلك الظروف يستطيع الانسان أن يرضى عن نفسه ٠٠ ولكن ماذا فعل  
ليرضى عن نفسه ٠٠ لم يخلع رقبته وينكرها ٠٠ ثم يعود ليتمسح بها ٠  
دافع عن الجنود بأضعف الايمان وهو الصراخ ٠٠ لم يتكلم بدون سبب  
ولم يسمع أسريه ما يحلو لهم ٠٠ وتعلم من ذلك درساً لا يتخلى عن قيمه  
حتى أمام الموت وليمت رافع الرأس ويتحدثون عنه ويستمدون من صموده  
قوة ٠٠ خير من أن يبقى ويرى نظرات الاستياء والاحتقار في عيون الآخرين  
٠٠ ان العيون ترصد كل العيون وتقوى وتضعف بها ٠ وعليه أن يكون مصدر  
قوة لنفسه وللآخرين في أزمته ٠٠ ووجد يده تمتد لتربت على رأس ما  
تبكى ٠٠ لا تبك يا رجل ٠٠ لا تحزن ٠٠ لقد ادبت واجبك ٠ ولنستفد  
من الدرس ٠٠ ان جبن وقذرة واستهتار الآخرين تهما جميعا لان حياتنا  
مرتبطة بهم وبتصرفاتهم ٠٠ فلا تتركهم يلعبوا بأقدارنا بعد الان ٠٠ لو ٠٠  
لو قدرت لنا الحياة ٠

وقفت السيارة أمام مبنى ٠٠ ضوء الشمس اختفى تماما وحل الظلام  
مجموعة من الجنود الاسرائيليين وأمامهم برميل ممتلئ بالماء وكوز ٠٠ قفز

الاسرى بالتقالى من العربية .. وتم تفتيش كل منهم .. جيوبه .. ملاهسه .. ويخلع حذاءه وشرابه .. ثم يشرب كوز ماء .. ويخل المبنى .. الاضواء خافتة .. ونسمة هواء باردي تلمح كل من ينزل من العربية فيرتعش .. اصوات تنطق لغة غريبة على الاذن .. كأنه كابوس أو احد أفلام فليبينى .. يفرك عينيه لعله نائم .. ثم يتيقن أنه يعيش هذا الحدث عندما تلمسه أيدي حقيقية لتفتيشه .. يشعر بالارهاق الشديد أملة في الحياة الان أن يرقد لينام .. لا يعتر المفتشون على النقاد هذه المرة أيضا ... يخل الى المبنى .. الاضواء قوية .. يطلب مقابلة ضابط ...

— . . . . .

— عندى اقوال خاصة .

— . . . . .

— معى مائتان من الجنيهات المصرية اريد أن احتفظ بها معك .

— . . . . .

— انها مرتبى عن شهرين .

— . . . . .

— هل تريد الحق أم كلاما يناسب الموقف

— . . . . .

— نعم احبه لقد فعل لنا الكثير .. ابتداء من الاستقلال وتأميم القناة

.. حتى بناء السد العالى .

— فعلا عبد الناصر لا نستطيع أن ننكر انه زعيم عظيم .. ولكن

غلطته الوحيدة أنه أغلق مضيق ثيران .

لماذا قال هذا الكلام في هذا الموقف بالذات .. وبعد أسره بمدة

بسيطة ... لا يدري .. هل هو عناد قومى لم يكبح .. هل هو رد فعل

للشعور بالنقص ... هل عن ايمان ساحق .. هل ليكتسب احترام عدوه

بشجاعته أم كان للكلمات التي قيلت عنه في ظلام العربية اثر . أم لجميع

هذه الاعتبارات .

أشار له الضابط للمكان الذى سينام فيه .. كان صالة اسكواتش

راكنت في مبنى بسيتاء لا بد وأنه مطار .. فلا يلعب الاسكواتش في سيناء

الطياريون .. وفيه يوجد منصة أو بلكون للمراقبة معلق بها كشافات

قوية مسلطة على عدد من الاسرى المصريين الراقدين على الأرض كل اثنين منهم ملتفان ببطانية والحراس اليهود بجوار الكشافات ممسكون برشاشاتهم ينادون « كله ينام » بتهديد .. ولم يكن الاسرى في حاجة لهذا التهديد فسرعان ما استغرق الجميع في النوم ..

يقولون في القل الشعبي الجوعان يحلم بسوق العيش .. كان صديقنا يحلم بأنه ينام على سريريه بالقاهرة مريضا يتأوه .. ووالدته تضع كفها على جبهته .. عندما هزم زميله أو شريكه في بطانيته ليستيقظ .. كان الضوء الطبيعي يملأ المكان ... وكان معظم النائمون قد استيقظوا واستطاع ان يمتنعهم جيدا .. كان معظمهم من الضباط برتب مختلفه رواد ونقباء وملازمون .. وبعض المتقدمين كانوا يجلسون على الأرض مقرنصين في استسلام .. انتهت نظرات الرعب من أعينهم .. وحل محلها نظرات هي خليط من الاستسلام والترقب .. وكان جندي اسرائيلي طويل الشعر على موضه البيتلز قوى يرتدى ملابس ملتصقة بجسده ويتصرف كنجوم السينما .. يجمع البطاطين ويزجر الاسرى أمرا اياهم بالجلوس بجوار الحائط .. وكان أخز يمر عليهم بقطع من البسكويت والجبن الذي استولوا عليه من مخازن الجيش المصرى كوجبة أفطار ..

ورغم أن معظمهم لم يتناول طعاما منذ مدة إلا أن أغلبهم أعاد الأكل كما هو ورفض المزيد .. كأنهم متفقون على ألا يأكلوا .. الأغلق تتجه لأعلى .. تلقى المنصة نساء .. لم يروا نساء منذ شهر مجندات اسرائيل يطلن عليهم .. كأنهن ينظرن الى حيوانات غريبة مجموعة قرود في أقفاص بحديقة الحيوان .. أو قل قرود بجيلالية القرد ..

لا بل الآخرون هم الذين يتفرجون عليهم كأنهن معلمات سيئما خارجات من عند الكوافير لتوهن .. أحمر الشفاء .. الملابس الملتصقة بالجسد .. صدور النافرة المتمردة على قمصانهم .. المني جيب .. أه هذا جيش العاهرات .. لقد كان الأمل في امتلاك واحدة منهن سببا قويا للحرب لعديد من الضباط والجنود ..

ها من يتسلبن بالفرجة على رجال مصر الاشواوس .. لا بل وايضا يقذفن قطع الشكولاته لهم .. تماما كما نفعل مع قرود حديقة الحيوان ..

العجيب أن بعض الاسرى أخذ الحلوى وفكها وابتلعها بين نظرات زملائه ... حتى الانسان عندما يحبس يمكن أن يتصرف كالقرد ...

رقيب اسرائيلي يسأل .. هل هناك من يحتاج لطبيب .. وأجاب بالاجاب أكثر من شخص .. وحضر الطبيب .. كشف عليهم .. تأدية واجب .. وواجب ثقيل فهم من ساعات كانوا قاتليه ... أعطاهم بعض الاقراص المسكنة أو المهدئة .. كي يترك لظبعا بانسانيتهم ولكنه للأسف كان طبيبا وليس ممثلا فلم يجد الدور ...

انتصف النهار .. ثم نودى على صديقنا .. أعطاه رقيب اسرائيلي نقوده .. كان يعدهم له بالعبرية آحاد .. أشنين .. ثالث .. مائتي ليره .. ليكتشف لأول مرة قرب اللغة العبرية من العربية ..

سأله .. ماذا سأفعل بها .. رد الآخر .. اعطيها لمن سيستلمكم في المسكر الآخر ..

عربات لورى مدوّنة من الداخل بمقاعد للجلوس .. ركبها اسرائليا وعندما طالبوا بالماء قالوا لهم هناك .. عندما طالبوا بالطعام .. قالوا لهم ايضا هناك .. اقبلت العربات من الخلف كعادتهم في نقل الاسرى أصبح الضوء قليلا .. المقاعد متقاربة لدرجة اصطدام أرجل الجالسين متقابلين .. صديقنا يواجه رائدا .. يبتسم ابتسامه خفيفة .. قسّامات وجهه تقول " عزيز قوم ذل " .. صامت كأنه لم يتكلم أبدا ... سأله :

- سيادتك منين

- مدفعيه ( باختصار شديد )

- زعلان

- لا فرحان قالها بفرفرة وتهكم -

وشعر صديقنا بأنه كان سخيفا .. ولكن الرد كان اقصى .. وأصبح السكوت - أفضل عمل .. ولكن السكة طالت - سأله :

- الى أين

- علمى علمك

وكان هذا الرد نهاية لاي محاولة لفتح حديث آخر فسكت ثم سرح  
ثم صاحمته أفكاره .. ترى ماذا سيفعلون بهم .. نزع الاظافر .. تكسير  
الاسنان .. شد الشعر .

هكذا على الأقل يفعلون في معارضيتهم في مصر ... وخصوصا من يخع  
منهم بين أيدي رجال السجن الحربي ..

حقا اذا كانوا في مصر يفعلون هذا في المعارضين مجرد معارضين  
فماذا سيفعل اليهود بإسرائيل .. أو قل أعدائهم .. ونزع نفسه من أفكاره  
.. أين يستطيع الانسان أن يعيش .. كل العالم تحول الى غابة مرعية  
.. أكثر ضراوة من غابات الانسان الاول .

وحك ففقه فهو لم يتعود على اطلاقها بهذه الطريقة .. شعره أيضا  
اتسخ واصبح متربا .. يريد أن يستحم أن ينظف نفسه .

ترى ماذا سيقولون عنه أهله .. اصداؤه .. قائد الكتيبة ..  
ورئيس العمليات الهاربان .. وشعر بمرارة .. ترى هل سيعبر اليهود  
للقنال .. هل سيصلون للقاهرة .. يقولون وقف إطلاق نار .. ترى الى  
أي حد وقف القتال ...

كشفت غطاء العربة .. غابت الشمس وعم الظلام .. قفز من العربة  
.. قنابلته لفحه البرد نفسها .. الى أين !! يضع يده في جيبه بفتلونه  
ويحرك بكسل ... على الجانبين يقف جنود اسرائيليون أحدهم يزعم  
ويطوح برجله في الهواء ليضربه بالشلول يجري فتصدم قدمه بمن يأتي  
في الطابور بعده .. يضحك رغم المأساة .. كمكة ضخمة على الأرض  
ملتفة مثل أصبع الكفافة .. تتكون من رجال نائمين على الأرض عشرات  
.. مئات الاسرى .. حتى ليخيل لك أن كل الجيش المصري تم اسره ياخذ  
دوره في الكمكة .. المكان محاط بكشافات ضخمة من كل اتجاه .. كأنها  
تضئ حلقة سيرك .. وصوت الموتورات عال والخزاس يطلقون  
الرصاص فوق مستوى الرموس الراقدة مباشرة وهم يصيحون « فاموا كلكم »  
ان الناظر لهذا المنظر يتخيل أنها إبادة جماعية في معسكر من معسكرات  
النازي وان اليهود يلفسون عن عقدهم القديمة ..

ولكن لم يمنع هذا بعض الهمسات التي تجاوبت من أطراف الكعكة ..

- .....

- طر مطرحك ..

- أريد أن أشرب ..

- ما في ميه ..

- آه .... آه ....

- اسكتي ....

ووجد صديقنا فوق رجليه الثنيتين من البرد رأسا صفراء تتأوه  
ربت على الرأس .. فوجد وجهها متورما من الضرب ..

قال - عطشان حموت

- اسكت الا تزي الرصاص ..

آه .. آه .. آه .. آه ..

كان الصوت يؤلمه .. حتى فقد رغبته في الحياة .. فصاح ليخفف  
عنه ....

- يوجد مريض هنا ....

وكان الرد - اسكتي ..

- انه يموت .. كمحاولة اخيرة متسترا بالظلام ..

وجاء الرد - تعالى .. يلهجة التوعذ والتهديد ..

وذهب صديقنا للحارس في نوبه شجاعة مناجئة .. أو قل في محاولة  
دقيقة للانتحار والتخلص من قسوة الحياة .. ولكن وللمعجب اشار الآخر الى  
دورق مياه وقال :

- خذ من هنا ميه

- لا يوجد به الا قليل

- خذ من هنا الباقي .. وأشار لدورق آخر ..

أخذ الكمية المتوفرة في الدورقين فلم يكفيا ملء نصف كوب .. وذهب  
للرأس الصفراء يسقيها .. ورفع رأسه على رجليه وأبتدأ يسقيه .. وفجأة  
اهتدت يد أخرى تخطف الكوب .. صرخ ابعده ايدك الرجل يموت .. فهل  
كان من المعقل أن يضحي ويغامر لكي يسرق انتهازي الماء ويحرم منه المريض ..

وهكذا مضت ليلة كئيبة يعجب كل من عاشها كيف مضت. حقا ان الانسان آلة رائعة متكاملة .. ففى الاوقات التى تصبح فيها حياته مهددة بالفناء .. تنبعث من داخله قوى خفية تحميه وتمده بقوة لا نهائية من التحمل والتكيف .. منها الاحلام ..

الفجر يبزع ثانية .. أشعة الشمس تدفء الاجساد .. وها هم يرون بأعينهم ماكانوا يلمسونه فقط ليلا .. الرأس الصفراء غلام لم يتجاوز العشرين .. زملاء هالوا يلهون أمام الأمريكين وجروبى وفى حلقات الرقص وجهه كله كدمات كأنها موقم أنهى لتوه ماتش ملاكمة وفى نحافته وشعره الاصفر الطويل وذقنه النى مازالت بكرأ أحساس بالشسقاوة واللامبالاة ..

على الجانب الآخر نتوء عال هو كرش مقدم مازال نائما .. من الناحية الأخرى زميل نقص وزنه خلال هذه الايام بصورة ملفته .. ماذا حدث ؟؟ ..

شعور طويلة .. ذقون غير حلقة .. تراب يكسو الوجوه والملابس والشعر .. كأنها أشباح خرجت من قبور السنين تلعن العالم ..

وهؤلاء لم يكفهم ما أصاب جنود مصر .. فاحضروا مجنداتهم المزقات ليتفرجن عليهم الغريب أن القلوب الرقيقة والعيون الحساسة لم تدمع لسحق الانسان لآخيه الانسان وإذلاله ...

ترى لو إتاحت لهم الفرصة لحضور حفل فى نادى الضباط .. هل كن يرين فى هؤلاء الرجال شيئا يدعو للتسلية ... !!

ارتفعت الشمس الى منتصف السماء .. وازدادت الحرارة .. وتصيب العرق .. وجفت الحلق .. وفقد الرجال أترانهم فهتفوا :

... يحيا أشكول ( أخص .. أخص ) ..

... يحيا موسى ديان ( مش معقول ) ..

... نريد أن نشرب ( آه .. ) ..

النسوة يسالن .. النسوة يبتسمن .. الرجال يضحكون .. فهاطيس المياه تحضر .. المياه الباردة ثملا الحلق .. تضغط على الانف .. تختلط بالرمال لتكون طينا على الجبابة .. والوجوه ..

- اصعدوا للعرايات .

عربات لورى مكشوفة مثل التي تستخدم في نقل الرمل والزلط

ابتدأوا يرصون الاسرى داخلها بأن يجلس صف قرفصاء ثم يأخذ كل فرد في الصف زميلا آخر بين ساقيه الذى يأخذ زميلا آخر بين ساقيه للذى يأخذ زميلا آخر .. وهكذا وضع غريب وطريقة أغرب للنقل يصعب ان تستخدم حتى في شحن الحيوانات فقد يهتهم صاحبها بالالتفك على الاقل .

- انزل اركب الاتوبيس .

اتوبيس سياحي فاخر .. شئ غريب من الضد للضد مباشرة ما معنى هذا ؟؟ واصبح اصداؤنا سياحا .. مع سائق أنيق يتكلم الانجليزية ووظيفته مهندس معمارى .... مثل صديقنا .

اعطاء علبه سجائر .. أخذ سيجارة منها ثم امتدت يد من الخلف فاختطفت العلبه .. رائد ذو عينين زرقاوين نارى .. يحتفظ بالعلبة لنفسه .. السائق يلاحظ ما حدث .. فيعطيه لسانا يفرقه على من حوله من الزملاء في حذر من ذى العينين الزرقاوين .

زجاجة ويسكى صغيرة .. رشفة منها قد تحفء .. الزجاجه يتم تداولها بسرعة .

- نحن نحب السلام « آه يا غريب اى سلام هذا »

- . . . . .

- انا جميع اعمالى متوقفه بسبب الحرب « ونحن ماذا فعلتم بنا ؟؟ »

- . . . . .

- بلدنا متقدمة « بالمدفع والطائرة .. »

- . . . . .

وابتدأ غسيل المسخ .. بأحدث الطرق العلميه .. القسوة الشديدة . يعقّبها اللين والاعتذار بقلة الامكانيات والمحافظة على الامن .. هكذا نفذها الامان



- وهكذا قام بها أدوات التعذيب في المعتقلات السياسية •• الدعاية نصف
- الحرب • واستجاب البعض أحدهم قال بسعادة غير متوقعة ••••
- اليهود في الراديو كانوا دائما ما يقولون •• سينفضي الاسرى عنديما
- اجمن صيف على ضفاف البحر المتوسط في حين •
- والله ناسي محترمين ينقلوننا في اتوبيسات سياحية •

وانفجرت الستائر قليلا •• اطل منها صديقنا •• انه يعرف هذا الطريق  
انه الطريق الى العريش •• وما هي محطة الابطال ونصب الجندي المجهول  
•• بجوار النصب عربية جيب مضروبة تتدلى منها جثة متفحمة سوداء  
من فعل النابالم •• اكيد هذه جثة ضابط فجرب الطنجة يتدلى من وسطه  
•• الكلاب تنهش الجثة •• فطار مضروب بالنابالم •• جثت لا اول لها  
ولا آخر وجوه محروقة يكسوها الرعب •• الرائحة النفثة تترككم الانوف المرائق  
يلاحظ الامتعاض الذي على الوجه •• يقفل الستائر ويتكلم ••••

- نحن لا نريد الا أن نعيش فقط
- ( الخنادق ممثله بالجثث • )
- نحن نحب السلام •
- ( دبابات معطلة داخل حقول الغمام )
- لماذا تكرهوننا نحن نحبكم
- ( عربات مشتعلة حتى اللحظة • )
- انقل الستائر •••
- لماذا ••••• ؟؟
- اوامر •••••

ولكن حب الاستطلاع تغلب على الخوف قفلوا الستائر وتركوا اجزاء  
منها تسمع بمشاهدة محدودة •• قرب الشيخ زويد •• كانت خسائرهم ••  
دبابات محروقة •• سيارات مشتعلة وقطارا محملا بالخسائر ••

الحرب على الجانبين •• ولكنهم يحطمون أسرارهم بالسماح لهم  
برؤية خسائر الجيش المصري •• ويمنعونهم من رؤية خسائر الجيش  
الاسرائيلي ليتخيلوا أن الحرب قد حدثت بدون خسائر من جانبهم ••

لقد بدأ غسيل المخ فعلا احذروا ايها الاحباب احذروا .. رفع ..  
غزه ويتجه الاتوبيس الى الطريق المنوع طالما نظروا اليه من قبل وتساءلوا  
تري ما الذى خلف هذا الطريق .. لقد أصبحوا الآن فى اسرائيل .. الليل  
يرخي سدوله ويخفى المسالم .. العربى تسير بسرعة .. الحفء والكراسى  
الريجة .. والنوم يهاجم معظم أصدقائنا بعد معاناة طويلة فى الليالى  
السابقة ..

عندما عاد صديقنا من الأسر ووجد ان معظم امله المصرين قد هربوا  
من المواجهة سواء بالمرض أو الهجرة أو التطرف أو اللامبالاه والتملل ..  
اهتزر .. كانت صدمته فى بلده أكبر كثيرا من صدمته فى أسره .. وكاد  
أن يفقد الأمل .. فأصبح يجرى خلف أى هاتف .. حتى ولو كان شاعرا  
أو منشدا يلتف حوله بعض الشباب يصخبون وينفثون عن مشاعرهم  
أو مجموعة من الشباب الصغير الذين تخيلوا أنهم قادرون على تعديل ما أعوج  
بالخطب والشعارات .. وغاص .. لاذنيه يشاهد .. ويتكلم .. ويناقش  
.. حتى اكتشف أن هذا أيضا هروب .. ولكن ما كان يحزنه وبضنيه ..  
هو الى اين .. وكيف يمكن اجتياز الأزمة .. وهرب هو أيضا .. هرب  
بدخوله مستشفى القوات المسلحة قسم الامراض العصبية .. كل ما فعله  
أن أخرج ما بداخله للأطباء قال لهم الحقيقة وما يشعر به من أزمة ..  
محجوزه للعلاج وهناك عرفته .. ( شاب رومانسى ) .. يرتدى روب دى  
تسامير أحمر .. ويده راديو ترانزستور يستمع من خلاله الى الموسيقى  
وبجواره عشرات الكتب يقرأها ليفهم .. كتب فى علم النفس .. والتاريخ  
.. والادب .. والسياسة .. كان لا يتكلم الا قليلا .. وينصت كثيرا  
.. وفى بعض الاحيان يكتب .. وأعطاني ما كتب ورفقات متناثرات أشارتنى  
الى درجة كبيرة .. وكان لابد من استكمال أحداثها .. لذلك فلقد داومت  
على الجلوس معه واستثارته بأسئلتى ودونت ملاحظاتى على هذه الاسئلة  
.. حتى تم الجلاء .. فزرتة لاعرف ماذا تغير فيه بعد أن جلا آخر جندي  
اسرائيلى - وهكذا ولدت هذه القصة ..

صحا أصدقائنا على ضجة .. فوجدوا أن الاتوبيس يتحرك فى مدينة  
ما .. عرفوا بعد ذلك أنها بئر سبع .. مبانى صغيرة ذات أستف منحدره  
مغطاة بالقرميد الاحمر على الطريقة الانجليزية .. أو الأوروبية من كل منزل  
تظهر مدخنة بعضها يخرج منها الدخان دليل على أن بداخلها عائلات تتمتع  
بالدفء والطعام الساخن بينما ملصق عليها لفيشات أعلام حديثة تشبه

الافيشات التي كانت ملصقة أمام سينما كايرو وكان الفيلم المعروض ، صوت الموسيقى « ٠٠ الأولاد والبنات حول السينما في انتظار الدخول أو الخروج ٠٠ البنات يرتدين الميكروجيب ويصفن شعرهن بطريقة ديل الحصان ٠٠ نفس المظاهر واللامع التي يمكنك مشاهدتها في مدينة ما في أي بلد في أي مكان من العالم ٠٠٠

الاتوبيس يقف داخل محطه بنزين ٠٠ يدخلون من الشباك خرطوما من مياه متخاطفه الايدى ٠٠ مريض يئن راقد بقاع العربيه ٠٠ فقد شرب بوله ثم شرب ويسكى لتسكين الألم ٠٠ ويطلب ماء بالحاح ٠٠

الحارس يسبه ثم أخذ الضباط يحاول تهدئته اسكت يا شيخ محمـد الحارس يضربه بكعب البندقية ٠٠ يحاول أحدهم إعطائه خرطوم المياه لفض المشكلة الحارس يضرب الآخر أيضا بكعب البندقية ٠٠ يسود السكون العربيه بعد ذلك ٠٠ السائق يعود ومعه علبة سجائر توزع - العربيه تتقدم ٠٠ ثم تتف ثانويه ٠٠ المدفعة في مهرجان وسعادة ، يلتف حول العربيه مجموعة من البنات يصحن ٠٠ واحدة متون تدخل من الباب تبصق على الراكبين ، فيبعدها الحارس .

العربه تتحرك على طريق صحراوي حوله معسكرات ٠٠ ثم تقف أمام معسكر منها عبارة عن مربعات من الارض الفضاء تحيطها الاسلاك الشائكة وتفصل المربعات طرق مخططة على شكل رقعة شطرنج ، يدخلهم الحراس أحد المربعات ويعيدون تنفيسهم ولاول مره يسجل أسماء الاسرى .

( اسمك - تاريخ ميلادك - وحدتك - هل معك امانات ٠٠٠ )

ينقلون الى مربع من المربعات الفارغة ٠٠ الهواء اكثر برودة ٠٠ ثم يظهر الفجر سريعا ٠٠٠ فالنهار بحرارته .

قائد المسكر قصير متفطرس ٠٠ ابيض ٠٠ يدق الارض بقدميه بقوة اله من آلهة الرومان ٠٠ أو جنرال المانى نازى ٠٠ كلماته مفتعبة ولكن لها تأثير السحر ٠٠٠

- ماذا تريجون ٠٠٠ آآ

- خيام .
- خيمه للضباط فقط .
- مياه - اكل - دورة مياه .
- .....

حرارة الشمس تزداد .. والعطش .. والجوع .. والتصرفات الفاذية  
أعطت انطبعا بأن الهدف من هذا المعسكر هو أفناء الاسرى وتمر الساعات  
.. نريد طبيبا لمكان الجنود يسرع أحد الأطباء ويعود ويضحك بسخرية ...

- أحدهم غرق .. في وسط الصحراء .. فلتد وضع رأسه في الجردل  
وضغط عليه زملاؤه فغرق ..

هتافات من مربعات الجنود .. يحيا موسى ديان .. كان الحراس  
يقذفون السجائر والبرققال .. والجنود تتخاطفها وتتصارع عليها ..  
كل حارس كان معه آلة تصوير يسجل هذه الكوميديا .. أو قل تراجيديا  
هزيمة الانسان . والضباط أيضا .. أهدوا رتبهم في مقابل السجائر  
والصابون واللبان والشيكولاته .. بعضهم تمادى فسمح بالتقاط صور  
له مع الاعداء ...

أحضر الاسرون بعد ذلك الطعام .. قوالب جينه وأنابيب مريس  
وأرغفه عيش ضخمة كالسيجار .. وكلها إسرائيلية في هذه المرة . وتطوع  
بعض الضباط لتوزيع الطعام على الجنود .. وبعدها تعالت الشتائم ..  
كل ما لم يستطع الجنود أن يقولوه لضباطهم من قبل قالوه في ذلك اليوم ..  
ياحرامية تسرقون أكلنا حتى هنا ... ابتعدوا عنا .. لليهود أكثر عدلا ..  
ولم يستطع الآخرون الرد .. أولا لأنه لا يوجد سجن أو حجز تشااق  
أو ضرب أو حرمان من الاجازات .. وثانيا : لأنها حقائق فإن بعض الضباط  
كوثوا وسريعا شلة متنفعين تخفى كل ما تستطيع توفيره أو الحصول  
عليه من طعام ثم تتقاسمه في الخفاء ... بالاحسرة .. لقد هزمنا ..

مر النهار ببطء شديد .. وجاء الليل وفي هذه الايام تلاحظ أشياء  
لم تكن لتلاحظها من قبل .. مواقع الشمس في السماء وحركة الظلال ..  
اختلاف درجات الحرارة .. وهكذا .. وكان الجنود الاسرائيليون قد

مدوا خطوط مياه حتى كل مربع بواسطة مواسير في نهايتها مجموعة حنفيات • وحفر الجنود المصريون حفرة غطيت جوانبها بالخشب والخيش واستعملت كدورة مياه • وفرشوا خيمة كبيرة للضباط • فأصبحوا يعيشون في مربع ٢٠ x ٢٠ متر محاط بالسلك الشائك والاعداء •

ونام الضباط من الارهاق • وجوعهم مغطاة بطبقة كثيفة من التراب مغلوبون على امرهم استسلموا • وتضاعفت رائحة دخان سجائر غريبة تشبه السجائر العربية وملأت الخيمة • فتتبعها بعض الضباط • حتى وجدوا مصدرها •••

- من أين •

- أعطاني اياما الحارس •

- نفس من فضلك

- خذوا خلعهم واحده وابتعدوا عني ••

والثف عشرة من الضباط تحول سيجارة كريهة الرائحة •• يحضنون ••  
الهدء الدرجة تستعبد المادة الانسان ••

أحدهم يومس •• سنفنقل الى معسكر آخر •

- كيف عرفت •

من الحارس صديتى •• لقد كان كومسيونجى فى مصر •• ويحب  
المصريين وكرمهم ويتكلم عن الفطير المشلتت والعسل النحل والزبدة ••  
- وماذا قال لك صديقك هذا •• !!

سننقل الى معسكر جديد - فى مكان ما - به حجرات ومياه ساخنة  
وبارده وسراير وملايات والاكل فى ميز •• وسجائر •• وكل ما سنطلبه  
سيجاب •

- اليهود قالوا هذا الكلام فى اذاعتهم اثناء الحرب •

- انهم لا يكرهوننا •• انهم يكرهون نظام الحكم •

ورد آخر بأستقزاز - ماذا حدث لآتم هل نسيتم أننا بين ايدي أعداء  
وهم سيفعلون بنا ما يشاعون • هذا جزء من مخطط • وأسكتة أكثر من

صوت - بلاش دوشه .. ألم تكفينا محاضراتكم وكلامكم المزوق ..  
الم تربمينيك الاتوبيسات ومستوى الاكل ....

واحتار صديقنا .. اى الاطراف صحيحة . ثم تنبه انه متشدد  
لا يقبل اى نقاش والأعجب من ذلك انه يحكم احكاما مسبقة على هؤلاء  
القوم .. الا يجوز أنهم بشر فعلا وانسانيون .. الا يجوز أنهم واقعون  
تحت تأثير دعاية وفكر غير صحيح .. هل يضع نفسه في توقعه ويفلقها  
عليه فلا يرى أو يسمع أو يفهم .. الا يجب أن يفتن فرصة قربته من  
اعدائه ويتعرف عليهم بشكل أفضل ومن خلال ملاحظاته الذاتية .

كل ما فى الأمر انه اعتاد أن يتلقى من القيادة .. ماذا يضر لو أنه  
تلقى من رأسه هو .. اليس هذا الحارس يشبه والده .. انه يبتسم  
بود لماذا تحول هذا البريء الى أداة فى أيدي مجموعة من الاستعماريين مثل  
موسى ديان يستخدمونه لضربهم وقهرهم وأقنع صديقنا نفسه بأن  
يخوض التجربة يرى ويسمع ويفهم ولا يحكم احكاما مسبقة على الجميع  
ولكن يحذر فهو بين أيدي اعدائه .

طلبة أحدهم من معسكر الجنود بواسطة الحراس .. فذهب لرؤيته :  
كان أحد صف ضباطه ..  
- سلامتك .  
- ساموت يا فندم  
- لا كلها كام يوم وتبقى زى الحصان  
- وصيتك اولادى  
- سترجع لهم بالسلامة .  
- مش معقول حيموتونا .  
- اصمد سير حلونا قريبا لمعسكر افضل وستعالج هناك .  
- ربنا يسمع منك .. اولادى وصيتك .

وجاءت اول وجبة ساخنة يخوقونها منذ شهر .. جردل ممثلى  
بالبطاطس واللحم كل عشرة لهم جزء .. الطعام لذيذ ولكنه قليل ..  
واسترخى اصحابنا ... وابندوا يتكلمون :

- الناس دى بتموتنا ببطء ٠٠ صياحا وانتم ناثمون على الأرض
- تأملت وجوهكم فشعرت برعب من المنظر ٠٠ التراب والأرض والشعر الطويل
- والحقون غير الحليقة والعيشة اللاأدمية ٠٠٠
- وهل تظن أنهم سيلفوننا بحريز ٠
- العساكر مبسوطة ٠٠٠
- والله غلبة ٠ على الأقل لدينا خيمة ٠٠ وعم لهم الشمس والهواء
- والحر نهارا والبرد والندى ليلا ٠٠٠ -
- لم يحدث تغيير كبير في حياتهم ٠٠ هذه عيشتهم دائما ٠٠ المهم
- أننا لم ن تعود على ذلك ٠
- بهذا الشكل سنموت ولن يحدث لهم شيء ٠
- ألسنا رجالا مثلهم ٠٠ يجب أن نعيش ٠
- ولكننا متعلمون ٠
- ان لم يفك العلم في التكيف الأسرع والأفضل فلا أهمية له ٠
- هل ستبقى للأبد هنا ٠
- الاتفاقيات الدولية تنص على ان كل ضابط له سريرته وملابسته
- وأكله وسجائره ومصرفه ايده ٠
- طظ بالاتفاقيات الدولية ٠٠ منذ متى احترم الاسرائيليون اتفاقيات
- دولية ٠
- لكن دى سمعة دولية ٠
- منذ متى ايضا اهتموا بالسمعة الدولية لذلك ضربونا بالنابالم
- لا تكن ظالما فهم يحاولون التعاون ولكنها الامكانيات ٠
- ثانيا امكانيات ٠٠ ألم تشبع من هذه الكلمة التى نعلق عليها عجزنا ٠
- هل رأيت الاتوبيسات التى أحضرونا فيها ٠
- وهل رأيت عربات الزلط التى كنا سنركب فيها ٠
- انهم فى منتهى الفكاه صوروا لنا انهم قاعدون على شحننا كالبهائم
- ثم أركبونا اتوبيسات سياحية ٠
- لتعذر أى تصرف حقير يتصرفونه معك بعد ذلك وترجمه الى نقص
- الامكانيات ٠ ولكن حسن النية متوفر ٠
- لو أننا أسرناهم ماذا كنا سنفعل بهم ٠
- تدفن رأسك فى التراب ٠٠ كنا ذبحناهم طبعاً ٠

- ومن أدراك أنهم لم يخنجوا غيرنا .
- سأل أحد شلة المنتفعين عن موعد رحيلهم الى المعسكر الجديد ..
- ف قيل خلال ثلاثة أو أربعة ايام وعندما ناقشه بعض زملائه في مدى
- العلاقة بينه وبين الحراس رد .
- حس .. لا أريد كلام أكثر من اللازم .. ستقولون عميل .. موافق
- .. عميل عميل .. عندما أعود بلغ عنى .
- وانفلت آخرون كأنما كان هذا الحديث إشارة البدء ..
- لماذا نحاربهم
- اذا لم نكن في مستوى قدرتهم فلماذا نعاديتهم .
- ثم تندر آخرون على أنفسهم
- نحن اقوى طيران في الشرق الاوسط - سننقضى على اسرائيل
- في ٤٨ ساعة
- اضرب .. اضرب .. اضرب .. لجل الصغار . لجل الكبار
- انهم متقدمون جدا .. مدوا المواسير في حقائب .. شوف لو كان
- عندنا كان أحد وقتت اد ايه .
- كانت الصدمة قد هزت ايمان الجميع ثققتهم في أنفسهم وبدون استثناء ..
- وجعلتهم يرجعون مبادئهم المتوارثة .. وكلما كانت درجة الاقتناع سطحية
- ... كلما كان الانبهار اكبر ، فاصبحوا يقدرّون العدو بأكثر مما يجب
- ويبخسون أنفسهم حقها أكثر مما يجب أيضا .
- وهكذا فان الجنود بإيمانهم الاجوف التابع من تعصب ديني شيفوني
- سرعان ما حدث انهيارهم ودفعهم هذا للهتاف لقادة أعدائهم . والضباط
- بعنترياتهم الجوفاء أيضا تعرضوا لهزات متفاوتة الدرجات من الانهيار ..
- تدراوح بين التعاون التام مع العدو الاملس وخدمته في سبيل بعض الامتيازات
- وبين مراجعة موقفهم من القضية والاستعداد لرؤية الموقف بأعتبارات جديدة .
- وهذا ما حدث لصديقنا .
- أصبح مستعدا لسماع وجهة النظر الاخرى والتعرف على العدو بروح
- محايدة جديدة بحيث لا تمس كرامته أو كرامة وطنه .. وتنبهت غريزه
- الاستطلاع لديه ليحاول أن يعرف ويفهم ويستفيد من التجربة الجديدة أقصى
- استفادة ..



وفي سبيل ذلك ابتدأ يراجع قيمه وأفكاره القديمة في ضوء آتون النار  
الذى وجد نفسه داخله مرغما \*

صباحا .. جاء البشير .. سترحلون وانتقلوا من يد الى يد حتى  
وصلوا الى العربات .. عربات نقل الزلط .. ثانية ولكن في هذه المرة تسحنوا  
فيها فعلا بطريقة لا انسانية للغاية جلس كل منهم مقرصا .. فأتاحا رجله  
ليدخل بينهما زميل آخر ووضعت على عيني كل منهم عصابة من الشاس  
وانقطن كان صديقنا في اول صف ملاصق لجدار العربة ويجلس بمحاذاة  
رأسه فوق الكابينة حارسان اسرائيليان بيدهما رشاشات وتحركت العربة  
وتعالى الصياح ستكسر رجلاي .. يا اولاد الكلب الله يخرب بيتكم وتخيل  
كل منهم أنه سيكون ضحية زلزاله كما حدث مع غريق الصحراء .. فانهالوا  
لنا بعضهم لبعض .. وكلما طالقت المسافة .. كلما زاد العذاب -  
حاول بعضهم الوقوف أو خلع العصابة ولكن الحراس زجروهم \*

الهواء بارد .. ثم أصبح محملا برائحة زهو البرتقال .. اكيد يمرون  
الان بين بيارات البرتقال الفلسطينية التي طالما سمعوا عنها .. صياح المارة  
يصلهم .. لقد دخلوا مدينة .. أصوات موتسيكلات وعربات تحيطهم ..  
انهم يزفون عارهم .. ويمتعون مدينتهم بالخطير المخزى لرجال مصر  
الصناديد .. صياح لفتيات - شتائم للنبي محمد ماله محمد وأحداث تمت  
بعده بالف وثلاثمائة عام - شتائم لعبد الناصر - شتائم لام كلثوم ..  
شيء غريب أن يعرف رجل الشارع ما يوجههم لهذه الدرجة .. الاصوات  
تضعف وتعود رائحة البرتقال .. لا بد وأن المنظر جميل .. كانوا يشعرونه  
من نسمات الهواء الرطبة المعطرة برائحة الحداث .. أحدهم يصرى العصابة  
ليرى .. عجيب هذا الانسان يخاطر بحياته في سبيل أن يرى .. ولكن  
مضطرم لا يملك شجاعته أو استوائه فهم يعرفون الا ثمن لهم .. ولذلك  
فهم حريصون الا يعطوهم المبرر لاغتيالهم الذى خلع العصابة يصف لهم المنظر \*

نحن في قول عربات .. املمنا ميكروباس يركبه الحراس اليهود وبعض  
المصريين ... آه شلة المنقعين .. الشجر على الجانبين أخضر وكثيف  
( نعم .. نحن في الربيع ) والورود والزهور تملأ منتصف الطريق وعلى  
الجانبين .. ( آه .. انها الجنة .. ) العربات تجرى حولنا بسرعة ..  
يا .. سيدات بالبايوهات اليكيتي في العربات المكشوفة ... ( لا بد

وانهم بقرب البحر ) ٠٠ العربيات تتقف ٠٠ بنات صغيرات - يندمعن تجاه الميكروباس ويقدمن زجاجات النازوزه للحراس ٠٠ الله الله ٠٠ الزجاجات متغيشة من قطرات الماء والبرودة ٠٠ يا نهار اسود ٠ وطى راسك طوبة جاية ويحدث هرج في العربية فالجمع الاعمى يحاول أن يتوقي طوبة قادمة من مكان ما لا يعرفه ويتنبه الحراس لخطر الموقف فيسرعون بالحركة ٠٠

ساعات طويلة تمر ببطاء كل دقيقة تمضى بدون أخطار يحمدون الله عليها ٠٠ والاطار تحيطهم من كل جانب ٠٠ حارس متهور او مدنى متحمس يقذف بطوبة ٠٠ او ضغط الاجساد بعضها على بعض ٠ مع مرور الوقت قل الحذر وابتنأت اعداد متزايدة منهم تخلع العصابات ٠٠ وظهرت اسوار عالية في وسطها بوابة يتجمع حولها عشرات من الشبان والشابات بالميكروجيب والمايوهات والشعر المستوسل أو البيتلز تهتف باللغة العربية شعارات معادية وكلمات بخيثة لا تسمع في أخط الاماكن يقتنفون القادمين في ذلهم بالطماطم وعلب الصفيح الفارغة ٠

ودخلت العربيات من البوابة وسمح لهم رسميا بخلع العصابات ووجدوا انفسهم في الجنة ٠٠٠ حقا ٠٠٠

اعداد كبيرة من الاشجار تشبه حديقة قصر المنزه في الاسكندرية احواض الزهور والحشائش ٠٠ والشوارع المسفلتة النظيفة وفي خلفية الصورة جبل عال اخضر مزروع كله يظهر منه فنتاس مياه ضخمة ٠٠ ويتناثر عليه مجموعات من المنازل الصغيرة التي لا يمكن تمييزها بسهولة ٠٠ ونسمات هواء رطبة محملة برائحة النجير والزهور وصوت حريمى رقيق يتكلم بلغة غريبة من الميكروفون ٠ قد يكون هذا منظرا غائيا في الظروف الطبيعية ولكن لانسان عاش حوالى الشهر فى الصحراء لا يرى الا التراب واللون الاصفر يعتبر المنظر مفاجأة مؤثرة ٠٠

لقد كان هذا معسكر عتليت المكان الذى أعده الاسرائيليون للاسرى المصريين - ليعيشوا فيه أجمل أيام صيف ٦٧ على حد قولهم فى اذاعة اسرائيل ٠

## الفصل الرابع

### عنائيت

آن الاوان لكى أحدثكم عن نفسى قليلا أنا الكاتب ٠٠ كما سبق وفكرت لكم لقد تقابلت مع صدقينا أول مرة فى مستشفى للقوات المسلحة بقسم الامراض النفسية وكنت فى ذلك الوقت نقيباً طبياً يعمل بالقسم ٠٠ وكان صديقنا رائداً مهندساً حضر ذات يوم يشكو رغبته فى أن يطلق الرصاص على قادة كتائبته واللواء الذى يعمل بهما وعندما تخطينا معه إكتشفتنا أننا أمام حالة خاصة ليست ككل الحالات التى نقابلها وأنه ذكى مثقهم ولكنه مصاب بإكتئاب نفسى شديد ٠٠ وأن لديه ما يقوله ٠٠٠ بعد أن عانى من الاسر ٠٠ وشحنى صديقى اليه كحالة مريضة تستحق المناقشة وكأنسان ذى وجهة نظر تمسنا جميعاً ٠٠ فصارت بيننا صداقة غريبة ٠٠ هى خليط من ثقة مريض بطبيبيه وعلاقة مجروحين بخنجر واحد ٠٠ فرغم كونى طبيباً نفسياً متخصصاً بالقوات المسلحة ٠٠ الا ائنى أيضاً انسان مصرى مصاب وان كنت أكثر قدرة على فهم مشاكلى وأحاسيسى لذلك فلتقد تتبعت حالته حتى بعد أن ترك القوات المسلحة ٠٠ وكان يزورنى فى عيادتى فى بعض الاحيان ٠٠ وكنت أسعى اليه فى بعض الاحيان ٠٠ وشفى صديقى ٠٠ ولكن انتم تعرفون ان كلا منا مريض بشكل أو بآخر بنسب مختلفة ٠٠ عندما أقول شفى صديقى فاقصد أنه أصبح يحمل النسب الطبيعى للانسان يعيش فى مجتمع عصرى ٠

وفى الفصل القادم سأنقل لكم ما خطه بيده من خلال مذكراته عن عنائيت التى سلمها لى ولن أتدخل الا فى القليل فهذا الفصل لا يقرأ الا كما كتبه صاحبه ٠

عُليت قرية بجوار حيفا على شاطئ البحر الابيض المتوسط ٠٠ واهم ما يميزها هذا المعسكر الكبير الذي بناه الانجليز أثناء احتلالهم لفلسطين فهو بذلك يشبه معسكراتنا على القناة ٠٠ في الاسماعيلية والسويس ٠٠ المباني المبنية بالخشب والاستقف المنحدرة ٠٠ ودورات المياه الجماعية ذات الحوائط الانترنيت ٠

والمعسكر قريب جدا من البحر بحيث نستطيع سماع صوت الامواج في الليالي الهادئة ٠٠ ويفصله عن البحر حقول الغام محاطة بالاسلاك الشائنة ٠٠ أو قل ارض فضاء عليها يافطة بالانجليزية والعبرية تدل على وجود حقول الغام ٠٠

والمعسكر مقسم من الداخل الى معسكرات فرعية كل قسم محاط أيضا بأسوار أسلاك شائكة وكل معسكر فرعى يتكون من عدة عتابر مبنية من الخشب كل عتبر يتكون من ٤ حجرات اثنتان منهما كبيرتان وهما اللتان على الطرفين والاخرتان اصغر قليلا ٠٠ ولكل حجرة باب وعدة شبابيك تفتح على شوارع فرعية مزروعة أر كانت مزروعة يوما ما ٠٠ والارضيات مبلطة موزايكي ٠٠ وفي مرحلة متقدمة وضعوا قضبان حديد لسد الشبابيك مع اتاحة الفرصة لفتحها ليلا ٠٠

والمعسكر الفرعى المكون من عشر عتابر يخدمه مجموعه من الحمامات ودورات المياه المقامة بالخشب والانترنيت والمعسكر يضاء بالكهرباء ٠٠ ومحاط بأبراج مراقبة تتبادلها الخدمات المسلحة برشاشات بلجيكية ومعلق بجوار كل برج كشاف كهربائى يدور طول الليل لكشف الطرق الرئيسية والفرعية الكثيرة التى تربط أجزاء المعسكر المختلفة ٠

ولاستكمال الحراسة تسيّر دوريات خدمة راكبة عربات جيب مكشونة ٠٠٠ ولقد خصصت المعسكرات الفرعية لتضم الاسرى المصريين والسوريين والاردنيين ٠٠ بشكل نوعى ٠٠ للجنود ٤ معسكرات والضباط الصغار

من ملازم حتى رائد لهم معسكر واضباط الكبار من مقدم حتى لواء لهم معسكر آخر ٠٠ والمدينون لهم معسكر خاص ٠٠

ويضم معسكر عتليت بالاضافه لذك غابر للحراس الاسرائيليين ومطبخا لاعداد الطعام للاسرى وآخر للاسرائيليين ٠٠ ومطعما لهم ومذاب الاستجواب بعضها انشئ على عجل من الخيش ٠٠ كذلك يوجد بالمعسكر مستشفى ميدانية لعلاج المرضى تحتوى على عيادة باطنية وعيادة أسنان واجزخانة وحجرات للمرضى ٠٠ ومعدات عتيقة جدا ٠٠

وللمعسكر بوابة خارجية أو أكثر من بوابة ومحاط بسور مبانى عال وابراج حراسة كالابراج السابقة ٠٠ ويدار هذا المعسكر الكبير بواسطة هيئة الادارة ٠٠ القائد ومدير المخابرات والاذاعة بواسطة ميكروفونات معلقة بأحاء المعسكر ٠٠

والعمل جار ليل نهار لعمل انشاءات جديدة وتغييرات في المعسكر بتحصين أسوار وشق طرق جديدة ٠

ويقول الاسرائيليون ٠٠ ان الانجليز اثناء الوصاية على فلسطين منعوا اليهود من الهجرة الا في حدود ضيقة ٠٠ ولكن لتدفق الاعداد الكبيرة من المهاجرين اضطروا للقبض عليهم وسجنهم في هذا المعسكر ٠٠ ولقد اضطرت العصابات الصهيونية ( وهذا تعبيرهم الحرفي ) ٠٠ في هذا الوقت لمهاجمة هذا المعسكر أكثر من مرة وتهريب اليهود المعتقلين فيه لداخل البلاد ٠٠ ثم تحول المعسكر بعد ذلك الى معسكر استقبال للمهاجرين بعد قيام الحكومة الاسرائيلية يمشون فيه مدة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أشهر لاعدادهم للحياة في اسرائيل عن طريق تعليمهم اللغة العبرية وأهداف قيام الدولة ٠٠ والخطوط الرئيسية للاستراتيجية الاسرائيلية ٠٠ ولقد استقبل هذا المعسكر أسرى حرب ٥٦ وحرب ٦٧ واستعمل في الفترة بين الحربين كمعسكر تدريب الشبيبة من ١٢ : ١٥ سنة اثناء الاجازات الصيفية ٠٠ وفي آخر المدة التي قضيناها كانوا يعدونه ليكون معسكرا ثابتا للواء الجولاني الاسرائيلي أقدم لواءات جيش الدفاع ٠٠

هذه هي عتليت وهذا هو معسكر عتليت الذي قضينا فيه حوالى الستة أشهر .. معسكر اعتقال بجوار حيفا في حوض جبل الكرمل مزروع بعناية بالاشجار ومحاط بالابراج من كل جهة وفي كل مكان ... وتقيم معنا فيه قوة اسرائيلية من الرجال والنساء ..

جلسنا في صفوف متتالية واضعين ايدينا فوق رؤوسنا بتراخ .. ننظر حولنا باستغراب .. واستطلاع .. وبعد الخدمة الاولى استطعنا ان نميز ان الصوت الانثوي ينادى من خلال ميكرفون باللغة العبرية .. ليسير العمل في المعسكر وبالتالي نستطيع ان نتصور مدى ضخامته ..

نودى علينا .. ثم اعطى كل منا رقما اصبح لصيقا به بعد ذلك طول فترة الاسير .. الاسير رقم ٥١٧٦٣ هذا هو رقمي ..

وابتدأوا في العمل منذ اللحظة الاولى التي وصلنا فيها .. كل منا حمل لوح اردواز عليه رقمه باللغة الانجليزية ثم التقطت لنا صور للحفظ في ملفاتنا ..

وانتقلنا بعد ذلك لملء الاستمارات ..

اسمك ..... ٩٩

وحدتك ..... ٩٩

سنك ..... ٩٩

ديانتك ..... ٩٩

متى اسرت ..... ٩٩

ايمن ..... ٩٩

ثم انتقلنا الى مكان آخر لنسلم فيه الامانات .. وسلمت نقودي واخذت ايصالا باللغة العبرية .. ثم انتقلنا الى غرفة التطهير ..

نخلع ملابسنا ... ورششنا بجودره التطهير ...

ثم انتقلنا الى غرفة الدمع .. حيث دمغت ملابسنا بالدوكو .. مربع اصفر على كل ركبة للبنطلون .. ومربع آخر على الظهر وعلى صدر السترة علامة بهذا الشكل لسلسا وكذلك على غطاء الرأس ..

وأستلم نل منا بطانيتين قديمتين ترحيان بأن الفمل والبقي يجربان  
داخلهما وان لم نجدهما أبدا ٠٠ ووعاء للاكل من الالنيوم سميناه سرفطاس  
٠٠ ولا أدري من أين جاء هذا الاسم وهل له علاقة بالاسم الحقيقي أم لا ٠٠  
وملحقة ٠٠ أصبحنا الآن أسرى حقيقيين ٠٠ لنا رقم ومعنا عهدة ٠٠  
والتقطت لنا صور كنت أتمنى أن أراها فبال تأكيد كانت تستحق المشاهدة  
٠٠ وجلسنا بدون وضع الايدي فوق الرعوس في انتظار باقي الزملاء ٠

مر علينا مجموعات من الجنود الاسرائيليين ٠٠ شباب صغير السن  
يحملون ادوات اكل تشبه ادواتنا ٠٠ بعضهم يحمل زجاجات غازوزة مثلجة  
٠٠ يرتتال وليمون ٠٠ والآخرين يتضمون في برتقالة كبيرة ٠٠ والكل  
لا يهنم بنا فعندهم منا الكثيرون ٠٠

الظل مريح ٠٠ لاشك أن متاعبنا ستصبح أقل ٠٠ ان الوصف  
الذي سمعناه قد يحمل جزءا من حقيقة ٠٠ الاسرة ٠٠ والمياه الباردة  
والساخنة ٠٠ والمطعم ٠٠٠٠ وادوات التسلية ٠٠ معنى هذا انهم يريدوننا  
الا نكرهم ٠٠ محاولة للتقرب ٠٠ بل محاولة للتأثير ٠٠ لهذا شحفونا  
في عربات الزلط وبهذه الطريقة اللا انسانية ٠٠ لكي نصل الى ما يريدوننا  
ان نفهمه ٠٠ وهو أننا نعيش في جنة ٠٠ لا ان العربات كان المقصود  
بها استعراض اسراهم وخزينا وعارنا ٠٠ وقد يكون للضغط قليل الاسن جواب  
٠٠ وقد يكون لتترك انطباع عن المصريين بأنهم مجموعة من البهائم المتخلفة  
لدى الشباب الاسرائيلي ٠٠ قد يكون ٠٠٠

نحن الان في طريقنا الى المكان الخاص بنا ٠٠ خلف السور يقف  
مجموعة من الزملاء ٠٠ حضروا قبلنا ٠٠ نظراتهم غريبة ٠٠ خليط من الترحيب  
والحزن والرتاء ٠٠ حركاتهم خليط من اليأس والكسل ٠٠ لايد أننى أعرف  
منهم الكثيرين ٠٠ الوجوه لا أرى فيها من أعرف ٠٠ أين أمأربى ٠٠ أين  
أصدقائى ٠٠ لعلنى واجد أحدهم هنا ٠ هنا خير من الموت ٠٠ وهل لا يوجد  
حل آخر ٠٠ الاسر ٠٠ أو الموت ٠٠ نسبة ضئيلة للنجاة ٠

أحدهم ينادي ٠٠٠ زميل قديم ٠٠٠ بالحضن ٠

— الحمد لله على السلامة ٠٠٠

— أى سلامة هذه ٠٠٠

- برضه هنا احسن ٠٠٠
- كيف الحال ٠٠٠٠ ؟؟
- يعنى ٠٠٠٠
- بتاكلوا كويس ٠٠٠٠
- يعنى ٠٠٠٠
- آين تمام ٠٠٠٠ ؟؟
- هنا ٠٠٠٠
- على الارض ٠٠٠٠ 11
- نعم ٠٠٠٠
- ثم اشرت لادوات الاكل وسالت ٠٠٠
- وما هذا ٠٠٠٠ ؟؟
- هذا تملؤه ماء ٠٠ لان الماء ينقطع طول اليوم واثناء القفل ٠٠٠٠
- مستغرب - قفل ٠٠٠٠ 11
- بعد الساعه ٥ بيقتلوا علينا الابواب حتى الصباح ٠٠٠
- وهذه لتأخذ فيها الارز ٠٠٠ وهذه للخضار ٠٠٠
- الا يوجد مطعم ٠٠٠٠ ؟؟
- يا سلام ٠٠٠ سيأسرونك فى الهيلتون ان شاء الله ٠٠٠٠
- ومن الذى يغسلها ٠٠٠ ؟؟
- انت بالطبيع ٠٠٠
- والهدوم ٠٠٠ ؟؟
- انت برضه ٠٠٠
- هل يوجد صابون ٠٠٠
- لا ٠٠٠٠٠٠٠
- حقنى طويلة عايز اخلق وعاييز استحم ٠٠٠
- قال ضائقا - اصبر يا اخى ٠٠ ستعرف كل شىء ٠٠ ابحت عن مكان
- لثنام فيه اولاً وبعد ذلك سنرى ٠ دخلنا حوالى عشرين صابطا الى حجر-
- من الحجرات الكبيرة ٠٠ كل منأ فرش لنفسه بطانية على الارض ٠ وادار
- الآخرى على هيئة مخدة ٠٠ وجلسنا ينظر بعضنا لبعض ٠



الوجوه اصحابها خيبة الامل .. أين الميز ..؟ أين السراير ..؟  
الحمامات ؟ على كل حال احسن من التراب ... والارض ...

ذهبت لدورة المياه .. يا للقدارة .. لا تطاق صغان متقابلان من  
الفتحات تحتها خندق وعلى المسنفل أن يجلس أمام الآخرين يؤدي حاجته  
ويرى الآخرين ويروونه .. ويسمع الاصوات ويشم الروائح .. منظر  
لا انساني ...

سألت زميلي - من هؤلاء ؟ .....

- أردنيون ... وفي الناحية الاخرى سوريون ...

- هل يمكن التكلم معهم ....

- ممكن .. ولكن احذر الكلام هنا .. معظمهم جواسيس ينتلون الكلام

- كيف عرفت ؟ .....

- يقولون ...

رعب فقدان الثقة .. ذل .. ملل .. انتظار .. تفكير .. خوف على الاعل

.. توقع شديد هذه هي الحياة هنا ...

ومن الان بهتت الاحداث .. أصبحت صورة مرسومه بالطريقة

للتأثيرية ... اذا نظرت لتفصيلاتها لا تجد شيئاً .. ولان من على بعد

تستطيع ان تحدد اشكالا ... كأننا نعيش في عالم ثابت يخالف عالم

التغيرات الخارجى .. ولكن .. هل يوجد ثبات في هذه الحياة ... ؟

لقد كانت هناك تغييرات لا نشعرها .. تأننا في مركب بعرض

البحر .. لا نرى الا الماء من كل جانب في الخارج .. ولا نرى

الا انفسنا .. نفس الوجوه .. ونفس الاشكال من الداخل .. ويمر

يوم .. يومان ونشعر ان المركب لا تتحرك .. ولكننا تتحرك فعلاً وحتماً

منصل الى شكل آخر .. متغير .. بعد ساعة .. بعد شهر .. بعد

سنة .. ولكن حتماً سيحدث تغيير .. لان الارض تدور .. ومع دورتها

تتجدد الحياة وتغير .. هل شعرت طول حياتك بأن الارض تدور ..

انا اشعر الان .. بأن الارض تدور ... اشعر بأن الارض تدور .. وهذا

أملى .. والا سابقى هنا للابد ..

جلست على بطانيتي المفروشه .. قرفصت .. رقدت .. اعتذلت ..  
 جلست .. ربت .. ماذا أفعل .. ؟ .. هل سيبقى هكذا مهمتي  
 النوم .. والنوم .. والنوم .. تنابلة السلطان الذين كنا نسمع عنهم في  
 الحكايات .. أريد أن أخلق .. أن أغسل رأسي ووجهي .. أن أستحم ..  
 أن أكل ...

وخرجت من الحجرة الى الفناء الخارجى .. أدخل الجنود وعائين  
 كبيرين من البطاطس واللحم والارز .. اندفع الضباط كل يحمل في يده  
 أدوات أكله لأخذ نصيبه .. كل منهم يحاول أن يحصل على أكبر جزء  
 من الطعام .. الضباط تقتضارب .. تقتشائم للوصول للأكل .. الأكل  
 يتارب على الانتهاء .. رائحة الطعام تحرك أحشائي ... أفرز كمية هائلة  
 من اللعاب .. أبصق .. الضباط يزداد هياجهم كلما قلت الكمية ...  
 الجنود الاسرائيليون يتجمعون خلف الاسوار يتفرجون علينا .. ضابط  
 ذو رتبة كبيرة يصيح في الضباط .. انقم همع .. احنا ناس  
 متعلمين .. وعسكريون تعلمنا النظام حتى في الاسر نقف طابور ..  
 يوقفهم في طابور ويقف في أول الصف لأخذ نصيبه ... ينصرف تعود  
 الفوضى ثانيا كما كانت .. ماذا حدث للرجال .. نحن في غابة .. لكى  
 تعيش لأبد وأن يكون لك قدر هائل من العضلات .. والصوت القوي  
 العالى .. والبجاجة الكافية لرد شتائم الآخرين بإقذع منها .. هل معنى  
 ذلك أن الانسان يردد الى طبيعة الغابة والقوحش مع أول فرصة تواتيه  
 للتخلص من قيود المدنية المفروضة عليه .. أم هل هي طبيعة شبعنا وأن  
 الحضارة لدينا قشرية تزول بسرعة مع أول اختبار .. هل كل شعوب  
 العالم بهذه الطريقة يتصرفون .. لو كان هؤلاء أسرى انجليز .. أمريكان ..  
 روس .. فرنسيين .. هل ... ٩٩

اسئلة كثيرة صممتنى وأنا أناضل للوصول الى قدور الطعام لأخذ  
 حبات قليلة من الارز والبطاطس وقطعة لحم .. أهدى بها صراخ  
 معدتى .. وضمت الأدوات بجوارى بعد ما فرغت من الأكل وحاولت  
 أن اتابع حديقاً خلفاً بين الرائد عادل والملازم محمد وهو ضابط  
 من كتيبته [٩٩]

- هو مفيش اكل يا محمد ولا ايه ٠٠٠ ؟
- زحمة يافندم على القزان ٠٠٠
- طيب م تاخذ تجيب لى اكلى ٠٠٠
- والله يضربونى ٠٠ يفتكروا انى حاكل مرتين ٠٠٠
- يعنى لازم اروح بنفسى ٠٠ ايه الغلب ده ٠٠٠
- الرائد توفيق يتدخل فى الحديث ٠٠٠
- لو لقيت اكل ٠٠ الاكل خلص خلص ٠٠٠
- يعنى ايه ٠٠٠ تعينى مين اللى اكله ٠٠٠
- فوضى شديدة ٠٠٠
- يخرج ثم يعود متحسرا هائجا ٠٠ الشعب الهمج ده ٠٠ تصور فعلا  
الحل فاضية ٠٠ لا ٠٠ لازم ينظم المسكر ده ٠٠ اذا م كناش عارفين  
ننظمه اليهود ينظموه ٠٠ يرضى مين انى افضل جمان ٠٠ ويتجمع الرواد  
فى حجرة من الحجرات للمناقشة ٠٠ الحجرة مزحمة جدا ٠٠ أصوات  
عالية حرقها الجوع ٠٠ نصغار الضباط بغتوتهم استطاعوا الحصول على  
أكبر جزء وتركوا الكبار بدون اكل ٠٠٠
- المناقشة تزداد سخونة ٠٠٠
- انا دفعة ٥٢ ٠٠٠
- لكن انا فى اول الدفعة ٠٠٠
- رقم اقدميتك كام ٠٠٠
- يبقى صفوت اقدم الضباط ٠٠٠
- لا عبد الله الاقدم ٠٠٠
- انا ياسيدى متنازل عن اقدميتى ٠٠٠
- خلاص صفوت ينظم الموضوع بتاع الاكل ٠٠٠
- انا لا اتحمل المسئولية مفردا ٠٠ يجب أن نفسمها بالتساوى ٠٠
- ياصفوت لازم تقوم بدورك ٠٠٠
- انا مقلتش حاجة ٠٠ لكن تتحملوا المسئولية معايا ٠٠ احنا هنا  
كلنا أسرى ٠٠٠
- يرضيك المعال ياكلوا اكلنا ٠٠٠
- نفسم المسكر لجموعات ويتولى القيادة فى كل مجموعة اقدم  
رائد ٠٠٠

- والتعيين ياصفوت ٠٠٠
- المشكلة مش مشكلة تعيين ٠٠ المشكلة اننا امام نظر وسمع العدو ٠٠٠ ولا بد ان نظهر بمظهر مشرف ٠٠
- العدو اختبرنا جيدا في الايام السابقة ويعرف من نحن ٠٠٠
- مش مبرر اننا اتاسرنا وانهزمنا اننا نستسلم للفوضى ٠٠
- شرف بلدنا وحضارتنا متوقف على مظهرنا هنا ٠٠ لا بد من السيطرة الكاملة على المعسكر لذلك اقترح ان يصبح اقدم رتبة في كل حجرة مسئولاً عن خجرتة ٠٠ واقدام رتبة في كل بلوك مسئولاً عن بلوكه ٠٠ ونقسم البلوكات الامامية بقيادة والخلفية بقيادة ٠٠
- ما لزوم كل هذه القيادات ٠٠٠
- لمزومها اننا نبقى بنى آدمين مش وحوش ٠٠ بلدنا عرفت التقسيمات الادارية من خمسة آلاف سنة ٠٠٠
- والتعيين ياصفوت ٠٠٠
- اقدم ضابط في البلوكات الامامية يعاونه طقم توزيع رئيس شئون ادارية وضباط للتوزيع ٠٠ رئيس الشئون الادارية يستلم تعيين البلوكات والضباط توزعه تحت اشرافه ٠٠
- طيب موافقين ٠٠ الرائد يحيى يصبح مسئولاً عن البلوكات الخلفية ٠٠
- والرائد فريد يصبح رئيس الشئون الادارية للبلوكات الامامية ٠٠٠
- وأنا شايف ان الفوضى التي نعيش فيها نتيجة لقلة الوعي ٠٠ ومن رأيي اننا نعمل ضابطاً للتوجيه المعنوي والرائد ثروت أدر الموجودين فهو ٠٠٠
- موافقون ٠٠٠ موافقون ٠٠٠
- وانفض الاجتماع بعد ما تكونت الاسس التي ستحكم المعسكر وتديره ٠٠ هذا الشكل أكثر تمدنا ٠٠ والا أصبحنا وحوشاً نتصارع ٠٠ ولكن ترى هل ستنتج هيئة الادارة الجديدة ٠٠
- الساعة الخامسة ٠٠ العشاء ٠٠ قزان به طعام أبيض ٠٠ الرائد فريد يستلم القزان ويستلم خياراً وطماطم وبصل ٠٠ وأرغفة طويلة

متضخمة تشبه عيش التوست .. ضباط الشئون الادارية وأطقم التوزيع  
تستلم الطعام .. الضباط يتجمعون حولهم .. الرائد يحيى يصرخ ..  
الضباط تتشاجر معه .. يدورون على الحجرات .. الضباط تتجمع عند كل  
حجرة .. تتدافع .. تتصايح لم ينسوا درس الغذاء .. العشاء ملعقتين  
من الطعام الابيض وخياره أو طماطماية أو بصالية .. ورغيف عيش  
للاكل على ثلاث وجبات ..

الطعام الابيض له طعم الجبن .. أو اللبن الرايب .. أو اللبن  
الزبادى .. نتناقش طويلا حول ما هو .. الرائد توفيق يقول انه شربة  
جينة .. الرائد عادل يخطف طماطماية كبيرة .. لقد كان الرائد الذى  
اختطف علبة السجائر فى العربة .. وجوه كثيرة اراها لأول مرة ..  
أحاول أن أحفظ أسماءهم ..

الجنود الاسرائيليون يدخلون المعسكر .. يصفقون بأيديهم ..  
يحملون رشاشاتهم مصوية نحونا .. آن وقت القفل الضباط يدخلون  
حجراتهم .. الجنود الاسرائيليون يتممون على الضباط بالحجرات ..  
يقفلون الابواب من الخارج بالاقفال .. التعليمات أن تبقى الاضاء طول  
الليل بالحجرات .. لا تطفىء الانوار .. الليل يحل .. الشيخ محمد الذى  
شرب بوله يقوم ليصلى .. أحاديث ثنائية أسمع منها خرم ..  
أبو عجيبة .. اللواء العائسر .. اللواء المدوع .. العقيد ..  
العמיד .. الرائد .. الطيران .. الحرب .. اليهود .. القنصل ..  
المعطش .. الموت .. الاسر .. أصوات فى الحجرة المجاورة .. الله .. الله  
الله .. حلقه ذكر .. ادعية ..

- ما هذا هل ستقاوم اليهود بالذكر ..
- ابتسامات خفيفة لا تصل الى ضحكات .. نتألم - أريد أن أنام ..
- لكن قائد الكتيبة ورئيس العمليات راحوا فتيق ؟
- هربوا زى الباقيين ..
- ولا الضابط اللى أخذ العربية وجرى ..
- ربنا ينتقم منهم .. فهم السبب ..

ويمر الليل بطيئا نتقيا فيه ما حدث لنا في سينا .. وكيف  
أسرونا .. وكيف نجونا من الموت وكيف خافوا .. وكيف .. وكيف ..  
حتى نسقط من التعب نائمين ..

في السادسة صباحا .. يفتح الحراس الابواب .. ويتممون علينا ..  
ثم يتركوننا لنذهب لحدوات المياه .. الماء يسمح به ساعتين صباحا ..  
وساعتين قبل قفل البوابة .. وحول الحنفيات نتجمع لنفسل أو عيتنا  
وملابسنا ونصلا الاوعية الخاصة بالماء ... ثم ذرت بطنياتنا ونجلس  
في الحجرات لنعود الى اساطيرنا القديمة عن الحرب ..

تعرفت به ملازم اول شاب .. أسمر .. طيب .. رياضي .. اسمه  
بيومي .. منذ تخرج من الكلية الحربية وهو يعمل باليمن ضابط استطلاع ..  
كان ذكيا وملاحا .. كان يقص لي قصته .. لقد أحضرنا من اليمن ..  
ركبنا القطار المتجه للقاهرة .. بمهماتنا وكل ما أحضرناه من اليمن ..  
الثلاجات .. والريكوردرات .. والتوينزات ... وفجأة صدرت الأوامر  
لسائق القطار بالدوران والعودة .. ثم اتجه الى سينا .. فالعريش  
ومنها ذهبت رئاسة اللواء وكتيبة الى منطقة بجوار الحسنة اسمها خرم ..

— مين قائد اللواء ... ؟

— العميد خيرى ...

— انت كنت فى اللواء ١٢٠ ... ؟

— آه ... آه ...

— انت ضابط استطلاع ... ؟

— آه ... آه ...

— منذ رايتك وأنا احاول أن أتذكر أين رايتك قبلا .. الم تستلم

منى الطائرات التى أعدهتها لطائرات المشير ..

— آه .. آه ... فعلا ... تذكرتك .. بعد ذلك ضربتنا الطائرات

الاسرائيلية بالنابالم ...

— وكانت لنا كتيبة متأخرة .. اصطادوها عند الكيلو ١٦١ .. وهى

في طريقها لخرم .. لم ينج منها أحد ...

— فعلا ٠٠ قالو ان خرم كانت مضروبه بالنايلم ٠٠٠  
— يوم ٦ يونيو العميد خيرى ورئيس الاركان ذهبوا لقيادة الجيش  
أخذوا أمر الانسحاب فأرسلوه لنا مع سائق عربة الاستطلاع لنخبر  
الوحدات ٠٠ وكلفنى قائد الاستطلاع بتبليغ الكتائب ٠٠ ضللت  
الطريق ولم أستطع العودة فأول مرة أدخل سيناء ٠٠ وأخيرا ٠٠  
قبضوا علينا بدون مقاومة ٠٠ ولا طلبة ٠٠٠ !  
— نفس القصة ٠٠ العميد خيرى فعلا لم يكن مقتنعا منذ البداية  
بما يحدث ٠٠

زهقت من حديث الحرب والهرب والانسحاب ٠٠ ومع ذلك لم أستطع  
ان أتخلص من سماع القصص صباحا ومساء ٠٠ كان لابد ان نتكلم ٠٠  
كان لابد وان نشتكى ٠٠

أنا قائد سرية مدفعية مضادة للدبابات فى اللواء ١١٨ ٠٠ كان علينا  
حماية المثلث عند الكيلو ١٦١ ٠٠ أنا سريتى ممتازة ٠٠ كانت السرية الاولى  
فى الفرقة ٠٠ فى كل الاختبارات كذت أحسن قائد سرية مدفعية مضادة  
للدبابات ٠٠ كنت تدخل مكتبى نفسك تفتتح ٠٠ داهنه زيت وفارشه  
بأرضيات خشب بتاعة انصار ٠٠ كانوا زيادة فى العهدة ٠٠ ومجلد المكتب  
بورق ضرب نار ٠٠ كنت ضابطا ممتازا ٠٠ والله ٠٠ لكن الجيش ٠٠  
غريبة ٠٠ تصور قالوا انسحبوا الى مكسر القناجيل ٠٠ أرض كلها رمل  
وغرز السريبات غرزت ٠٠ زقيت المدافع بايدى ٠٠ ونصبنا المدافع ٠٠  
مواتير العربيات فوثت عربيات خفيفة بتشد الحفم بصعوبة ٠٠ فى الغرز  
لازم تقفوت ٠٠ المهم ٠٠ الجنود فى الخط الاول انسحبوا ٠٠ من  
ابو عجيله ٠٠ غرقانين دم ٠٠ مفيش فايدة ٠٠ الخطوط تنهار بسرعة ٠٠  
جنودى روحهم المعنوية انهازت ٠٠ وفى وسط الهيصة دى ٠٠ قالوا لا ٠٠  
ارجعوا تانى ٠٠ ازاى نرجع ٠٠ السرية انفطرت ٠٠ لم أستطع السيطرة  
عليها ٠٠ نصف المدافع فى الغرز ٠٠ والجنود فقدت حماسها ٠٠ والقيادات  
فقدت سيطرتها علينا ٠٠ سهرنا طول الليل نسمع الضرب والطلقات  
الكانسة ٠٠ قائد كتيبة المشاة انذى كنا نعاوننه مشى ٠ الناس كلها  
انسحبت بأوامر ٠٠ بدون أوامر ٠٠ لا اعرف ٠٠ لم أجد فى مركز القيادة  
قائدا واحدا ٠٠ رجعت ٠٠ حرقت أوراقي ٠٠ ولكن نسيت شسانون كان

يه مذكرات فرقة قادة السرايا .. ومذكرات طبعتها مدرسة المشاه ..  
ومذكرات فرقه المساحة .. كانت ممتازة كنت مجلدها .. ومهتم بها ..  
نسيته في الشانون ..

سألته - أنت قائد سرية مدفعية مضادة للدبابات .. في ايدك أقوى  
سلاح لضرب الدبابات التي اربعتنا كلها .. المفروض الاتخاف منها ..  
ما الذي أخافك .. اسأذا لم تمت فوق مدفعك .. اسأذا لم تنتظر حتى  
تستعمل مدفعك .. على الأقل كنت ستضرب دبابة .. اثنين .. ثلاثة ..  
أي حاجة يشعرون اننا بنقاوم .. هذا شغلك .. حياتك .. له .. ٩٩

وايه يعنى دبابة .. وايه يعنى لما نقاوم ما كان سيحدث  
أنى ساهوت أنا وطقمى بعد أول طلقة .. حتى دون أن نصيب .. في المدفعية  
شئ اسمه تصحيح .. بنضرب أول قذيفة .. وبعد ذلك نصحح عليها ..  
المفروض أن نعمل في وسط مجموعة تحميننا .. تضرب معنا .. المدفع  
له لهب قوى جدا يكشف موقعه من أول طلقة .. ونضرب بعد ذلك ..  
وإذا كان القادة هربوا هل سأكون أكثر منهم حماسا .. كلهم هربوا ..  
كفاية الويل الذى وجدناه طول الطريق ...

مشيت .. أخفت معى زممية وزجاجة كولونيا .. وعلب فول ..  
وغيارين في شنطة .. الطريق أعرفه جيدا .. إذا استمرريت في السير سأصل  
الى الاسماعيليه .. مشينا انا وآخرون .. حوالى عشرين كيلو .. الدبابات  
ضربت كلها .. اوغرزت .. الورشة كانت محروقة .. قلنا تستريح قليلا  
فيها .. دخل اليهود بعرباتهم ضربوا المعسكر كله أسرونا .. بينهم بنات  
زى القمر .. منهم واحدته قربت منى وسألتنى انت من الظاهر طلع عليه ولع  
سيجاره من سجايه .. نمنا على الارض .. العربات تدور وتتجه نحونا  
بسرعة من بعيد .. وتفرمل عندنا .. قبلنا ببوصات .. كنت بتكلم انجليزى  
زى اللبلب البنت أحضرت لى كوبا من الليموناذة الثلجة .. استجوبونى ..  
قلت أنى ملازم جديد لا أعرف شيئا .. ضربنى بعصاية فيها مسامير ..  
عندهم خريطة لسيناء بالكامل مكتوب عليها بالعبرى .. كانت أياما سوداء ..

أنا كنت في لواء مدفعية .. بين خرم والمطلة .. كنا مجموعة اللواء  
ياقوت ... أقدم الاسرى .. معنا هنا .. كنا ثلاثة لواءات مدفعية ولواءين



مشاة احتياط ٠٠ كان واجبنا مصيدة للديابات اليهودية ٠٠ كنا في مكان لا يعرف عنه شيئا ٠٠ لم نر الحرب يوم ٥ ، ٦ يونيو ٠٠ وكاننا لواءات لجيش آخر ٠٠ يوم ٧ يونيو اتصلت بنا القيادة من وهران الساعة ٤ ظهرا ، وهران ٠٠ القيادة سقطت صباح يوم ٧ يونيو الساعة ١١ على

#### وجه التحديد

- انتظر حتى تعرف باقى الحكاية ٠٠ الو ٠٠ ياقوت ٠٠ هل تستطيع الانسحاب الى الحسنه ٠٠ قلنا ٠٠ نستطيع ٠٠٠

٠٠٠

بعد نصف ساعه ٠٠٠ الو ٠٠ الوياقوت طريق تمادة مؤمن انسحب عليه ٠٠ اللواء ياقوت الحقيقة عمل انسحاب تكتيكي كما هو موجود في الكتب ٠٠ بعد آخر ضوء ٠٠٠ لواءات المشاة أولا ٠٠ وبعدها لواءات المدفعية ٠٠ والاضاءة مقيدة ٠٠ وخرجنا من حفرة ٠٠ وانطلقنا في الطريق لتمادة ٠٠ وبالقرب من تمادة ٠٠ وجنا سدا ترابيا ٠٠ وباعث ضوء ٠٠ ورشاش متوسط ومدفع هاون ٠٠ عندما اقترب القوم من السد ٠٠ تسلط علينا الغمائم المبرجكتور ٠٠ يخلطنا في دور من الفوضى العجيبة ٠٠ الهاون والرشاش ابتدا في الضرب والناس لم يستطيع اى قائد ان يسيطر عليهم ٠٠ دلهم ضغطوا على السد ٠٠ وابتدأوا يضربون بعضهم بعضا ٠٠ ولنتهت تماما السيطرة على اللواءات الاحتياط ٠٠

قائد اللواء مسكين ٠٠ كان واقفا فوق عربته الجيب ينادى ويصرخ ٠٠ ولكن لا مجيب ٠٠ تداخلت اللواءات بعضها داخل بعض ٠٠ وأخيرا ٠٠ فك أحدهم مدفع وعمره وأطلقه في اتجاه البروجكتور ٠٠ طلقين ٠٠ أحضرنا بعد ذلك بلحوزر ٠٠ فتح ثغرة في السد وتحركنا ثانيا على الطريق ٠٠ لكن في فوضى غريبة ٠٠ بعد حوالي مائة أو مائتين من الامتار وجنا سدا آخر ٠٠ ونفس الطقم ٠٠ وهذه المرة كانت كافية لينفرط عقد خمسة لواءات - كان من المفروض ان تكون مصيدة ديابات ٠٠ وفي داخل الصحراء المحيطة بطريق تمادة وعلى الجانبيين ٠٠ انطلق كل منا يبحث عن طريق للعودة ٠٠ وفي اليوم التالي كانوا يجمعوننا مثل السمان المنهك بعد رحلة طويلة ٠٠ ويستط في اول شبكة مفرودة على الشاطئ ٠٠

- مش معقول الناس دي كانت قهمانا بالشكل ده ٠٠٠٠

- ولاد ٠٠ عرفوا انهم لو هاجمونا في خنادقنا ٠٠ كنا كبحناهم

خسائر شديدة • كانوا خسروا • فكروا يدمروننا بأيدينا •  
هذه هي الحرب الحديثة ••• بالطبع لا يوجد مبرر لاقول ان الاشارة  
التي ارسلتها القيادة في الحقيقة ارسلتها القيادة الاسرائيلية من  
مركز قيادتنا وعلى أجهزة اشارتنا بعد ما انسحبت القيادة وتركت  
الاجهزة والخرائط •• والشفرة •

- منتصرون •• يبتكرون ويخططون •• وينفذون بجراءة •• كنت  
قائدا لسرية مهندسى اللواء العاشر مشاة •• وهو لواء مستقر منذ مدة  
طويلة في القسيمة •• يوم ٤ قرروا تغيير مواقعنا وتكثيف حقول الألغام  
لذلك اخذت ٥ عربات لصرف اللغام من العريش وفرصة اكلمهم في البيت  
من السنترال •• صرفت اللغام ونمت الليلة في النادي •• صباحا كلمتهم  
من سنترال العريش وفي الطريق للقسيمة هاجمنا الطيران •• قفزت خارج  
العربة وبعد ذلك بدقائق انفجرت عربة تلو الاخرى •• قتابل ذرية •• تخيل  
عربة محملة بالألغام وتنفجر •• ضللت الطريق في الصحراء •• حتى ورميت  
قدماى من المشى •• وكدت اموت من العطش •• التقيتني دورية اسرائيلية  
قلت لهم اشرب •• قالوا امش لن نسقيك •••• قلت لهم لازم اشرب ••  
خذوني معكم او اسقوني •• وتشبثت بهم •• حتى اخذوني ••

انت كنت ستموت من العطش •• انا كنت ساموت من الشرب ••  
كنت قائدا لنقطة مياه قرب عين الجديرات بالقسيمة كل الناس يتشرب  
من عندي •• حتى يوم انسحبوا جميعا ولم يخبروني أنهم ينسحبون ••  
تقولش رمية • في الزنقة يعرفوننى وفي المصلحة يتزكوننى المهم دخلت المدرعات  
الاسرائيلية القسيمة •• وقبضوا على •• سألنى قائد المدرعات فين التנקات  
•• انا ماكر تنكات الماء •• اشرت له عليها •• قال لى لا التנקات ••  
واخيرا فهمت أنه يقصد المدرعات عندما اخذنى لاحدها وأشار لى عليها ••  
ثم قال اين التנקات الخاصة بكم •• قلت له •• لا اعرف انسحبوا وتركونى  
•• اخذنى لفناطيس المياه تخيل انونا مسممة •• وأجبرنى على الشرب  
من كل فنتاس وكميات كبيرة حتى كدت أن اموت من كثرة الشرب •••

أما نحن فقد كنا في ابو عجيله •• كنت قائد الورشة في نهاية ابو  
عجيله ••• وابو عجيله محصنة جدا •• ولا يمكن اختراقها من المواجهة  
ابدا •• طالب القائد تدعيم لواء مدرع •• واجابت القيادة أنه قادم لنا لواء  
•• واتفقنا أن اشارة التعارف هي أن يدخل مضينا أنواره •••

- ودخل مضيقاً أنواره حتى وصل الى الورشة فاطلق المدفعية ..  
فلقد التقطت القوات الاسرائيلية الاشارة ودفعت لواءاً مدرعاً مضيقاً أنواره  
استقبلناه بالاحضان ورد علينا بالنيران .....

وهكذا مضت الايام الاولى من الاسر كل منا يتكلم عن مأساته ..  
متصوراً أنها المأساة الوحيدة .. ولا يمل من سردها أبداً .. حتى حفظنا  
جميعاً كل القصص .... حتى التصرفات الصغيرة منها .. وكنا نجد لذة  
في الرواية ولذة في السماع ونسهر حتى أوقات متأخرة من الليل نغضب أنفسنا  
.. بين الاهل والزفات الحارة الحزينة .... واصبحنا نكملها عندما  
يسردها صاحبها .. ثم ساد بيننا صمت مفاجئ عن رواية اساطير الحرب ..  
خلال الاسبوع الاول لم تحدث أحداث هامة عدا تنظيم الادلة  
للمعسكر واعتيادنا على النظام الجديد سوى بيان المخبرات الاول ..  
وهذا البيان له قصة ....

في نهاية الاسبوع الاول وحوالي السابعة ارتفعت أصوات الميكروفونات  
على غير العادة ليتكلم المذيع باللغة العربية في صوت ضخم قائلاً « أيها  
الضباط والجنود بالجيش المصرى اليكم هذا البيان .. » ثم صوت الرئيس  
عبد الناصر .. يقول « لقد فقدنا أكثر من ثمانين في المائة من معدات الجيش  
وأنه لم يكن موجوداً من يدافع عن قناة السويس » .. ثم صوت المذيع  
ينعى الجيش المصرى ويرجع ذلك الى شخصية الرئيس العدوانية النزقة ..  
ثم نسمع صوت عبد الناصر قائلاً « أنا المسئول عن كل ما حدث » ..  
ويتركنا البيان معلقين .. لا نعرف ماذا يحدث في بلدنا .. هل حقا  
عبد الناصر الذى قال هذا الكلام .. هل هذه مسرحية متقنة .. هل معنى  
ذلك أن الجيش قد تدمر .. وأن اليهود قادرون فعلاً على الوصول الى  
القاهرة .. وتذكرنا ما كانت الاذاعة الاسرائيلية تذيعه في بداية الحرب  
كانوا يوجهون نداء يقول « أيها الجندى المصرى نحن لا نريد بك اذى ..  
عندما تساعد جنود جيش الدفاع الاهرائيلى الى سلاحك وارقد ماذا يدرك  
أمامك وجنود جيش الدفاع لديهم الاوامر بأن لا يصيبوك بضرر ..  
وستتلقى فصل صيفاً ممتع على ضفاف البحر المتوسط في ضيافتنا ) نداء  
يحمل قدراً هائلاً من الصفاقة لمن يستمع اليه في بداية الحرب .. ولا يترك  
الا ابتسامة خفيفة اذا كنت مؤدباً .... ولكنه يصبح شيئاً يمكن التفكير  
فيه بعد الاسر ..

ودارت المناقشات بعد انتهاء البيان .. معنى ذلك أننا هزمنا فعلا .. هذا اعتراف صريح من عبد الناصر .. وكاننا فوجئنا بالهزيمة .. وكاننا لم نعيش المأساء .. .. كان عندنا أمل .. أى أمل .. وانتهى .. .. لكن هل عبد الناصر هو المسئول الوحيد عما حدث بالتأكيد هو شريك .. ولكن النظام بالكامل مسئول .. الجيش .. والاعلام .. ومجلس الامة الذى حل نفسه فى وقت الشدة .. والاتحاد الاشتراكى الذى لا وجود له .. ونحن ايضا .. مسئولون ..

رد آخر - يابنى دول مجانين .. أصيبوا بجنون العظمة .. وطغوا وفسدوا هذه هى النتيجة .. شمس بدران ده .. كان .. الاها .. كان متحكما تماما فى كل شيء .. النظام كله يجب أن يتغير .. يجب أن نعود لديننا .. ولتعاليمه .. والأخلاقه .. فبن عبد الناصر .. من سيدنا عمر .. سيخنا عمر .. كان عنده جلابية واحدة .. كان يبنام تحت الشجرة ونعله تحت رأسه .. عدلت فأمنت فسلمت فنمت يا عمر ..

- يا أخى هو ده وقت مواظ .. المهم آيه الحل .. ؟  
- الحل قناموا وتتركونا ننام .. يا ناس ياهوه الواحد لا يستطيع

أن ينام ساعتين ..

وبعد هذا البيان بأيام قليلة أذيع البيان الثانى .. وكان حديثا مسجلا بين الرئيس عبد الناصر والملك حسين .. بالتليفون اللاسلكى ..  
- الانجليز والامريكان هم اللى ساعدوهم والا الامريكان بس ..  
- الانجليز والامريكان ..  
- على كل حال .. شد حيل جلالتك .. احنا مبسوطين من الموتف المشرف لجلالتك .. وهى الحرب كده .. خسارة ومكسب ..  
ثم .. ( كلام غير مفهوم ) ..  
- جلالتك تصدور بيانا واحنا نصدور بياننا وحنقول للسوريين كمان يصدرون بياننا علشان نحصى الموضوع ..

ثم يتلوه المذيع معلقا على هذه الحادثة .. بأن الانجليز والامريكان لم يحاربوا معهم وأن الحرب كانت بواسطة جيش الدفاع الاسرائيلى .. ونتيجتها .. نتيجة لقوة تدريبه وعظمة قيادته .. وأن موضوع التدخل الخارجى ما هو الا محاولة للتخلص من الازمة ..

ودارت المناقشات وأحتدمت فلقد كنا كمن يعيش في سرداب مظلم من العالم ... عجيب أمر انسان هذا العصر .. ان تعود على أن يستيقظ كل يوم فيقرأ أخبارا جديدة عن العالم .. أو يفتح الراديو فيعرف ما يدور بأقصى الارض أمر جديد عليه حضاريا ... ومع ذلك فانقطاع الجريدة أو فشة الاخبار تشعرنا بأننا نعيش في سرداب مظلم مقطوع عن العالم .. كيف كان يعيش البشر قبل وسائل الاعلام ياترى ..

لذلك جددت هذه البيانات أوجاعنا .. وأجبرتنا على التفكير وكثرت المنازعات والمناقشات ...

- ليس هذا صوت عبد الناصر ...
- لا .. صوته وأنا سمعته من قبل في الراديو .. نفس الكلمة ...
- يريدوننا .. أن نفهم أنهم انتصروا منفردين ...
- هذا حقيقى .. هل رايت طائرة انجليزية أو امريكية ...
- نحن بين أيدي أعداء تذكروا ذلك ...
- عايز عبد الناصر يكرر مسرحية ٥٦ ويخرج منتصرا ويحول الهزيمة والانسحاب لنصر ..
- هل فقدنا الثقة تماما في بلعنا ..

هكذا كانت حياتنا .. في الاسابيع الاولى .. وكلما هدأنا قليلا حركتنا المخابرات الاسرائيلية ٥٠

في يوم .. صحتونا لتجد في لوحة الاعلانات في مدخل المعسكر صورة زنگورافية لجريدة الاهرام : وفيها مقال لحمد حسنين هيكل من سلسلة مقالاته « بصراحه » يقول فيه أن الجيش الاسرائيلى كان يخارب بطرق علمية اكسبته النصر وهى طرق عالمية معروفة في الحرب من حشد ومناورة وتكتيت وتطوير .. وأن القيادات المصرية أصابها الذعر والارتباك فلم تستطع الصمود ....

وبعد ذلك بأيام قليلة وضعوا مقال ل احمد بهاء الدين في المصور .. عن ضرورة قيام دولة عصرية في مصر .. وأن السبب في الهزيمة أننا لم نكن تأخذ أمورنا بمقاييس الدولة العصرية .. وأنه مستحيل أن يؤمن عامل بالاشتراكية التى يتحدث عنها رئيس مجلس الاداره ذو العربيه وجهاز التكتيف

والملايس المستوردة .. وأنه لكي يؤمن الشعب بضرورة شدد الحزام لابد  
وان يرى شدد الحزام هذا عمليا على قيادات العمل السياسى والمهنى ..

وكانت هذه المقالات ايضا .. تولد مناقشات حادة جدا .. فلم تكن  
تتصور انه وفي نهاية حرب كهذه يستطيع كاتب مهما كان أن يقول ما يقولانه  
.. البعض قال انها نسخ مزورة ويحلل على أنه بعد الانفصال طبعت سوريا  
صورة مزورة من جريدة الاخبار تحمل خبر حدوث انقلاب فى مصر ..  
ووفاة عبد الناصر والمشير .. مما حدا بجلال هريدى أن يضعف ويسب  
الحكم وفساده فى التليفزيون السورى ..

ويرد اخرون .. بل هو أسلوب هيكل فعلا وأسلوب بهاء الدين  
وهذه ليست بكذبة ..

- ممكن تقليد الأسلوب ...
- الكلام معقول ...
- وهل معقول أن يكتب فى مصر ...
- من أدراك ما يحدث الآن فى مصر ...
- لقد تأثرت بدعاية العدو .. وفقدتم روحكم المعنوية ...
- وانت مغلق الفكر ولا تريد أن تفهم ...
- سنعود فى يوم ما .. ونعرف الحقيقة ....
- سننتقابل .....

وكان النقاش لا ينتهى .. حلقات مناقشة متتالية .. لكل منا وجهة  
نظر .. وقدرة على التحليل والفهم والعناد ...

وفى الايام الاخيرة من الاسابيع الاولى .. احضروا لنا كتابا كتبه  
مندوب وكالات الانباء يحكى قصة النصر العسكرى الاسرائيلى .. حوالى  
عشر نسخ .. وتركوها فى غرفة القيادة .. ذهبت لاستعير نسخة ..  
فرفض الرائد صفوت اقدم الضباط .. واحالى للرائد ثروت الذى حاول أن  
يفهمنى بانها كتب مسممة لافكارنا .. ثرت ثورة شديدة .. قائلا ..  
لماذا تنصب من نفسك وصيا على فكرى .. لماذا تتخيل أن قدرتك على  
الفهم تفوق قدرتى .. أرجوك اعطنى كتابا ..

- مل تتحمل مسئوليته في مصر ...

- أحملها .. هات الكتاب ...

وقرائته - كان يقص قصة الحرب .. والمعارك المختلفة .. مبالغا فيها .. ومحاولا - في نفس الوقت أن يدعى بأن الجيش الاسرائيلي خاض معركة حقيقية وأنه لولا كفاءته التي لا تدانى .. لما حقق النصر ..

وكذت دائما ما أقول .. حقا أنه حقق نصرا يفوق أقصى تصورات اللواء مرد خاي قائد الطيران جنونا .. ولكن السبب لاننا أيضا فقتنا أقصى التصورات جنونا في الفوضى وعدم التخطيط والارتجال والفرور ... ان الانتصار الاسرائيلي في حقيقته هزيمة عربية ... فقط ...

تشبعنا في الايام الاولى .. حتى كدنا ننفجر ياسا وحزنا .. لا حديث سوى حديث المعركة ولا تصور الا تصورها .. ولا شيء سوى ماذا حدث لنا .. حتى يوم ٦٧/٦/٢٣ .. حدث تغيير خطير .. فاجهزتنا العصبية لم تعد، تحتمل التوتر التي ما لا نهاية .. ولذلك فأنقذ حدث الضد .. سهرنا طول الليل نحكى نكتا ونضحك ... ونضحك .. ونضحك بأصوات عالية كأننا في حفل سمر .. محاولين لا نشعوريا أن ننسى مأساتنا .. وكانت هذه الليلة .. وبصورة متفاوتة في الحجرات المختلفة انتشرت موجات الضحك واللامبالاة .. وابتدأنا نلاحظ الصوت الانثوى الذى ينادى في الميكروفون .. وأصبح مثيرا جدا .. ومثيرا لخيالات لا نهائية .. وابتدأنا نلاحظ مرور المجندات الاسرائيليات في الشارع الامامى في طريقهن للمطعم والعكس .. البنات السمينات .. والبنات الطويلة .. والبنات أم شعر أصفر .. والتي تحرك مؤخرتها .. والتي .. الخ ...

.. وأصبحنا نطالب بأذاعة رتيهية ولو لساعات .. نريد موسيقى .. أغاني .. وهنا كانت المخابرات الاسرائيلية قد أتمت فترة الانضاج .. ووصلت فعلا الى اللحظة التي تستطيع فيها أن تقابلنا وجها لوجه .. بل لقد أمحونا بصابون وأمواس حلالة ... حقا لكل ثمانية عشر ضابطا موسى وقطعة صابون صغيرة .. ولكنه تطور يربطنا ياسانيتنا بشكل أو آخسر ...

حلقت ذقني .. لاول مرة .. حلقها لى زميل اذ لم نجد مرايا  
للحلاقة ... وأخذت حماما باردا وغسلت أوفرولى ثم لبسته .. وشعرت  
أن حالتي النفسية أصبحت رائعة .. فاليوم لاول مرة أشعر بانسابيتي ..  
وسمعت نداء .. ٥٧٦٣ .. هذا رقمي ..

- أفندم ..

- مطلوب للاستجواب ..

.. وذهبت لاجلس أمام أول مستجوب .. ماذا سيحدث ياترى ؟

الموقف يخالف تماما لما تخيلته .. أدوات التعذيب : .. والعذبون  
الغلاظ ذوو العضلات المفتولة .. لا وجود لهم .. وحل محلهم رجل بسيط  
رفيق ملامحه عادية تشبه ملامح أى فلسطينى طيب ومهذب ..

.. كان ضابطا فى الجيش الاسرائيلى ويرتدى ملابس تقيب ذى الثلاث  
عصايات الصغيرة على الكتافة ... هذه هى اللحظة التى حاولت تخيلها  
كثيرا منذ أن قبضوا على لاول مرة ... جام ميعاد اختبارى .. اجمع  
شجاعتك يا فتى .. لى نفسك ... فلتفرض احترامك عليه .. لست أقل  
منه فى شىء ..

نظر الى ياندهاش .. وقال :

- أنت مصرى ؟ ..

- نعم ..

- لا .. ملامحك تدل على أنك لست مصرىا ...

- لماذا ؟ ..

- لا أعرف .. ولكن عندى احساس بأنك لست مصرىا ...

كان من الممكن أن تغضبني هذه الاسئلة .. لولا أننى تعودت عليها ..

فكثيرون يقولون لى مثل هذا الكلام ..

- مصرى .. أبأ .. وأما .. وجدودا ..

قلتها وأنا ابتسم لماذا ياترى بدأ حديثه بهذه البداية الغريبة .. قد  
يكون لأننى أول مصرى يقابله وتقدمه مداومة وملابسه نظيفة .. وحالته  
النفسية مرتفعة .. مجرد مصادفة .. وقد يكون لأن ملامحى أقرب  
للشاميين .. وقد يكون ..



- اسمك .. وحنتك .. تاريخ ميلادك ...
- أسئلة عادية تماما ومسموح لنا بالرد عليها مفصلا ...
- ما رأيك في الحرب ... ؟؟
- شيء سيء جداً .. أن يقتل انسان .. انسانا آخر .. أو أن يهدم انسان أعمال وعرق اناس آخرين ...
- ولماذا تحارب ... ؟؟
- لانكم اجبرتمونا على الحرب ...
- لقد ابتدأتم الحرب باغلاق مضيق تيران ...
- الحرب ابتدأت بقصف الطيران للمطارات ...
- يا حبيبي مضيق تيران يشكل حياة او موتا بالنسبة لنا .. ومستحيل أن تغلقوه وتجمعوا في سيناء الآف المقاتلين ولا تقوم بإجراء وقائي .. بذلك تصبحون أنتم البادئين بالحرب .. ويؤكد ذلك سحبكم للبوليس الدولي ...
- كان ذلك بسبب حشدكم لقواتكم أمام سوريا ...
- والله ... والله ... لم نحشد قوات .. لقد أخذنا سفراء جميع الدول على الحدود وأطلعناهم على الوضع وطلبنا من سفير روسيا أن يذهب ولكنه رفض ..
- حشدتم قواتكم أمام سوريا ...
- ماذا أقول أكثر مما قلت .. سنعود لبلحكم وتعرف أننا لم نحشد .. بالنسبة هل والذاك أحياء ...
- نعم ...
- أوحشوك ...
- متعودان على ذلك .. وأنا متعود على أن أعيش بعيدا لحد طويلة ..
- ربنا يرجعك لهم بالسلامة ...
- أرجو ذلك ...
- كلامي العربي كويس ؟ ... ؟
- ليس رديئا ...
- تعلمته من أصدقاء فلسطينيين هنا ...
- لك أصدقاء عرب ؟ ... ؟
- كثيرون ...

وكيف يعيشون ؟

- كويس .. بنعمل لهم مدارس ومستشفيات .. ونعطيهم عملا ..  
ولكن احمد سعيد وهيكل .. والكلام الكثير .. يجعلهم باستمرار غير  
راضين ..

- احمد سعيد وهيكل فقط .. وارضهم ومنازلهم .. وحياتهم ...  
- من بقى منهم تركنا له ارضه .. وتركنا له وظيفته وعائلته ..  
ولكن الذى ترك ارضه اخذناها لتعميرها ...  
- ولماذا ترك ارضه .. لانه خاف على حياته منكم ...

- والله فكرتك مش مضبوطة بالنسبة لهذا الموضوع .. فى سنة ٤٧  
احنا خرجنا بعربات معلق تليها ميكروفونات .. وكانت تنادى لا تغادروا  
اماكنكم ... لن نؤذيكم .. لكن زعماءهم قالوا لهم اسبوع او اكثر وتحمل  
الجيوش العربية وينتهى الموقف ولذلك تركوا الارض على امل الرجوع فوق  
مدرعات الجيوش العربية .. ما ذنبنا فى هذا ( لم اكن اعرف تفاصيل  
هذا الموضوع جيدا ولذلك فلم استطع الرد وحاولت ان اتخلص من المازق  
فسأله ) .

- انت متزوج ؟

- نعم ... وزوجتى ففانه ...

- اى نوع من الفن ؟

- رسامة ...

- بترسم كلاسيك .. ام مودرن ؟

- مودرن ... انت بتحب الرسم .. تعرف ترسم ؟

- انهم ... واتذوق ...

- بتحب السيرياليزم ؟

- وماذا السيرياليزم بالذات .. افضل التكعيبية والتأثيرية ..

والتعبيرية ..

- انت بتفهم كويس فى الرسم .. احنا عندنا مدارس ورسامين

كبار ...

- ونحن ايضا ...

- انتم بلدكم فنونها قديمة .. من خمسة آلاف سنة .. اما الان

فهى متخلفة ..

- معلوماتك غير صحيحة تماما .. فليينا كليات فنون ومعاهد  
موسيقى وباليه ومسرح وسينما واساتذة لهم معارض .. وفالون جوائز  
كثيرة في المعارض العالمية تصوير .. وثحت .. وعمارة ..  
- قد يكون هذا صحيحا .. ولكن الموسيقى ضعيفة ....  
- لماذا ..؟ لينا موسيقى كلاسيك .. وموسيقى حديثة ..  
واوركسترا سيمفونى

بدعشه - هل تعرف الموسيقى الكلاسيك .... ؟

- بالتأكيد ..؟

باختبار - من من المؤلفين تحب .... ؟

- تشيكوفسكى .. ريمسكى كورسكوف .. بتهوفن .. موتسارت ..  
خاتشاتوريان .. باخ ..؟

- هل تسمع لباخ ..؟ ..؟

- نعم .. سبستيان باخ ....

- شئ غريب ..؟ الم اقل لك انك لست مصريا .. المصرى يحب  
ام كلثوم .. وعبد المطلب ..

- وما الغريب .. نحن شعب له حضارة عمرها أكثر من خمسة آلاف  
سنة .. من عتقا نشأت الحضارة .. فنحن الذين علمنا العالم .. ومرتان ..  
في البداية وفي العصر الاسلامى ..

وابتدأت نظراته تتغير .. لم تعد نظرات الدهشة .. ولم تعد نظرة  
تواضع من انسان متقدم لآخر متخلف من شعب متخلف .. وسعدت لهذا  
التغيير فلقد فرضت عليه احترامى نجحت في تحويله من مستجوب الى  
متعجب .. وخطرت لى فكرة لماذا لا ابعد عن المهذبة الذى أحضرنى من  
أجله .. وفي نفس الوقت أقنعه بأننا لسنا شعبا متخلفا لاننا هزمنا  
اعجبتنى هذه الفكرة .. وحاولت اداة الحديث كلما حاول أن يفرعه الى  
الناحية العسكرية الى حديث آخر .. عن الفلسفة .. والعلوم ..  
والفنون .. والاجتماع .. والسياسة والتاريخ .. والحضارة .. انزع  
عديدة متنوعة كانت تزيد نظرات الاحترام الممزوجة بالدهشة كلما تكلمت  
عن سارتر .. وهيجل .. وبوترا ند رسل .. وفرويد .. ودارون .. حتى  
حضر من ينبئه بانتهاء الوقت .. وتركنى ولم يأخذ المعلومات .. التى  
يريدها .. وخرجت لاحتاسب نفسى .. ما الذى فعلته .. هل هذا وتت

استعراض معلومات .. هل ما فعلته كان صوابا .. ؟  
أم خطأ .. ؟ لماذا تصرفت بهذه الطريقة .. اعزاز وطني ..  
محاولة للتغلب على الشعور بالنقص عن طريق الاستعراض .... فح نصبه  
بمهارة رجل المخابرات ليتعرف من أنا .. قد يكون .. ولكنني تعلمت  
درساً .. وهو ألا أخاف المستنجب .. هو رجل .. وأنا رجل ..  
ولا فارق ....

وفي هذه الفترة تغيرت الحياة في المعسكر تماماً .. فلقد ردم  
الاسرائيليون دورة المياه المفتوحة والتي استعملناها في بداية حضوريا  
للمعسكر .. وفتحوا دورة المياه الاساسية .. وهي دورات تشبه  
اي دورة في معسكر مصرى .. ولكنها قذرة جدا .. وسمحوا لنا بإذاعة  
ترفيهية صباحا لمدة ساعتين .. ومساء قبل إغلاق العنابر .. وكانت أول  
أغنية نستمع اليها في اسرنا .. أغنية لمحمد عبد المطلب .. وأنا مالى ..  
وأنا مالى .. عمر الايام م حثلاثي طول م أنت بعيد عني يا غالى ..  
وصحنا جميعا كأننا متفقون .. اولاد الكلب ....

ثم أغاني لام كلثوم .. فات الميعاد .. وبقينا بعاد ..  
متصبرنيش .... م خلاص .... أنا فاض بيه ومليت ..  
وأغاني لشادية .. سلامات .... سلامات يا غايب عني ....

كلها أغاني تزيد الحنين الى الوطن .. وتزيد التساؤلات .. متى  
سنعود ... لتكون شرخا في اعصابنا .. وتزيد توترنا ....

وفي بعض الاحيان كانوا يقيمون بعض الموسيقى الراقصة قبل ذبلة  
الغذاء .... والمجندات الاسرائيليات ذاهبات الى المطعم .. يرقصن وهن  
ما شيات .. ( تاكينلا .. ورقصات أخرى .. )

وزادت الدعوات للاستجواب .. واهدوا مكتبة المعسكر بكتب أخرى  
تتحدث عن النصر العسكري الاسرائيلي ثم مجلة نيوزويك الامريكية .. وهي  
تحتكي قصة الانتصار .. مصبوزة موشى ديان .. في المقال الرئيسي  
وعنوانه « الرجل الذي حول القطط الى سباع » .. والمقصود بالقطة

هم جنود الجيش الاسرائيلي الاحتياط في الغلب .. وحى اشارة الى انهم  
مسالمون .. ولكن في وقت المعركة يتحولون الى سباع تحت قيادة المسبح  
الاكبر ..

كذلك وفي هذه الايام احضروا لنا كروت صغيرة لنكتب عليها مالا يزيد  
عن عشرين كلمة لاهالينا .. وكان خطابي الاول .. « مازلت أعيش على  
ظهر الارض » .. وفي هذه الفترة أيضا .. احضروا لنا مجلات جنسية  
امريكية كلها صور جنسية عارية ..

وهكذا خففوا الضغوط قليلا .. فأصبح في استطاعتنا اغلاق النور  
في المساء دون تهديدات .. ولم نعد نستمع الى الطلقات الليلية للجراس ...  
وصاحب ذلك تطور في الطريقة التي نعيش بها .. انتهى حديث الحرب ..  
أو قل الى حد كبير .. وابتدأنا في الخديف عن وسيلة لتروفيه وقضاء  
الوقت .. وتحولت الاحاديث تدريجيا الى الحديث عن السنينما ..  
والجنس ... والنكت الجنسية .. والمغامرات العاطفية .. والاغانى الخلية  
كل يحاول أن يعوض النقص الذي أصابه بالمبالغة في مغامراته .. بالإضافة  
لما دار في الاستجابات .. ثم ابتدأنا في عمل كتابتين من علب السجائر ..  
وشطرنج من لبابة العيش ..

في الاستجابات الثاني .. طبقت ما تعلمته من الاستجابات الاول ..  
الملابس النظيفة .. وحلاقة الذقن .. والابتسامه الواثقة .. واستقبلني  
في هذه المرة لجنة .. ضابط ومترجم ومتفرج .. وأوراق كثيرة .. استجاب  
عسكري هذه المرة ...

- ماذا كنت تعمل ؟ ..

- ضابطا ...

- أى كتيبه ؟ ...

- كتيبة مهندسين ..

- معلوماتك الهندسية ..

سؤال مباشر بماذا أرد .. لا استطيع الفهم أو الدوران حوله ...

- أنا .. أنا دخلت الجيش منذ مدة قريبة ..

- ماذا تعرف ؟ ..

- أعرف كل شيء .. ولكننى لا أثق شيئا .. معرفة سريعة ..

- أنت رائد .. معنى ذلك أنك مسئول ؟ ... ؟
- المهندسون يصبحون روادا سريعا ...
- مدة عملك ... ؟
- سنة ...
- وفي خلال هذه السنة تصبح رائدا ؟ ... ؟
- أضافوا الى مدة خدمتى السابقة فى وظيفة مدنية ...
- ما نوع تخصصك ؟ ... ؟
- معمارى ...
- بقبلى عمارات فى الجيش ؟ ... ؟
- مبانى صغيرة .. بوابة .. مخزن .. سلاحليك .. سجن ..
- واين كنت تعمل وانت مدنى ؟ ... ؟
- فى سيناء .. ففتت كل المباني الموجودة هناك .. فى العريش
- ورفح والشيخ زويد وبير العبد .. المدرسة الابتدائى هناك ..
- ومدرسة الصنائع فى العريش .. قطع حديتى بصراحة ...
- ما معلوماتك عن رص حقول الالغام ؟ ... ؟
- مش فاهم ... 111 محاولا ان اعطى نفسى فرصة للتفكير ...
- كيف قرص حقول الغام بواسطة الافراد .. بواسطة معدات ؟ ... ؟
- بواسطة الافراد ...
- وما الطريقة ؟ ... ؟
- عادي ...
- ازاى بتسجلها ؟ ... ؟
- فى السجل ...
- ايه اللي بتكتبه ؟ ... ؟
- املا الخانات الموجودة ...
- مش عيب عليك تبقى رائد طويل وعريض وتكتب ...
- كيف ؟ ... ؟

وفتح درج مكتبه واخرج مذكرات الفرقة الاساسية وكتاب الالغام ..

وتسال :

- هذا هو المستوى الذى تدريسه .. وهذا هو كتابكم .. لماذا تكذب .. ؟

أخذتني المفاجأة بصورة لم أتوقعها .. ولكننى استجيمت نفسى سريعا وضحكت قائلا ..

- فى الحقيقة .. الذى يبرص الالفام كتائب متخصصة .. اما أنا فلم أحرصها أبدا ..

- كيف تعمل طريق ؟

- بالجريد .. والبلدوز ..

- وعندما تكون مفككة ؟

- نضع طوب وزلط ..

- ألا توجد طرق أخرى ؟

- توجد طرق كثيرة .. تعرفها كتائب الطرق ..

- وماذا تعرف أنت ؟

- أعرف كل شىء ..

- ماذا كنت تعمل .. فى الجيش ؟

- لم أعمل أكثر من سنة ..

- فى هذه السنة ماذا عملت ؟

- كنت فى الكلية الحربية ثلاثة شهور .. والباقى فى المدرسة ..

- التى فى الحلمية ؟

- نعم .. أخذت فيها الموجود فى هذه الكراسية .. ووصلت كتيبنى

منذ شهرين فقط

- ماذا عملت هناك ؟

- بنيت بوابة .. وميز للضباط ..

- العمل العسكرى ..

- مفيش ..

وهكذا درنا فى دائرة مفرغة .. فنلتى من حيث بدأنا .. وكان يتخلل

الحديث أسئلة عن حالتى النفسية وأهلى .. وهل تريد أن تراهم ( بلهجة

تهديجية ) كأنما يقول لى ائنى لى أراهم الا اذا تكلمت .. ومع ائنى فهمت

ماذا تعنى هذه اللهجة .. ومع علمى أيضا بأن تفاصيل علمى مكتوبة

فى الدفاتر والكتاب اللذين أمامه .. الا ائنى لم استطع أن أنطقها لمحو

بلسانى .. بنفسى .. تطوعا .. حتى بدون ضغط .. حقا هو يعرفها

جيدا .. ولكن من يعلم لماذا يسألني هذه الاسئلة .. وطني هذا السؤال  
على قشرة عقلى .. فسالته ..

- امامك الكتاب والمذكرات .. وتستطيع ان تعرف منها الاجابات  
الصحيحة ... على كل سؤال تفصيليا .. فلماذا تسألنى ؟

لوجىء بالسؤال وتردد قليلا ثم قال :

- مجرد اجراء روتينى لأتأكد من أنك مهندس ..  
شئ غريب لا يمكن أن يكون اجراء روتينياً .. المقصود شئ آخر ..  
لا أعلمه .. اكتشفته بعد ذلك عندما داومت على التفكير .. وبعد عدة ظواهر  
أخرى ربطتها بعضها ببعض أهمها أنهم يبحثون عن المهندسين الذين رسوا  
حقوق الالغام .. ليساعدوهم في أزالتها .. وهنا فهمت لماذا يصرون  
على حقوق الالغام .. ويعود لها بعد عدة أسئلة .. لقد نجوت ان الاصرار  
على مصلحة الوطن الفطرية ما هو الا اصرار على المصلحة الشخصية ضمنيا  
... لو أننى اعتبرت الكتاب والمذكرة ببساطة سببا لان اتكلم لأصبحت مثل  
الفنائه التى يعتدى عليها غصبا بواسطة مجنون أو سكران فتتحول الى بائعة  
هوى .. ألم تغتصب .. ؟ .. ما الداعى للشرف الان .. ألم تقع فى أيديهم  
الكتب والمذكرات ما الداعى للسكوت الان .. ولكننى لو فعلت ذلك لكان  
جزائى يتناسب مع مقدار قصر نظرى .. لكان جزائى أن أقف الايام الطوال ..  
أساعد المعتو على التخلص من الالغام التى نصبتها له .. لكان  
جزائى الاستنكار من نفسى ومن مجتمعى وقومى .. وازدراهم لى ..  
أبم لبائعة الزوى التى اعتدى عليها يوما غصبا بواسطة مجنون ..

ومنذ هذا الاستجواب ومع انتهائه .. انتهى تماما سؤالى عن المعلومات  
العسكرية ولا اعرف السبب .. بل الاعجب أن كل المستجوبين بعد ذلك كانوا  
يعاملونى على أننى ضابط احتياط ..

جانبا زميل بعد الاستجواب مصفر الوجه منفعلا انفعالا شديدا ..

.. ماذا حدث ؟؟؟؟

- اولاد الكلب ..

- ماذا حدث ؟؟؟؟



- سألوني عن جهاز لاسلكي معين فاستعبطت .. احضروا كلبا ضخما ووضعوه امامي .. ايدى الكلب فوق كتفى .. ودخلت سيدة مجندة اسرائيلية وبصفت في وجبى .. وقالت لى .... هل انت رجل ...

- ياه .... وبعد ....

- ركبنا فى عربة جييب حتى البحر .. نزل منها جنديان وحفروا حفرة عميقة على الشاطئ قالوا لى دى مقبرتك .. سندفنك هنا ...

- مش معقول .... ١١

- بعد ذلك أرجعونى وقالوا .. فكر وسنتكلم ثانية الساعة الرابعة ..

وهاج الزملاء .. قد يتعرض اى منا لهذا الاستفزاز .. وذهب الرائد صفوت الى قائد المسكر .. وقائد المستجوبين .. مقدما احتجاجا .. الم تقولوا انكم لستم برابرة لتستجوبوا بهذه الطريقة .. سنقدم احتجاجا للصليب الاحمر .. وكانت النتيجة اعتذار عما حدث .. وانتهت القصة .. وأن ظلت تتداول مدة طويلة ..

زميل اخر جاءنا يضرب كفا بكفا .. هل تخيلون .. قلت لهم اننى رئيس عمليات كتيبه فقالوا لى لا اسمك كذا .. ووظيفتك كذا .. ثم أخرج ورقة من مكتبه وقال وهذه امضاؤك .. ثم فرد خريطة رسمتها للدفاع المضاد للطيران فى منطقة ابو عجيلة وقال لى .. وهذه خريطةك ... احضروا الخريطة التى رسمتها ...

وكذلك احضروا لبعض الزملاء .. خرائط مصورة بالطائرات لمناطق ابواء القوات فى القاهرة وعلى القنال واخذوا يضعون على الاماكن اسماءها .. وخاصة مصانع وقواعد الصواريخ المضادة للطائرات ...

اصبحت لحياتنا ما يشبه الشكل المستقر حتى بداية شهر يوليو .. اغانى وبعض الموسيقى .. ثم استجد فى نهاية السنة فشرة الاختبار فى تمام الثانية عشر من صغرت اسرائيل او الاذاعة الاسرائيلية الناطقة باللغة العبرية

أو ما يشبه ذلك .. وسمحوا لنا بـ خطاب كل شهر وكارت كل خمسة عشر يوما .. وأغرقتوا المعسكر بـ جليبتين يوميتين .. أحدهما باللغة الانجليزية وتسمى الجورزلم بوسست وهي جريدة ناطقة بأسم الحكومة الاسرائيلية .. وأخرى باللغة العربية وأسمها جريدة « اليوم » ، وهي تصدر للمناطق المحتلة

والجورزليم بوسست جريدة غير مبتذلة بالمقارنة بجريدة اليوم .. وإن كانت موجهة ومعبرة عن وجهة النظر الاسرائيلية في جميع القضايا .. وتصادف مرور خمسين عاما على مؤتمر بازل ونبوذة هرتزل بقيام دولة اليهود في فلسطين بعد خمسين عاما .. ولذلك أصدرت الجريدة ملحقا خاصا عن نشأة اسرائيل .. ومنها عرفنا بقرارات مجلس الامن والمسيخير يارنج والافواط التي منحت للجنود والضباط الاسرائيليين ومعظمها نتيجة للعمل الياسل الذي قاموا به لانتقاذ جريج أو احضار جثة زميل اثناء القتال ..

أما جريدة اليوم فهي جريدة ، مبتذلة وخفيفة جدا .. لا تتورع عن 'حكم في مصر' خصوصا وتشويشي الحياة في الدول العربية عامة .. ونقد ( لاشتراكية اللبن المخلوط بالماء في مصر ) والتشكيك في احتمال قدرة الجيش المصري على استعادة كفاءته القتالية في المدى القريب وحددت بقاء على رأى تائد عسكري أمريكي بأن أقل مدة لذلك هي أربع سنوات .. وكان من النادر أن تمسك عددا ولا تجد فيه سببا مباشرا لعبد الناصر ..

وهذه الجريدة رفضتها العناصر الواعية بالمعسكر وقبلتها بعض العناصر المهزوزة التي كان يحلو لها قراءتها واستعذاب آلام الاهانة ..

واستقر نظام الحكم المحلي للمعسكر وأصبح لهيئة القيادة حجرة كبيرة يسكنها حوالي خمسة ضباط يخصص كل منهم مكان أكبر .. وأصبحوا يتمتعون ببعض الامتيازات الصغيرة في هذه الظروف جعلتهم متميزين عنا .. فهم لا ينظفون حجرتهم أو يغسلون أدوات أكلهم .. أو ملابسهم .. بل يقوم بها بعض الجنود المصريين المخصصين لخدمتهم وكميات أكلهم أكبر كثيرا .. ولكنها حياتنا ومجتمعنا .. نقلناها معنا الى الاسر ..

وتحولت أحاديث الضباط كما قلت بعيدا عن الحرب .. وزادت التحرشات .. والشجارات السباب لانتفه الاسباب بين الضباط ..

وانتشرت النكبات التي تروج لها المخابرات الاسرائيلية .. مثلاً قولوا لعين الشمس ما تحماش .. لحسن دا جيشنا المصرى راجع ماشى ...

كذلك حدث تغيير هام .. وهو عودة الاسرى الاردنيين .. والسوريين .. ولم يبق بالمعسكر سوانا .. اسرى ...

والان فلنحاول أن نقصور سوريا .. يوما من ايامنا في المعسكر .. في الحجره رقم ١٠ .. حيث ينام ستة عشر ضابطا ما بين رائد وملازم حديث التخرج ...

### الساعة السابعة صباحا :

أحدهم يستيقظ ويضحك بصوت عال .. ثم يصمت فجأة .. ويزعد الضابط المجاور له .. قائلا ..

- انظر اليسوا امواتا .. احنا خلاص متنا ياسادة ..
- آخر - اصطبح وقول يا صبح .. من الصبح وانت تنفق كده ..
- آخر - هو الواحد ميقدرش ينام ساعه ...
- آخر - قوم ياسى زفت اغسل الاواني النهارده دورك في الفسيل والفطار زمانه جائ ..
- آخر - علشان خاطرى اغسلهم بدلا منى .. انا تعبنا وقرفنا ...
- آخر - هو انت الوحيد الذى لك اهل .. م كلنا متجوزين ولنا اولاد ونسوان واهياء وامهات ...
- انا متصور ان الصليب الاحمر الذى اخذ خطابتنا مزور .. ولم يرسلوا الخطابات
- السوريون والاردنيون مشبوا .. ليه احنا فاضلين ...
- البننى آدم في مصر لا ثمن له ولا قيمة ..
- لو ان بيننا ابن وزير والا اخو واحد كبير كان زماننا في مصر ...
- حتى دى عايزه وسايط ... ؟
- سلبنى صابونتك اغسل وشى ...
- جديان يحملان قزاننا كبيرا ومهما ضابط يقفون على باب الحجرة ..
- الفطار يا حضرات كل واحد ياخذ اكله ..
- اين كوزى .. عايز اخذ شاي .. انتم متغاضلين من كوزى لانكم لا تملكون مثله ..

- بطل بقى ٠٠ كوزك مرمى وراء جزمك ٠٠٠
- ارمى الدبش بتاعك ٠٠٠ يا فتاح يا عليم ٠٠
- لا ٠٠ العيشة معاكم متنفعش انا حاشوف ناس غبركم ٠٠
- قوم يا عاطف ٠٠٠ عشان تاكل ٠٠٠
- سييه ده سهران طول الليل بيولع سيجارة من سيجارة ٠٠٠
- هي دى سجاير دى ٠٠ قش ملفوف فى ورق ٠٠٠٠
- فيذك ياكيلوباترا ٠٠٠٠
- احنا ياجماعة لازم نشغل وقتنا بحاجة مش معقول كده حتموت من  
المسل والفراخ ٠
- والله الواحد منكم لويؤدى تعليمات دينه عمره ما حيلاقى فراغ ٠٠
- صل واقرأ القرآن وستجد السكينة ٠٠٠
- من اين نحضر القرآن ٠٠٠ ؟
- ساطليه من المستجوب عندما اذهب له ٠٠٠
- قل لى يا سيدى انت بتروح كثير هناك ليه ٠٠٠ ؟
- ناس بتحبني ٠٠ انت مالك ٠٠ على الاقل بشرب سيجارة نظيفة  
وكازوزه مثلجة وشاى فى كباية ٠٠٠
- تعال اعلمك اليوكر ٠٠٠
- انت مقصور ان الكوتشينه بتاعك دى كوتشينه ٠٠٠
- مش احسن من مفيش ٠٠٠
- تعال نتمشى فى الخارج ٠٠٠
- تعال فنور الدكاتره ٠٠ فى حجرتهم ٠٠٠
- آنت يا واد انت قد اولادى ٠٠ انت نسيت انى قائد كتيبك ٠٠٠ ؟
- يا عم لما نروح لمصر ابقى حاكمنى ٠٠ هنا كلنا اسرى ٠٠٠
- عيب يا محمد ده القائد بتاعك برضه ٠٠٠
- والنبي تسكت يا فتحم ٠٠ اصلك متعرفهوش ٠٠ انا عازفه كويس
- ٠٠٠ يخرّب بيتك كل ده عشان طمطمايه ياولد ٠٠٠
- آه كل مرة ياخذ للطمطمايه الكبيرة ٠٠ ويسيب الصغيرة لى ٠٠
- طمطماية ايه ياولد ٠٠ الطمطماية دى ملهاش قيمة ٠٠ شوف الواد  
الحنى ٠٠
- فى مصر عندك القداين. والعمارات والفيلوس فى البثك ٠٠ لكن هنا  
الطمطماية هي العمارات والفيلوس ٠٠ خلى قداينك تنفعك ٠٠٠

- برضه الأصل غالب ٠٠ من يوم ما دخل الحربية اولاد الشحاتين  
وهى كده ٠ على ايامنا كنت تحب تتفرج على ايام الجمعة والزيارات  
٠٠ احسن العربيات ٠ وبوفيهات التورتات والجاتوهات ٠٠  
واميرات مصر وجميلاتها ٠٠ وفرقة مزيكة باللبس الرسمى ٠٠  
ناس اعينهم مليانة ٠٠ مش اولاد الشحاتين اللي بيتكلموا عن  
طمطماية ٠٠ روح النهارده شوف الكلية الحربية ٠٠ تلاقى  
البوابين والسفكرية هم الزوار ٠٠ لدرجة ان اى افندى محترم  
يتكسف يزور قريبه ٠٠٠

- يا عم بطلوا سرح بقه عايز تفهمنا انك ابن باشا ٠٠ انت دخات  
الحربية سنه ٥٣ ٠

- آه لكن اخويا دخل ٤٩ ٠٠ ومادام اخويا قبل ٤٩ كنت تحبب انا  
كمان لو كان الوضع زى ما هوه ٠٠٠

- ياريت والله كان احسن ٠٠

- هس ٠٠ هس ٠٠ كان زهانك النهارده خالى شغل ٠٠

- مش احسن من الرمية المهبية دى ٠٠

- ان شاء الله حي عوضوك كويس بعد ما ترجع ٠٠٠

- الاسرى فى ٥٦ اخذوا مرتباتهم بالكامل وشهرين مكافاه ٠٠ وهدايا  
وحفلات وتعويضات ٠٠٠٠

- لكننا فى ٥٦ كنا منتصرين مش زى الخيبة السودة دى ٠٠٠

- يا عم انتصار ايه ونيلة ايه ٠٠ انت بتصدق يعنى لو كان الانجليز  
والفرنسيين عايزين يموتونا واحد ٠٠ واحد ٠٠ كنا حنقدر عليهم ٠٠

- انتم لسه عمالين تتكلموا ٠٠ انا استحميت وانتم عمالين تتخانفوا  
استحميت مين ٠٠٠ ؟

- على الحنفية ٠٠٠

- قدام الناس كده ٠٠٠٠ ؟

- اذا كنت بقضى حاجتى قدام الناس ٠٠ حيفلب علينا ان نستحمي  
امامهم ٠٠ ولا فى النظافة لا ٠٠٠ فاضل الواحد يخطى ٠٠ واحط

الكولونيا النعام ٠٠٠ والبودرة ٠٠ واسرح شعوى ٠٠ وتلبس  
الجلابية الديلان بتاعة اخوك شلبى ٠٠ يا سيد متحلمش ٠٠

اخنا هنا كوم زباله ٠٠٠ دى مزبلة ٠٠ عايش فيها خنازير ٠٠  
يا جماعة ٠٠ يا جماعة ٠٠ الواحد يعنى ميعرفش ينام ٠٠٠

- قوم يا معلم الساعة بقيت الحادية عشرة ٠٠٠
- قوم بينا نسمع الاخبار ٠٠٠
- خليك انت علشان تاخذ لنا الاكل ٠٠ غسلت مكان الفطور ٠٠٠
- اليه انقطعت قبل م الحق ٠٠٠
- يا اخى حفضل كسلان كده لامنى ٠٠ مش قادر حتى تخدم نفسك
- اصله ابن بهوات ٠٠ كان عنده ثلاث مراسلات فى المكتب يا سيدنى
- نصف السرية كانت مراسلاته ٠٠٠
- هو حد وصلنا لعنايت الا للى زيه ٠٠٠

### الساعة الثانية ظهرا :

- الضباط يخرجون من حجراتهم ٠٠ ويتدفقون الى واجهة المعسكر
- امام السور حيث يوجد الميكروفون ليستمعوا الى نشرة الاخبار ٠٠
- تعليقات مختلفة على الاخبار ٠٠ كل كلمة تفسر لاكثر من معنى ٠٠
- مناقشات متوترة .
- الغذاء ٠٠ غلب الخضار المحفوظ التى اخذوها من الحرب وارزنا ايضا
- او مكرونة . لا فاكهة ٠٠ اللحم فى حدود ضيقة على هيئة كفتة او بلوبيف
- ٠٠ طابور الغسيل ٠٠ كل يحمل اوانيه ويقف امام حنفيات المياه فى انتظار
- دوره ٠٠٠

### الساعة الان الخامسة :

- بعد ساعة ستقف علينا الابواب ٠٠ هذه الساعة هى الفرصة الوحيدة
- للتجول خارج الحجرات حيث يصبح الجو صالحا للمشى ٠٠ كل ثلاثة افراد
- او اربعة ٠٠ يسيرون معا ٠٠ اذا اقتربت منهم تستمع الى كلام متباين ٠٠
- تلتقرب من هؤلاء ٠٠٠
- الجو جميل جدا ٠٠٠
- شايف الالوان فى السما ٠٠٠
- الحياة حلوة لكن احنا اللى جاييين القرف لانفسنا ٠٠٠
- لماذا لا نعيش فى سلام ٠٠ هل يجب أن نكون دولة عظمى ٠٠٠
- والله انا مليش فى الطور او الطحين كنت مننى وحتجوز جرونى .
- انا اتجوزت الشهر الماضى ٠٠ كنا فى شهر العسل ٠٠
- مراتى حامل ٠٠ يا عالم ٠٠

- والدى كان مريضاً .. ترى ماذا حدث له ... ؟
- تلاتيهم ولا حاسين .. احنا بس اللي طالع عنيينا ...
- ولنقترب من هؤلاء ...
- اذت فاكر اللحن ده .. ويصفر بفمه ...
- آه بالطبع « سترانجراين زى نايت » ...
- اعبدها الغنوه دى ....
- شوف كلماتها .. انتنين تايهين فى الظلام .. يتمنيان الحب  
والمساعدة .. شىء ما فى عينيك جذبنى اليك .. شىء ما فى  
ابتسامتك اثارنى للغاية .. شىء ما فى قلبى يقول آرت لى ...
- أسكت من فضلك لا تقطعنى .. احنا اصلنا خراعه .. شوف  
الاطفال فى الجنائين تلاتيهم بيقتطفوا الورد .. حتى الورد  
لا تستطيع ان تعيش فى سلام .. الورد الزرققة الحلوة ..  
احنا شعب مروعون ..
- والله كلامك مضبوط ..
- يا جماعة وحياء ابوكم تبطلوا السيرة دى .. احنا حنفضل شتم  
فى نفسنا كده لحد امتى ...
- اصلنا نستحق الشتيمة .. لازم النكسة دى تغسلنا من الداخل  
.. لازم ننفذ انفسنا ونصلح بعض .. ليه الطفل الصغير يقطف  
الوردة .. ويضرب الطوبية فى لوح الزجاج .. ليه .. تعرف تقولى ؟
- سمعت اللحن ده « لاقام دى مون آميه » .. زوجه صديقى ..  
احبك .. أعبدك .. انت النور الذى آراه .. انت الحياة ..  
أكسبتنى السعادة والمحبة ولكن هناك عيب صغير أنك زوجه  
صديقى ~
- الناس دى بتجيب الكلام ده منين .. ولا اللحن .. علشان كده  
بيغلبوا ... مش تعاليلى يا بطة ...
- ولنقترب من مجموعه أخرى ...
- وقلته ادينى بق ميه ...
- .. .. .
- قاللى لا .. ليه يابنى .. ده أنا حموت .. ابن الكلب يقول لى ..  
م هو يا انت " تموت يا أنا اموت .. احنا كده .. شعب مش  
متعاون .. لو كان قلبنا على بعض وايدنا فى ايد بعض .. مكش  
حصل الى حصل ...

- وحترج بعيد ليه مشفتش الخناقة اللي حصلت على الاكل اول يوم.
- شاييف الواد ده ...
- فين ...
- التخين ده ابو زنويه ...
- آه ...
- بس اوعى تقول لحد ...
- لا ...

- آه ... ده ... احنا لتاسرنا سوا ٠ يوم ٨ يونيو ٠٠ جاييه اليهود وقعد يخطب فينا يا حضرات ٠٠ احنا ضابط مصرى زيكم ٠٠ متخفوش ٠٠ احنا خلاص خرج بلدنا بعد يوم او اثنين ٠٠ لان اليهود مفيش بينهم وبيننا حاجة ٠٠ اللي كان بينهم وبين عبد الناصر ٠٠ ويسمى ان ارفا لكم الخبر الجميل ده اللي كلنا بنتمناه ٠٠ ان عبد الناصر ٠٠ تنحى ٠٠ استقال ٠٠ مشى وبالشكل ده يصبح مفيش سبب للحرب ٠٠ وخرج تانى لاهلنا واولادنا قريبا جدا ٠٠

- مش معقول ٠٠ هو عبد الناصر استقال ٠٠٠ ؟
- آه انت متعرفش ٠٠ بس رجع تانى ...
- يا اخى اشاعة اسرائيلية ٠٠ احنا سمعناه بيخطب فى ٢٣ يوليو ٠٠ وانتم ٠٠ عملتم ايه ...
- كنا عايزين نقتله ٠٠ لكن ما باليد حيله ٠٠ اليهود بيجموه بالسلاح ...
- وانت ايه رايك ٠٠٠ ؟
- زى ما قلت احنا شعب ميخافش الا بعنيه ٠٠ اللي يتجسوز اى اقله يا عمى ٠

- ولنقترب من مجموعة رابعة ٠٠٠٠
- انا مش قلت من زمان ٠٠ من لا دين له لا شرقة له ٠٠٠
- حقيقى يا اخى البلد اللي تنسى دينها لازم يحصل لها كده ٠٠٠
- قول لى يا استاذ ٠٠ أين الدين ٠٠ أين الصلاة ٠٠ أين الفضيلة ٠٠ هل نميش فى بلد اسلامى ونستولى على ارض للناس وفلوسهم ومصانعهم الى عرقوا وتعبوا فيها ٠٠ ربنا قال كده ٠٠



- يا اخ والله الواحد كان بينكسف يركب الاتوبيس من الانحازل

.. دى فوضى .. اخر زمن ...

- ربنا مش راضى عنا .. ده انذار من الخالق عز وجل ...

- لكن م اليهود كفرة .. لماذا ينصرهم علينا واحنا مسلمين وخير امه ..

- مين قتالك .. مش يمكن يكونوا اقرب لله منا .. مش اليهوديه

دين سماوى .. مش يمكن يكونوا بيطبقوا تعاليم دينهم احسن -نا-

- على رايك .. على الاقل ما بيسجنوش مسلم علشان بينادى بتعاليم

دينه واحيائها ..

- انت عارف لو الاخوان فى الحرب دى .. كانوا شيبوهم .. الواحد

من دول فى ٤٨ كان يطلق على اليهودى زى الوحش ينادى الله اكبر

.. الله اكبر .. اليهودى يتربع يسبب سلاحه ويهرب ..

سبحانه مغير الاحوال ...

وهكذا تدور الاحاديث بين جماعتنا الصغيره كل اثنين كل ثلاثة

كل اربعة ... نصبوا انفسهم قضاة .. وظلوا يرجمون المجتمع ثم يلصقونها

بالنكسة .. بالحرب .. لقد هزمنا لاننا فراعته ونمارده .. ومتخلفين

نقطع الورد .. ولاننا لم نترك الاخوان يقتلوننا فى السينما والمسارح

.. ولم نتركهم ينسفون لنا الكبارى ومحطات الكهرباء !!!

وتحل ساعة الحبس .. ويتجه كل منا الى غرفته .. الى سجنه

.. فيؤدى حاجته أولا .. ويملا اوانيه بالماء .. ويغسل وجهه ورجليه

من التراب .. واخيرا .. يقف الحراس اليهود يصفقون بايديهم .. انتهت

الحرية فلندخل الى الانقاص ...!

الاضاءة طول الليل .. لاضواء .. الشبايبك مغلقة .. اذا مرض

احكم فليناد على الحارس اقدم ضابط بالحجرة ....

- مساء الخير .. مين اقدم الضباط ...

- .. .. .

- المحد كمام ؟

- .. .. .

- أحاد .. اثنين .. ثالث .. رابع .. خمشة .. سباع ..  
شموني ..  
- تصيحوا على خير ...

وتغلق الابواب بالترابيس .. ويوضع عليها الاقفال من الخارج ..

الان نحن في مواجهة انفسنا .. وعلينا ان نقضى هذا اليوم .. بيومي  
يقلد اليمينيين .. الشيخ محمد صلى يوم المصلين .. محمود والجندي  
وقايز ومحمد يلعبون بوكر .. عاطف وعادل يتكلمون .. حتى نسقط بالقتالى  
نائمين .. واحدا .. تلو الآخر .. ونضع الجردل الذى نبول فيه ليلا خلف  
الباب .. ويظنى آخر الساهرين النور .. وننام ليبدأ يوم جديد ...

وتمر الايام الباقية من شهر يوليو حتى قرب نهايته وفي السبت الاخير  
من الشهر استدعى للاستجواب حوالى ٢٥ ضابطا مجتمعين .. كانت  
الاجراءات مخالفة للاجراءات المتبعة .. اكوام من البنطلونات الجديدين  
البيج بكل القاسات .. قمصان بيضاء ... اخذية بلاستيك ..

فسألنا .. ما الموضوع ؟ .. وجامنا الرد ...

رجل طويل يلبس الملابس المدنية .. ينادى علينا .. وكل ٥ ضباط  
او اربعة او ثلاثة يسلمهم لآخر ... وهكذا حتى تبقى ٦ ضباط ..  
انا مهندس - وطبيب - ونائب احكام - ومهندس مركبات - ضابط اشارة  
ضابط مدفعية .. يوجد رابط معين يجمعنا اكيد ولكننا لا نشعر ..  
ارتدينا ملابسنا الجديدة .. واستلمنا الرجل المدني ومعه اخر يحمل  
حقيبة عرفنا بعد ذلك ان بها طبنجة .. ركبنا ميكروباس .. واتجهنا خارج  
المعسكر نحن في طريقنا لزيارة اسرائيل .. اول زيارة للاسرى المصريين ..  
الدنيا غريبة بعد السجن الطويل .. ها نحن نرى عربات مدنية .. رجالا  
ونساء واطفالا يسرعون بعرباتهم في اتجاه البحر .. الميكروباس يقف بعد  
مدة قليلة .. يلتفت لنا المرافق ويفرد خريطة لاسرائيل ...

صباح الخير .. اول موضوع نتكلم فيه هو انفى اريد ان تشربوا انكم  
اسرى .. انتم الان ضيوف لاسرائيل .. سياح .. بالمفهوم ده نقدر نفهم  
بعض ونمضى يوما جميلا ...

وقد يكون الضغط الشديد وفرصة التخلص منه ولو ليوم سببا لاننا جميعا ابتسمنا وقررنا فعلا أن نعتبر انفسنا سياحا ..

استمر في كلامه .. هذه خريطة اسرائيل بعد ٥ يونيو .. ( سباح ايه الله يخرب بيتك هل هذا كلام ) وكأنه اكتشف ما يدور بفكرنا .. وأضاف الا اذا حل السلام فنحن مستعدون للرجوع الى الحدود السابقة .. وهذا المكان اسمه عتليت .. ( كانت المرة الاولى التي نسمع فيها اسم المكان ) نحن بجوار حيفا .. هذا جبل الكرمل .. زيارتنا سنصعد الى جبل الكرمل .. وسنرى حيفا من اعلى ثم سنذهب الى كيبوتز بجوار حيفا وسنזור اخوانا عربا في الناصرة .. ثم نتناول الغذاء على شاطئ طبرية .. وانطلق الميكروباص .. العربات حولنا تحمل العائلات للبحر .. الرجال والنساء بالمايومات فالיום عطلة .. بلاج حيفا .. الشماسي الملونة .. المايومات البكني .. الجيلاتى .. النظارات .. حياة عادية .. كأنه لا وجود للحرب هنا .. العربية ترتفع في طريقتها الى اعلى الجبل .. السينمات .. افيشات افلام رايناها في القاهرة .. السيدات البيضاوات بالشورت .. بالميكروجيب .. بالمايوه .. العربات الصغيرة تملأ الجبل .. من هنا الطريق الى الجامعة .. هذا فندق مبنى على أحدث طراز .. مباني جديدة منشأة على مدرج الجبل .. هنا نفق للمترو يصل الى حيفا أسفل الجبل .. وفوق ربوة عالية تطل على حيفا .. توقف الميكروباص .. نطل على حيفا من اعلى .. جميله حيفا .. البحر الابيض .. نستنشق الهواء بملء رئتيها .. فناطيس بترول .. قبة ذهبية .. يشير اليها المرافق هذه مقبرة زعيم البهائيين .. البهائية دين يجمع بين المسيحية والاسلام مكانه الاصلى ايران .. ثم انتقل لحيفا .. يوجد بهائيون في الدول العربية .. وفي الهند ..

رجل يحتضن فتاة بجوارنا .. منظر يخدر الاعصاب .. هذه مباني المهجرين الجدد .. كل أسرة لها منزل تملكه وتسعد ثمنه على اقتساط .. حيفا تشبه اى قمر لكن جميلة .. الاسكندرية أجمل .. هذه لها طابع .. والأخرى لها طابع آخر .. لا تارة الاسكندرية أكثر جمالا .. وأكثر حضارة .. وهل الاسكندرية على هذه النظافة ونسبة الخضرة .. هذه

تمتاز بالجبل المطل على البحر .. حديث دار سراً في غفلة عن المرافق  
ركبنا الميكروباس .

المرافق - هل عنحكم ما يشبه ذلك ؟

زميل - لا ..

آخر - بل يوجد .. المقطم ..

آخر - الاسكندرية مثل هذه واجمل ..

آخر - المعادى ومصر الجديدة على نفس المستوى من النظافة ..

المرافق - الجبل كان مزروعا اشجارا .. لكن الانجليز في الحرب  
العالمية حرقوه لانه قريب من البحر ويسهل التخفى داخله .. بالمناسبة هذا  
المبنى كان سجناً اقامة الانجليز ايام الاحتلال .. لليهود ..

- الانجليز تركوا لكم البلد .. وكان لكم حكومة ظل تحكم بجوار  
الحاكم الانجليزى ..

- ابدا كان الانجليز مستعمرين .. ولقد حاربناهم .. والعرب  
حاربوهم وكانوا دائماً لا يفرقون بيننا .. في يافا .. كان هناك حتى  
اليهود في تل أبيب وحتى للعرب في يافا .. فكان الانجليز يخطفون أطفال  
العرب ليتركوهم في الحى اليهودى .. ويخطفون اليهود ويقتلونهم في الحى  
العربى .. كى يزيحوا الاحتاد والتنازع .. عبد الناصر بنفسه ذكر في مذكراته  
انه تكلم مع اليهود في النالوجا وسألهم كيف حاربتهم الانجليز .. نحن اولاد  
اسحاق .. وانتم اولاد اسماعيل .. والاثنيين اولاد ابراهيم .. وطول  
عمرنا بنعيش في سلام .. لماذا لا نعيش الان في سلام سوف ترون أننا  
نبنى ونريد أن نبنى لكن بجوار كل مبنى وبجوار كل مصنع خندق ..  
لماذا ؟

وصلنا الى الكيبوتزيم .. مبانى حديثة الطراز .. مستقبلنا رجال  
بسطام جدا بترحاب .. السيدات والفتيات بالشورت والبلوزة  
والصندل .. مستوى الجمال عالى .. رجل كبير السن يستقبلنا بترحاب  
رائد .. انه السكرتير العام للكيبوتز حالياً .. هكذا نتعرف عليه ..

- انتفضلوا في حجرة الاجتماعات ..

اطباق برقوق أحمر وأصفر .. تفاح .. كمثرى .. نلتف حول  
المائدة .. نتفضلوا انتاج مزارعنا .. يتكلم عن لنظام في الكيبوتز ..

استمعنا اليه واعيننا على البرقوق والتفاح والكمثرى .. فلد طال.  
حرماننا منها .. ولكن الكرامة البرجوازية كانت تمنعنا من ابداء هذه  
الرغبة صراحة .. لذلك فقد كنا نستمع اليه فارغى الصبر .. نريد أن ينتهي  
لنبدأ بالالتهام ...

- الحياة عندنا ديموقراطية .. كل الناس تشتغل .. كل الناس تعيش  
نفس العيشة الادارة والقيادة بالانتخاب .. وكل زوجين لهما منزل ..  
الاطفال في منزل خاص بالاطفال تحت رعاية موحدة .. واكل موحدة ..  
الاطفال لا ترى اباها الا في العطلات وبعد الظهر ساعتين .. الشابات في  
منزل .. والشباب في منزل .. ويمكن يتزوجون .. ويكون لهم منزل  
منفصل .. لكنهم عادة يتزوجون من خارج الكيبوتز .. الخدمة في المطعم  
بالدور كل فرد له مصروف شخصى شهرى من ٢ : ٣ جنيهات ملابسه على  
الكيبوتز بالطبخ .. الارباح تزيد بها المنشآت وترفع مستوى المعيشة ..  
جزء اخر نعمل به رحلات للخارج ... الناس تتفصح .. وتتعلم اشياء  
نافعة للكيبوتز ..

التعليم حتى المرحلة الثانوية .. وفى حسب احتياجات الكيبوتز ..  
ومناك تعليم اكثر من ثانوى ايضا حسب احتياجات ومطالب الكيبوتز ..  
قم شعر بالملل الذى انتابنا .. فانهى محاضراته .. هل تريدون ان  
تسألوا .. شيئا ؟

- متى انشئ هذا الكيبوتز ... ؟

- سنة ١٩٣٩ .. واسمه .. ضاليا .. ولقد انشئ بواسطة الوكالة  
الصهيونية بعد أن اشترتها من اصحابها اليهود وجعلتها ملكا للسكان ..  
وكان اسمها القديم « جديرة » وانشأتها سنة ١٨٨٤ ولكنها لم تكن كيبوتز  
انما أصبحت ملكيات بمفهوم الكيبوتز ١٩٣٩ ..

- لماذا لا يعيش الاطفال مع اهلهم ... ؟

- هنا كلنا نعمل .. الرجال والنساء .. والنساء حصلن على  
حقوقهن المساوية للرجل .. ومن لذلك لا يستطيعن أن يقتصرن لأبنائهن ..  
لذلك تقوم مدرسات مدرسات برعاية جميع الاطفال ..

هامش ( ان العائلة في الكمبيوتر تعتبر مجازي الى حد ما ٠٠ اذ انه لا توجد حياة عائلية بالمعنى الذي نفهمه ٠٠ ويتضح من مراجعة تاريخ الكمبيوتر أن قادة حركة الكمبيوتر وروادها كانوا يعتبرون الزواج مؤسسة برجوازية مهترقة أو فاسدة لا تتناسب مع حياة الكمبيوتر ومثلها والقيم الاقتصادية والاجتماعية فيها » توقعت أن تقضى حركة الكمبيوتر على الزواج والعائلة بالمعنى التقليدي » ( سبيرو صفحة ١١٠ ) ٠٠ والواقع هو أن تغيير مؤسسة الزواج وضع « الرواد » أمام مشكلة مستعصية زادتها تعقيدا زيادة عدد الرجال على النساء بنسبة ٢ : ١ ٠٠٠ وقاموا بتجارب عديدة منها تعدد الأزواج ٠٠٠ وتعدد الزوجات ( سبيروا صفحة ١١ ) ٠٠ وكسروا طوق الحياء الجنسي فأسسوا الحمامات المشتركة ولكنهم لم يلبثوا أن تخلوا عنها ٠٠ وعلى أي حال فقد اعتبروا الجنس مسألة شخصية والزواج مسألة مزاجية ٠٠ لا تحتاج الى إذن أو مراسم من قبل المجتمع سواء في مطلعها أو نهايتها ٠٠ وحتى يومنا هذا كل ما يحتاجه الزوجان لإعلان زواجهما هو التقدم بطلب غرمة مشتركة ٠٠ والغاء ذلك الترتيب عند الافتراق - وبذلك فالرجل والمرأة لا يتزوجان بل يصبحان « زوجين » ٠٠ أي اثنين « ٠٠ والمرأة لا تحصل على زوج بل على شاب أو رفيق والشباب لا يحصل على زوجة بل رفيقة ٠٠ صديقة ٠٠ ولذلك فالاطفال بهذا المعنى يصبحون أبناء للكمبيوتر ٠٠ يعلمهم ويرببهم على الولاء المطلق للدولة والكمبيوتر وكرامية الأعداء ٠٠ فاصلا إياهم عن أبويهم ٠٠ وأمثلة ذلك واضحة في أكثر من قصة من قصص الجيل الجديد الاسرائيلي ٠٠ وخاصة أبنه موسى ديان ) ٠٠

- ماذا تفعلون للرجل الذي لا يريد أن يعمل ٠٠ أولا يرضى عن العمل الموكل له ٠٠٠ ؟

- أولا النصيحة ٠٠ ثم توجيه النظر ٠٠ ثم الطرد بعد « الاجتماع العام هامش : ان فلسفة الكمبيوتر تقوم أساسا على فلسفة « ١ و ٠ » جوردن ( ١٨٥٦ - ١٩٢٢ ) صاحب فلسفة « دين العمل » ٠٠ الذي نادى بالعمل كظاهرة خلقة وقيمة عليا ٠٠ وكان دائما ما يحض على العمل كخلاص للشعب اليهودي « ان شعبا تعود جميع أنماط الحياة عدا النمط الطبيعي - أي تحقيق الاكتفاء الذاتي عن طريق العمل - لن يصبح شعبا حيا عاملا إلا اذا بذل أقصى طاقة لتحقيق هذا الهدف ٠٠

ان العمل ليس مجرد العامل الذى يحدد علاقة الانسان بالارض وحقه فيها وحسب .. بل هو القوة الرئيسية فى بناء حضارة قومية ايضا ان العمل هو مثل انسانى اعلى للمستقبل والمثل الاعلى يشبه الشمس الشافية ..  
اننا بحاجة الى متعصبين للعمل منزمتين له باعلى معانى الكلمة « جوردن » .. وكان بن جوريون هو الذى وضع هذه الفلسفة موضع التنفيذ واعتبرها خلاصا للشعب اليهودى حتى انه كان يقضى شهرا من كل سنة فى الكيبوتز يعمل فى الفلاحة .. وهو يقول سنة ١٩١٥ « ان عرق الجبين يصنع الوطن القومى .. سوف نحصل على وطننا القومى بواسطة عملنا وكحنا .. ان ارض اسرائيل تصبح ملكنا عندما يكون عمالها وحراسها من صفوفنا » .. ( المصدر بن جوريون بعث اسرائيل ومصيرها ) ..  
وفى موضع اخر قال « .. الحياة فى الكيبوتز صعبة ... وفيها الكثير من ملامح التقشف فى حياة الجندي وليس من السهل تحمل نظامها وصرامتها اذا لم يكن العضو فيها صهيونيا متحمسا مندفعاً » ... « ان تهديد الارض وخلق الشروط هو من عمل الطلائع .. طلائع العمل والعلم والبناء مسحة بارادة قومية ووعى تبشيري ... قادرة على أن تدمج مصائرنا الفردية فى هدف سام وعارفة كيف تطوع حياتنا لتحقيق أحلامها ... »  
- بن جوريون -

من هذا نستطيع أن نفهم مدى سذاجة السؤال .. ومدى الاندعاش الذى اجاب به سكرتير الكيبوتز : « بالفروض أن انضم للكيبوتز طليعة متحمسة مندفعة لبناء الوطن الاسرائيلى القومى ... »  
.. هل هذه اشتراكية ماركسية أم اشتراكية اصلاحية اقرب  
لأوين ... ؟

وتغابى الرجل .. فلم يرد على السؤال .. ثم قمنا لزيارة الكيبوتز .. بعد ما انهينا على الاطباء المثلثة امامنا ...  
زونا منزل عائلة :

حجرتان احدهما للنوم واخرى بها انترية خفيف جدا .. مكتبة .. راديو .. ثلاجة صغيرة جدا .. حمام .. لا مطبخ .. لا حجرة طعام .. لا حجرة اطفال لا حجرة استقبال .. دخلنا اكثر من منزل .. كلها متشابهة .. نظيفة تتخللها الشمس والهواء ...

في طريقنا الى عنبر الاطفال .. اشار سكرتير الكمبيوتر لبعض الاكواخ الخشبية .. قائلا : هذه كانت مساكننا القديمة في بداية انشاء الكمبيوتر .. بالطبع ازلناها واقمنا مكانها هذه المساكن .. ولكننا تركنا بعضها لنفكر دائما ما استطعنا انجازها خلال هذه السنوات بالعمل ... ولنتطلع الى مستوى احسن ...

### عنبر الاطفال :

حجرات متجاورة .. بكل حجرة من ٢ الى ٤ أسرة أطفال .. تحت كل سرير شبشب صغير .. فوقه بيجاما .. حجرة للالعاب .. حجرة للاكل والدراسة .. الاطفال كلهم في الخارج يلعبون مع اباؤهم يوم عطلة .. دورة مياه بها مبال ومراحيض صغيرة خاصة بالاطفال .. وفرش اسنان وفوط ..

في الطريق الى المركز الثقافي : المرافق يعلق على ما شاهدنا ..

الطفل يتربى في بيوت الحضانة منذ أن يرى النور حتى سن الثامنة عشرة وتبدأ الخطوة الاولى بعد الولادة بأيام .. فيوضع الطفل في بيت الحضانة .. ويبقى هناك مدة سنة واحدة وتقولى الام ارضاعه بينما تتولى المربيات تربيته .. وبعد بلوغ الطفل سنته الاولى ينتقل الى الروضة حتى سن الرابعة .. وفي تلك المرحلة يسمح للابوين باصطحاب طفلهما الى البيت لقضاء بضعة ساعات معهما .. وفي سن الرابعة ينتقل الطفل الى مدرسة الاطفال وهي التي زرتها الان .. وتنتهى هذه المرحلة لدى بلوغه السابعة حيث ينتقل الى المدرسة الابتدائية التي تكون بمثابة بيت لهم ايضا حتى سن الثانية عشرة فيعيش في منازل الشباب حيث يتعلم في المدرسة الثانوية « او مؤسسة للتعليم » حتى الثامنة عشرة ... حيث يلتحق بالجيش ...

وكنا قد وصلنا الى المركز الثقافي .. مارين من خلال مانشى مبلطة ببلاطات كبيرة ومزروعا فيما بينها يحفها من جميع الاتجاهات الاشجار ذات الازهار الملونة .. بين طوابير النساء والرجال والاطفال القادمة على الطريق يلبسون المايوهات ويحملون على اكتافهم اطفالهم .. الاطفال صحتهم جيدة جدا .. الدماء تجري في وجوههم بشدة .. بعض الجاميع تغنى .. دواذ ير .. وكلاما اخر بالعبرية ...



شباب وفتاة في ركن تحت شجرة يتناجيان .. ولا ينظر لهما سوانا  
نحن السنة المصريين .. المرافق يبتسم ويقول هذا هو سن الحب ...

المركز الثقافي مبنى من طابقين .. ولذلك فهو اكبر المباني الموجودة ..  
به مكتبة ماثلة ممتلئة بالكتب العبرية .. بعض اغلفتها توحى انها  
مترجمة .. مسرح أنيق .. اماكن للقراءة او لسماع الموسيقى .. السيمفونية  
التاسعة لبيتهوفن تشحنى .. اقف لاستمتع الى الكورال في الحركة  
الرابعة .. سكرتير الكمبيوتر يملق .. لم تكن نملك كل هذا منذ ثلاثين  
سنة .. ولكنه جهد عمل هذه السنين .. لم يساعدنا احد .. بجوار المركز  
الثقافي حمام سباحه رائع .. حوله الارض مزروعة من كل جانب .. السبان  
والشبابات يجرون .. يلعبون بالكرات الخفيفة .. العجائز مسترخيات على  
كراسي بلاج يتشمسن .. يعتسن في هدوء .. كان الحرب في مكان آخر  
في المايخ مثلا .. الاطفال تجري حولي .. اطفال ذوو شعور صفراء  
ممتلئين يكاد يخرج من وجوههم الدم .. اربت على راس احدهم ...  
فينظر الى باستغراب ..

هذه هي السعادة .. حقا .. قطعة من الجنة .. بالتأكيد هم سعداء  
جدا .. يعملون .. يأكلون .. يلهون .. صحتهم جيدة ..

هامش ( في مجال الحديث عن الحياة الاجتماعية علينا الانفسى ان  
العمل يستهلك ساعات النهار من الفجر الى الغسق .. وبعد انتهاء  
ساعات العمل يتجه سكان الكمبيوتر الى الحمامات ليغتسلوا ومن ثم يصرفون  
بعض الوقت في رؤية اولادهم بمدارسهم ومؤسسات « التعليم الجماعي »  
حتى وقت العشاء .. والواقع هو ان صالة الطعام العامة هي مركز للحياة  
الاجتماعية في الكمبيوتر .. وذلك لاسباب « عقائدية جماعية » ولاسباب  
( ظرفية تاريخية ) تتعلق بظروف السكن وعدم صلاحية الغرف الضيقة  
لاستقبال الضيوف ..

في صالة الطعام العامة تجرى المناقشات وتتم اللقاءات بين جميع افراد  
الكمبيوتر يستمعون الى الراديو - قبل ان تسم الراديوهات - وى بعض  
الاحيان يشاهدون الافلام السينمائية والحفلات الموسيقية. ولكن مع ذلك  
لا يزيد هذا على اكثر من مرة في الاسبوع. أما بقية سهرات الاسبوع

فيقضيها الاعضاء باجتماعات اللجان .. والاجتماعات العامة ومع ان  
أجهزة الراديو الخاصة قد كثرت في الآونة الأخيرة واتجه أعضاء الكمبيوتر  
نحو قضاء بعض السهرات في مساكنهم الخاصة .. إلا أن الحياة الاجتماعية  
بقيت باهتة لسبب فقدان الحياة الخاصة وضعف وسائل الترفيه والتسلية  
 وضعف ضيق الدائرة البشرية .. ولما كان نظام الكمبيوتر نظاما مغلقا فقد  
كثرت الثروة والاصطدامات الشخصية .. ولعل العطلة السنوية تتحلل  
مختفيا لضغط الحياة الاجتماعية مع أن مشكلة عدم توفر الفقد المخصص  
للرحلات تحد من إمكانية قضاء بعض الوقت خارج الكمبيوتر .. وخلاصة  
القول فإن الحياة الاجتماعية في الكمبيوتر تشكل انعكاسا للحياة شبه  
العسكارية التي يعيشها سكان المستعمرات الجماعية وهي متأثرة بالمقاييس  
الانقشافية والجماعية التي وضعها مؤسسو حركة الكمبيوتر في مطلع القرن ..  
« الكمبيوتر أو المزارع الجماعية في إسرائيل ، عيد الوهاب الكيالي »

عينا في طريقنا الى خارج الكمبيوتر .. مررنا بالطعم .. صالة  
واسعة أنيقة جدا .. الاضاءة مخفية وهادئة .. المقاعد مرتبة جيدا وعليها  
اشوك والمعلق والسكاكين والملاحات والسطرة .. السرفيس ..  
انسان يدفع أمامهم عربات عليها الاكل الساخن .. المطبخ نظيف جدا يعمل  
بالبخار لا رائحة .. لا قاذورات .. كأننا في مستشفى نظيف ..

زميل - بالطبع كانوا يعلمون بزيارتنا مقدما ...

آخر - حتى لو كانوا يعلمون فالمستوى رائع ...

خرجنا من مكان الايواء ... ودارت الاحاديث الثنائية بيننا ...

- المستوى رائع .. هل تتخيل أن هؤلاء فلاحين ؟ ...

- فلاحين بالمشورت والمايوه والشوكة والسكينة ...

الفرق بيننا وبينهم هو الفرق بين فلاحينا وهؤلاء ...

والآن الى أماكن العمل .. الأرض .. التي قال عنها أحد قادة  
التكتلات العمالية الثالثة في الأرض المحتلة في مجلة يهودية تصدر في  
نيويورك « لقد تم شراء الأرض التي أقيمت عليها الكمبيوترات بواسطة  
المستعمرات من الاقطاعيين غير المقيمين وجرى إبعاد الفلاحين العرب الذين  
كانوا يعملون عليها لقاء تعويضات ضئيلة أو بدون تعويضات على الاطلاق ..  
وكثيرا ما تعرض الفلاح العربي وعائلته الى الاجلاء القهري لرفضه النزوح  
عنها .. وكان شبان الكمبيوتر المتعبد يسارعون الى طرد الفلاح العربي بالقوة

ويستعينون بالشرطة أحيانا ٠٠٠ كثيرا ما كانت عودة النظام تعنى اهراق دم الفلاح العربي ( نيويورك سنة ١٩٦٢ صفحة ١٣ ) مورد كاي شتاين ( الى اتحاد عمال امريكا حول الهستدروت ) ٠

الارض ٠٠ مزروعة قطننا - قطن هنا ٠٠٠

- اجرينا تجارب حتى وصلنا الى زراعته ٠٠

- الزراعة اتوماتيكية ٠٠٠

- كيف عرفت ٠٠٠

- خطوط شجيرات القطن في خط مستقيم كأنها رصت بتيديوليت ٠٠

- نعم ٠٠ عنفنا الحرث ميكانيكي كذلك بذر الحبوب والجنى ٠٠

- وكيف تحافظون على الخطوط المستقيمة نظيفة بدون حشائش ٠٠

- نرش مواد بين الخطوط تمنع نمو أى مزروعات أخرى حتى

ولو كانت قطننا ٠٠٠ لنعطى الفرصة لشجرة القطن بامتصاص

كل المواد ٠٠٠

- ولكن هل كل هذا قطن ٠٠٠ مساحات كبيرة ٠٠٠

- لنستطيع رشها بالطائرات ٠٠٠

- وكيف ترونها ٠٠٠ ؟

- بواسطة المواسير والرش ٠٠ لان المياه عنفنا قليلة لابد ان نستفيد

من كل نقطة منها للزراعة ٠٠ توصلنا الى قطن مستواه جيد وان كان قطنكم

لا ينمأس ٠

وقفت أنظر الى حقول الممتدة الى مدى البصيرة ٠٠ وفجأة تخيلت ان

القطن قد تحول الى قطن احمر ٠٠ لانه مصبوغ بدماء القتلى المخفونين

في هذه الارض ٠٠٠

اتجهنا الى مكان تربية الحيوانات ٠٠ ابقار فريزيان ٠٠ الحلب

اتوماتيكي ثم يعبا في عربات ثلاجات ٠٠ الفراخ ٠٠ البيض ٠٠ مصنع علب

خضار ٠٠ الخيل ٠٠ جراج الجرارات والعربات ٠ وانتوت الزيارة ٠٠ ركبنا

الميكروباص مغادرين الكيبوتز في اتجاه اكمال رحلتنا ٠٠٠

- مستوى حضارى عالى ٠٠٠

- هل رايت محيرية التحرير ٠٠ لا تقل عن ذلك ٠٠٠
- كل العالم أصبح في هذا المستوى ٠٠ عدا ريفنا المتخلف ٠٠٠
- هل رايت البنت المرتدية شررت أحمر ٠٠ ذات الشعر الاصفر ٠٠٠ كالقمر ٠٠٠
- اولاد الكلب ٠٠ في منتهى الجمال ٠٠٠

الطريق الى الناصرة ٠٠ جميل ٠٠ هكذا تخيلت الطريق وأنا مغمض  
العينين في رحلة الوصول لعتليت ٠٠ الطويق العريض في منتصفه جزيرة  
مزروعة على جانبيه بيارات البرتقال ٠٠٠

- هل كل هذه كيبوتزات ٠٠٠ ؟؟

- كيبوتز ٠٠ في اللغة العبرية تعنى جماعة ٠٠ مؤنثها ( كفوتزا ) ٠٠  
ونستعملها للتقليل أى جماعة صغيرة ٠٠ والان تعنى هذه الكلمة جماعة  
من الناس يعيشون ويعملون سويا في مزرعة جماعية والكيبوتزات عندنا  
مختلفة بعضها يضم ٣٠ نسمة والآخرى ١٥٠٠ أما الكفوتزا فهي مستعمرة  
يقل عدد ساكنها عن ٣٠ نسمة ٠٠ والكيبوتز ليس الشكل الوحيد للزراعة  
عندنا ٠٠ فبحوار الكيبوتز والكنوتزا يوجد الموشاحيم وهي قرية تعاونية  
يملك الارض فيها اصحابها ولكنهم يعيشون بتسويق جماعى وعمل  
جماعى وعندنا قرى ذات ملكية خاصة ومدارس زراعية بالاضافة للقرى  
العربية ٠٠ عندنا حوالى ٨٣٨ قرية زراعية منها ٥٩٢ قرية جماعية  
من هذه الـ ٥٩٢ حوالى ٢٢٨ كيبوتز يسكنها حوالى ٨٨ ألف من حوالى  
نصف مليون ٠٠ ولهذا فليست كل الاراضى التى نمر عليها كيبوتزات ٠٠٠
- وهل العرب يعيشون ايضا في كيبوتزات ٠٠٠ ؟
- لا فطبيعتهم ترفض الحياة الجماعية كل منهم يريد قطعة ارض  
خاصة به ٠٠٠

هامش

( يسكن الكيبوتز خليط من اليهود الذين جاءوا من اوربا الشرقية والذين  
تلقوا التوجيه والتدريب على حياة الكيبوتز قبل مجيئهم الى فلسطين ٠٠ ومن  
يهود اوربا الوسطى والغربية ( اثر الاضطهاد النازى ) ومن الصابرا  
أى أبناء المهاجرين البولنديين في فلسطين من اعضاء حركة الكيبوتز في المدن  
٠٠ والجدير بالذكر في هذا الصدد هو ان تيودور هرتزل مؤسس الحركة  
الصهيونية وماتهما الرئيسى كان قد شدد في مذكراته على أهمية طرد  
الفلاحين العرب من اراضيهم واستنبت لهذه الغاية وسائل متعددة ولعل

الكيبوتز كانت في هذا الصدد وسيلة مثالية لاستخدام أعداد كبيرة من المهاجرين واستيعابهم وربطهم بالأرض الفلسطينية والتنظيمات العسكرية والعمالية الصهيونية ربطا محكما وإجلاء العرب عن أرض فلسطين لذلك لم يسمح إطلاقا لأى عربى بالحياة في كيبوتز ... وبالتالي لم يسمح العرب بإقامة كيبوتزات خاصة بهم لأنها بذلك تفقد سببها وأهميتها العسكرية ... وتربط العرب بأرضهم في شكل متماسك لا يريخونه ... )

زميل يضربنى ضربات سريعة من أسفل المقعد لارى طائرات تنفذ من بين الحقول وترتفع لأعلى .. هنا مطار سرى .. المرافق يحاول أن يلفت نظرنا لشيء آخر فيقدم لنا سجاثر من علبته ...

وصلنا الناصرة .. مدينة عربية فعلا .. المباني القديمة من دور او دورين على الأكثر .. الشوارع الضيقة الممتلئة بالأطفال ذوى الجلابيب .. القهاري الكثيرة ذات الكراسي القش والزجاجيل .. عربات الفول والطعمية والكوبية ورائحة الزيت المحروق ... الحلويات الشامية .. الراديو العالي .. اكوام برتقال وليمون وخضروات ...

— مثل أى مدينة عربية .. الناصرة ...

— هنا بشرت الملائكة السيدة مريم بميلاد المسيح ...

هذه كنيسة البشارة .. هنا مكان الحفل الذى حول فيه المسيح الماء الى نبيذ ... وأردف .. والله العرب مش عايزين يغيروا الطابع بتاع بلدهم رغم انهم أغنياء لكن الواحد يفضل يحوش عن أن يبني لنفسه بيتا ويفرشه ..

الميكروباس يسرع في اتجاه الناصرة الجديدة .. بلد نظيف .. فيلات على الطراز الحديث .. الشوارع واسعة ونظيفة .. المنازل من أعلى الجبل تطل على منظر رائع للسهل .. المرافق يتفق مع أحد السكان الاسرائيليين على أننا سنعود له حوالى الساعة الرابعة .. الميكروباس يتجه الى بحيرة طبرية .. نلقف داخل محطة بلزوين .. صاحبها عربى ..

— مين دول ... ؟

— أصدقاء من القاهرة ...

— أهلا .. أهلا .. كيف الحال في القاهرة ... ؟

– الحمد لله ٠٠ كيف حالكم أنتم ٠٠٠٠ ٩

– والله كويس ٠٠ احنا عايشين فى بلدنا ٠٠ الخير كثير وانحية عظيمة ولا يوجد ضغط أو أى مشاكل ٠٠ والله احنا ما كنا نريد أن يتور الموضوع لهذه الدرجة ٠

ثم حاول أن يكمل بسرعة خطبته التى اعدّها مسبقا ٠٠ ولكن المرافق من مقدرتنا الذهنية على الفهم فإشار للسائق بالتحرك قائلا متشكرين يا أخى ٠٠٠

– والله احنا عايزينهم معانا شوية ٠٠٠  
اكتشف أننا ننظر له باستهزاء وفى نفس الوقت باستنكار لمحاولته العقليل  
– متشكرين لدينا أعمال أخرى هامة ٠٠

طبرية بحيرة مياه عذبة ٠٠ هادئة جدا ٠٠ الجو جميل وان زادت الرطوبة قليلا لان مستوى منسوب الأرض تحت منسوب البحر فهى أكثر نقطة منخفضة على الأرض ٠٠ والرطوبة والحرارة تسمح بزراعة الموز ٠٠ وصيد الاسماك وتربية الحيوانات والطيور الداجنة ٠٠ كذلك السياحة بفتح كازينوهات أو فيلات للتصنيف وهذه الاعمال التى يعيش عليها الاعداد المتلاصقة من الكيوترات ٠٠٠

سنزور كيبوتز منها ٠٠ كيبوتز حجابيا وهو اول كيبوتز انشئ في فلسطين سنة ١٩١٠ ٠٠ كان اول مكان زرناء هو المطعم ٠٠ صالة واسعة تشبه السابقة ٠٠ ولكنها أقل رفاهية فى الواجهة الامامية شباك واسع له كونتر ٠٠ يطل على المطبخ ٠٠ وفى نفس الصالة صفت مناضد خشبية كبيرة حولها كراسى خفيفة ٠٠ والمناضد مغطاة بمفارش بسيطة ٠٠ والطراز المعماري لهذه الصالة يرجع بأنها منشأة منذ مدة طويلة ٠٠ شباب وفنائه يخلخلن لروعتنا بدافع حب الاستطلاع ٠٠ الشاب يربى شعره على هيئة اليبيلز والفتاة تطلق شعرها الاصفر الطويل فى افعال وترتدى بلوزة حمراء وشورت ابيض قصير جدا تبدو مثل ممثلات السينما ٠٠ ننظر لهما نحن أيضا باستطلاع ٠٠٠

المرافق يشرح لنا – هؤلاء الشباب من الدول الاسكندنافية ٠٠ يحضرون لقضاء العطلة ويعملون مثل باقى افراد الكيبوتز ٠٠ بالطبع لا يأخذون

مرثبات ٠٠ فإذا اعجبته الحياة عاشوا معهم ٠٠ وإن لم تعجبهم يعودون  
٠٠ ولكن عادة ما يبقون فشكل الحياة هنا يجذبهم كثيرا ٠٠

هامش

إن الأسلوب المتبع في اختيار الأعضاء الجدد يعتمد على مبدأ التجربة  
٠٠ أى أن الراغبين في الانتماء يقضون فترة تجريبية في الكيبوتز قبل قبولهم  
أعضاء فيها ٠٠٠ وتقسم هذه الفترة التجريبية إلى قسمين : المدة الأولى  
والحد الأدنى المقرر لها هو ستة أشهر يعتبر المتقدم بطلب الانتماء بمثابة  
ضيف ٠٠ فإذا وافق الاجتماع العام بأغلبية بسيطة على انتماءه يصبح  
عضوا مرشحا لمدة لا تقل عن نصف عام أيضا ٠٠٠ ولا يصبح عضوا كاملا  
إلا بعد موافقة ثلثي أعضاء الكيبوتز أو ثلثي حضور الاجتماع العام على  
الانتماء الكامل للكيبوتز ٠٠ وهناك حقيقة هامة من نصية الانتماء  
وهي أن عضوية الكيبوتز تزداد لا بفضل الانتماءات الجديدة بل بفضل انتماء  
أعضاء حركات الشباب جماعيا « بن يوسف ص ٨٨ »

تناولنا الغذاء ٠٠ سوسيز ٠٠ وبطاطس بالصلصة البنية ٠٠ ومكرنة  
وشراب عصير البرتقال ٠٠ ثم بعد ذلك كمثرى وبرقوق طازج ٠٠ وابتدأنا  
جولتنا في الكيبوتز بالمرور على قسم الحواجن ٠٠ القسم منظم ٠٠ ونظيف  
ومعد بطريقة مبتكرة تناسب الجو الحار فهناك دشاش من المياه الباردة  
المستمرة ترطب الاقفاص والمنطقة المحيطة ٠٠ ورغم ذلك فلم نهتم كثيرا  
بالقسم فلقد أصابنا الملل والتعب بعد أكثر من شهرين كسل في جراتنا  
ومشينا شبه نائمين خلف سكرتير الكيبوتز ٠٠ حتى وقفنا أمام شئنا  
اسمر من عمال الحظيرة يتكلم اللغة العربية باللهجة المصرية بوضوح ٠٠  
نشد انتباهنا التفنن حوله ٠٠٠ لقد وجدنا قطعة من مصر هنا في اعزاز  
اسرائيل ٠٠٠

— أنا مصري ٠٠ مصر أجمل بلاد الدنيا ٠٠ زرت بلاد كثيرة لم أجد  
هو حياتي ها هو أجمل من القاهرة والاسكندرية كان يتكلم صادقا ٠٠  
بل كان سعيدا بنا ٠٠ فلقد وجدنا قطعة من مصر أيضا ٠٠ يا حبيبي  
يا مصر ٠٠ كم وحشتيني ٠٠ كم وحشتني شوارعك ٠٠ حوايك ٠٠  
تراك ٠٠ ناسك ٠٠ حتى شحاتيك ٠٠ كل ما هو جميل فيك وكل ما هو  
سعي ٠٠ واستعرت جولتنا المركز الثقافي ٠٠ انشأه ٠٠٠٠٠

.. المستثنى نفس الكلام .. نفس الفلسفة .. ولكن كان هناك شيء جديد  
فالمستعمرة في مواجهتها هضبة الجولان عبر بحيرة طبرية .. ولذلك  
فلاستعدادات العسكرية تغلب عليها .. بل الطابع العسكري واضح في كل  
مكان .. الخنادق المكشوفة والملاجئ المغطاة .. أسوار السلك الشائك  
.. أبراج الحراسة .. الكشافات الضخمة ... صفارات الإنذار .. لاحظ  
المهافق نظرانا .. فقال :

هضبة الجولان فعلا تسيطر سيطرة كاملة على المستعمرة .. ولكن  
لن تصدقوا ان خسائر المدفعية السورية هنا لم تتعد بعض بقرات .. وبعض  
المباني ولا خسائر اطلاقا في الارواح ...

هامش

استند الجيش الصهيوني شبه السرى في فلسطين الانتدابية  
( الهجانا ) الى الكيبوتزيم في التجنيد وفي التدريب السرى وفي اخفاء الاسلحة  
السرية .. ( موش كريم ) ..

ان شعب اسرائيل هو الجيش .. اذ ان جميع المواطنين من ذكور  
واناث هم افراد في الجيش فهذا الوضع وحده يؤمن شروط بقاء جزيرة  
اسرائيل في محيط عربى ( بن جوريون ) ..

في ظل هضبة الجولان وعلى ضفاف بحيرة طبرية  
الهادئة وقبل غروب يوم من ايام يوليو ما بعد الذكسة  
جلسنا .. سنة ضباط اسرى مصريين ... ومرافق صهيونى  
( عرفنا من الشاب الاسمر الذى قابلناه انه سكرتير حزب المايى الحاكم )  
.. فى كيبوتز دجانيا اقدم المستعمرات العسكرية الزراعية الاسرائيلية وثلاث  
مواطنين اسرائيليين كانوا فى يوم ما .. مواطنين مصريين .. جلسنا  
حول منضدة طويلة فى كافتريا اعدت للسياح .. كل الموجودين يتكلمون  
اللغة العربية واغلبهم بلهجة مصرية عدا سكرتير الكيبوتز فكان يتكلم  
الانجليزية .. واستمرت دردشة عن القاهرة .. وحواريها وناسها ..  
.. وملاهيها .. والتغييرات التى حدثت فيها .. العقبة وميدان رمسيس  
... نقلوا تمثال النهضة امام الجامعة .. واتهم الكورنيش بالطبع والهيلتون  
والسد العالى .. وتخدر كل الموجودين .. نحن من ذكرى بلدنا .. والحديث  
عنها فى هذا المكان الرومانسى وهم من فكرى ايام صحر شبابهم التى عاشوها  
فى بلدنا .. سقطت العدوات .. وتقاربنا بشدة .. وتحمس احدهم  
فاشترى علبتين سجائر امريكاني .. اعطاها لنا ... وتحمس آخر ..



ثم استقرى لنا زجاجات مياه غازية منغيشة من البرودة .. والرطوبة .. وفجأة دار حديث بالعبرية بين سكرتير الحزب الموافق لنا وسكرتير الكيبوتز .. ثم ترجم لنا المرافق الحديث فقال : لم أكن أعرف هذا حقاً .. ولكن أبن سكرتير الكيبوتز أصيب في الحرب الأخيرة وقطعت رجلاه .. ومع ذلك يرحب بكم .....

مناورة سخيصة مكشوفة ردتنا بقسوة للحقيقة .. أننا بين أيدي أعداء .. أننا أسرى وصحونا من الحلم لنستمتع في ملل الى ما يقوله سكرتير الحزب .. نحن نريد أن نعيش في سلام .. كل المواطنين هنا لا يريدون الحرب نريد أن نعيش أطفالنا خارج الملاجئ والخنادق .. غمنا تحت الأرض أكثر مما غمنا فوقها .. نريد أن نستمتع بالشمس .. كنت استمتع اليه وأنا أنظر حولي مثلياً .. الفتيات والشبان حولنا كثيرون .. معظمهم غربيون .. الملابس كلها شوربات وبلوزات .. فتاة يتعلق بها مصري وأحاول أن أنامها أكثر ما يمكن .. متوسطة الطول تلبس شورت أبيض وبلورة ركامة بيضاء .. شعرها الأصفر منسدل بإهمال حول رقبة طويلة بيضاء تحمل وجهها له أجمل ابتسامة رأيتها في حياتي .. الشمساسي على البلاج .. بيك أب مع بعض الاسطوانات موسيقى راقصة قاصدة لنا من بعد .. ولنا في طريقنا الى الميكروباس مباني جديدة منفذة جيداً .. الخرسانة غير محتاجة لبياض فهي منفذة بحيث لا تغطي بالبياض لتتحمل رطوبة المنطقة .. البئرنة على الكافتيريا ترحب بنا بابتسامة لزجة .. انها زوجة وزير .. الوزير نفسه من سكان الكيبوتز .. نركب الميكروباس .. أنظر لاخر مرة الى لابسة الشورت الابيض .. هذا الشباب لماذا يتحول الى وحوش ؟؟ هاشم

( اسرائيل في حقيقتها .. مقدمه للاستعمار الامبريالى العالمى في اسرق الاوسط .. أنشأتها إنجلترا لتخافظ على ممتلكات التاج البريطانى في المنطقة .. ان قيام دولة قوية على ضفاف قناة السويس قادر على حماية المصالح الانجليزية في الشرق الاوسط ، وايزمان - وبعد الحرب العالمية الثانية .. ومع انتقال الزعامة الى أمريكا .. انتقلت حمايتها الى أمريكا .. وانتقل الولاء الصهيونى اليها أيضاً .. وتحولت الى فصيلة متقدمة للجيش الامريكى في المنطقة لتنفيذ المخططات الامريكية العالمية ) ..

نحن في طريقنا الان الى الناصرة .. فقلنا لندهاشنا .. نحاول أن نحتفظ في مخيلتنا بما نراه فيحتمل الا نرى دنيين الا بعد مدة طويلة ..

اليوم يقارب على الانتهاء وسنعود ثانيا الى سجننا ٠٠ الميكروباس يصعد المرتفعات المظلة على الناصرة الجديدة ٠ فيلات صغيرة جميلة منتشرة على المنحدر ٠٠ نزور عائلة يهودية تسكن احدى الفيلات ٠٠ المنزل بسيط جدا ٠٠ ولكنه جميل ٠٠ الاحاديث ودية ٠٠ ترحيب ٠٠٠ حديث مع فتاة اسرائيلية ابنة صاحب البيت ٠٠ عمرها حوالى السادسة عشرة ٠٠٠

تقول - لماذا لا نعيش في سلام ٠٠ منطقتنا مستصيح ان تكون أغنى مناطق العالم ٠٠٠٠

لديكم البترول والمواد الخام والعمالة ٠٠ ولدينا الفنيون والعلماء ٠٠ ونستطع ان نأخذ رموس الاموال الامريكية للتعمير ٠٠

ابتسم ٠٠ هذا ما يعلمونها ٠٠!! ٠٠ وجهه النظر الاسرائيلية بدون أى زواق أو أصباغ تخفى حقيقتها ٠٠٠

تتصور أغنى موافق على ما تقوله ٠٠ توجه لى كلامها ٠٠٠

- ما رايك ٠٠ لماذا نحارب ٠٠٠ ؟ اكلمها برفق شديد ٠٠

وهل تتصورين اننا لا يوجد بيننا علماء وفنيون مثلكم ٠٠ انا مهندس والزميل مهندس والآخر طبيب ٠٠ ولنا زخيرة عريضة من العلماء ٠٠ ثم هل تتصورين ان رموس الاموال الامريكية ستعمر لنا بلادنا لمنافسها ٠٠ انها تعطيككم لانكم اسرائيل يا انسه ٠٠ ولانها تتصوركم ٠٠١١ ٠٠ وقطع كلامى المرافق قائلا ٠٠٠

- انها تقصص ابناء عمرمتنا من الاغنياء في أمريكا ٠٠ فرصة سعيدة ونحن شاكرون ومضطرون للرحيل فلدينا ما نشاهده ٠٠٠

الميكروباس ينتقل بنا الى الناصرة القديمة ٠٠ نقف امام منزل عربى كبير ٠٠ ذى مشربيات ومقرنصات وحليات عربية ٠٠ تقابلنا على الباب سيدة قادمة لتوها من عقد مصفف الشعر ٠٠ عرفنا بها المرافق ٠٠ زوجة رب المائلة ٠٠ تذكرنا بسيدات البرجوازية الصغيرة المصريات ٠٠ متحشمة فى ملابسها العصرية ٠٠ المنزل به مضيئة واسعة على عادة المنازل المشرقية ٠٠٠ يحتشد فى الصالة عدد كبير من عرب الناصرة ٠٠ ترحيب شديد

وأحضان مصرية وقبالات على الطريقة الشرقية وقفاً المرافق في وسط الحجرة وبطريقة مسرحية أشار لنا ولهم وقال ضيوف من القاهرة ٠٠ مواطنونا العرب في إسرائيل ٠٠ أنتم أقارب ولنترككم لتتعارفوا ٠ انتشرنا في أرجاء القاعة الواسعة ٠٠ وأخذت مكانى بجواره ٠٠ عرفنى بنفسه مدرس فلسفة في المدارس العربية ٠٠ كان يتكلم بانفعال فيهتز وجهه السمين ٠٠ وتبرق عيناه الزرقاوان من تأثير دموع حبيسة ٠٠ ويشير بيديه وأصابعه ٠٠ ويتحرك كثيراً على المقعد العربي المطراز ٠٠ وكنت أنظر إليه باهتمام وتركيز لعلنى استوعب كل حرف ينطقه وفي نفس الوقت أنظر بطرف عيني الى نهاية الحجرة الواسعة لارى هل هناك من يراقبنا ٠٠ فلم أكن أتصور أن سكرتير الحزب الحاكم سيفى بوعده ويتركنا لتتعارف بدون رقابة ٠٠٠

قدموا لنا السجائر الامريكية ٠٠ والحلويات الشامية ٠٠ والشيكولاته ٠٠ والقهوة ٠٠ والشرقيات كل شوقهم للعرب خارج إسرائيل تركز في هذه الزيارة شعور الانسان الذى وجد أهله بعد غربة طويلة ٠٠ الاستقبال الحماسى يذيب الثلوج سريعاً ٠٠ ذو العينين الزرقاوين يسألنى ٠٠

— ما الحل ٠٠٠؟

— أعتقد أنه لا يوجد الا حرب المصائب والمقاومة السرية ٠٠٠

— المقاومة بهذه الصورة لا يمكن ٠٠ ماذا يعنى نصف فنطاس ٠٠ او وضع لغم تحت جرار زراعى يعمل ٠٠ أو يدك بأن المقاومة قد تكون فعالة وحاسمة ٠٠٠٠ ولكنه لابد من تصعيدها وحتى يتم ذلك ٠٠ ما العمل ؟  
كان امامى أحد الطريقتين ٠٠ أن اسمعه ٠٠ او يسمعنى ٠٠ وفضلت أن اسمعه فهو الصوت المحبوس أبداً داخل السجن الاسرائيلى ٠٠٠

لذلك قلت — أنا في حالة بليلة بحيث لا أستطيع أن أقدم لك حلاً ٠٠ ولكنى سأكون — مستمعاً جيداً لك ٠٠٠

— المعركة يا عزيزى في مصر ٠٠ لا شك أن مصر أكبر الدول وهى أملنا بقيادتها الثورية المتقدمة ٠٠ ولكن تجربتنا مع هؤلاء ثلاث مرات أثبتت أننا لا بد وأن نصل الى مستواهم الحضارى والتكنيكي ٠٠ وبعد ٠٠ بمعنى أنه لا بد وأن تقفلوا على أنفسكم الباب مدة حتى تتقدموا حضارياً وتكنيكياً ٠٠ حتى تصلوا الى مستواهم ٠٠ وبعد ذلك الحرب ٠٠

١ - وأنتقم ... ؟

٢ - نحن الاحتياطي الطبيعى لكم .. وفى كل مره كنا مستعدين للقتال بجواركم مع ظهور أول خيط للامل .. ولكن .. أنا معك .. حرب المقاومة لا بد وأن تأخذ صورة مخالفة للعب الاطفال هذه ...

٣ - ليست المقاومة املا يمكنكم أن تسعوا اليه ... ؟

٤ - شعبنا شعب مفكك .. وزعماء الدول العربية ساعدوا على تفكيكه أكثر .. صدقنى .. ان عيينا نحن العرب أننا لم نتخذ الشكل المصرى للدولة بعد .. انهزمتنا يا أخ لانهم هنا يخططون ويعملون بشكل علمى .. أما نحن فنعمل بشكل ميتافيزيقي .. على مصر وارجو ان تقول كلمتنا وتبلغها يا أخى .. ان نتقدم وتصبح الدولة المصرية القادرة على مواجهة اسرائيل .. لا بديل للحرب .. لا بديل للحرب .. ولا بديل للتقدم لكسب الحرب ...

كذت ابكى فلقد كانت كلماته أول رد لاعتبارنا اسمعه منذ ٥ يونيو  
انلعين ... وازددت حبا لهذه العيون الزرقاء الذكية ..

٥ - ما أخبار العالم فى الخارج ؟

٦ - مقال هيكल سمعناه فى صوت العرب .. يتكلم عن أسباب الذكسة .  
وهنا قدموا لنا حلوى أخرى غير التى استقبلونا بها .. قبض صديقى على كمية كبيرة ووضعها فى جيبى قائلا :

٧ - أعط لزملائك .. والله كنا بنريد أن نرسل لكم الطعام يوميا ولكن .. حكم القوى ..

٨ - هل ساعدت أمريكا اسرائيل فعلا بالطيران ؟

٩ - لا .. ولكن البحرية الامريكية كانت مستعدة لدخول المعركة فى حالة دخول أول جندي مصرى ارض اسرائيل .. ولا يمنع أيضا انهم ساعدوهم بواسطة الباخرة الاليكترونيه ليبرتى فى التوجيه والتصحيح للطائرات اذك مطاراتكم .. يا أخى شيء غريب .. هنا عرفنا مقدما ان مجلس الوزراء سيبدأ الحرب يوم ٥ يونيو .. وابلغنا سفارة دولة شرقية .. وبالتالى ابلغت روسيا وروسيا ابلغتكم .. بمعنى أنه لم تكن هناك مفاجأة .. ومع ذلك حدث ما حدث .. كيف ...

١٠ - لا أعرف ...

١١ - سمعنا أنه قد حدث خيانه بين قيادة سلاح الطيران .. وأن المخابرات المركزية الامريكية دفعت مبالغ هائلة رشوة .. وسمعنا ان الطيارين

كانوا ان ينجوا في مطار غرب القاهرة .. يريون ان يصعدوا .. والا ..  
٧ تصلهم .

- قد يكون هذا حدث .. وقد لا يكون ...

- نعم .. انا مقتدر بعذك عن المعلومات .. المهم الحمد لله على السلامة  
والله تبليغ سلامي للاخوه في مصر .. وتقول لهم ان املنا مازال معلقا بكم  
... ورغم كل العون الامريكى .. هنا حنفية ذهب موصلة بنيويورك ..  
ومع ذلك املنا كبير في النصر ...

- وانتم هنا ما هو موقفكم .. كيف تعيشون ... ؟

- العرب هنا يمكن تقسيمهم لثلاثة اقسام .. قسم ( وكاد يشير  
الى بعض الجالسين ) استسلم ورضى بالواقع ويقول هذه بلدنا .. والعرب  
لو دخلوها سيدبحوننا كما لو كنا يهودا هؤلاء في الاغلب اغنياء العرب ..  
والقسم الاخر نسميهم ناصريين .. وطنيين يؤمنون بالبعد القومى واملهم  
مصر وعبد الناصر بالذات .. واغلبهم من الطبقات الوسطى والموظفين  
ومستعدين لتقديم اى عمل في الوقت المناسب .. وبيدهم تيارات ثقافية  
وقومية مرتبطة بالتيارات الموجودة بالقاهرة والعالم العربى .. والفروع الثالث  
هم الشيوعيون .. وهم متطرفون جدا .. اغلبهم من المثقفين الفقراء وهم  
لم يتركوا النضال أبدا .. بالكلام .. بالحرب .. بالشعر .. بالمنشورات  
ورمقبطون الى حد ما بالاحزاب الشيوعية الاسرائيلية .. وموقفهم واحد  
مسلمين مسيحيين ويهود .. لهم جريدهم « الاتحاد » بالطبع سرية ..  
ودواوين شعر سميح القاسم وتوفيق زياد .. ومحمود درويش .. وان  
كان لا يسمى نفسه شيوعيا .. وغيرهم كثيرون .. بعد النكسة ازداد  
نشاطهم لدرجة انه صدر قرار يحظر تجولهم وتحديد اقامتهم في منازلهم ..

- بالنسبة هل توجد قيود على العرب ... ؟

- يوجد قيود طبعاً .. على التجول .. والحركة والنشر .. والتجمعات  
... ولا يسمح باى تحرك من بلد الى آخر الا بتصريح من القائد العسكري  
 للمنطقة .. ولكنهم عادة لا يمتنعون ذلك الا في زمن الحرب .. وعموما هم اذكى  
من ان يشعرونا بالقيود .. الكارثة الحقيقية هي العمل .. فهنا اليهودى  
له كل الفرص .. وما يتبقى للعرب .. وعادة ما تكون الاعمال الشاقة ..

- وهل تتولون مناصب قيادية في الحكم ... ؟

- توجد بعض المناصب للعرب .. منصب القاضى .. وبعض المدرسين  
.. وفي بعض الاوقات ممثلون في الكنيست .. صمنا قليلاً ثم سال -

– هل زرتهم أماكن كثيرة. ٩ ٠٠٠

– زرنا بعض الاماكن ٠٠٠

– ما رأيك ٩ ٠٠٠

– مش بطال ١١ ٠٠٠

– نسوانهم حلوين ٠٠٠

ضحكت ٠٠٠٠

– نعم ٠٠٠

نسوانهم هن اللاتي أخذن لهم فلسطين منا ٠٠ كن يضحكن على الشبا  
٠٠ وماخذن نفوسهم ٠٠ وأرضهم ٠٠ عن طريق الخمارات والكمادات ٠٠

كان يدور هذا الحديث ٠٠ وحولى أحاديث أخرى كثيرة ٠٠ كنا نلتقط  
منها بعض الكلمات عن السد العالي ٠٠ ومديرية التحرير ٠٠ والرى ٠٠  
والتنم المصى بعد الثورة ٠٠٠ وارتفعت الاصوات ٠٠ وارتفعت  
الضحكات ٠٠ حتى دخل المرافق الاسرائيلى ٠٠٠ قال لى زميلى – هل تعرف  
انه سكرتير الحزب الحاكم ٩ ٠٠٠

– نعم ٠٠٠

اراد ان يسيطر على الموقف ويوجه ٠٠ فلقد كانت أول زيارة يقوم  
بها الاسرى المصريون ٠٠ للمواطنين العرب ٠٠ وكانوا يجربون ٠٠ حتى  
يشعرونا بمدى الحرية والديمقراطية الاسرائيلية ٠٠ ولكن الموقف خرج من  
بين يديه ٠٠٠

قال – ما رأيكم ندير مناقشة مفتوحة ٠٠ ونستفيد جميعا بدلا من  
الجلسات الثنائية ٠٠ ردوا عليه : أتركنا فى حالنا ٠٠ نحن سعداء بذلك ٠٠  
ولكن التخط الخيط منه بعض المتعاطفين أو الخائفين ٠٠ وابتدأوا فى  
مناقشة مفتوحة ٠٠٠ على حد تعبيره ٠٠٠

قال أحدهم – كلمونا عن الزراعة عندكم وأهم المحاصيل ٠٠٠

رد زميل وهو يبتسم لسخافة السؤال مع الموقف ٠٠٠

– نحن نزرع القطن ٠٠٠ والقصب ٠٠٠

غمزنى زميلى قائلا ٠٠٠

– أتركهم فى حالهم ٠٠ هل لديك اسئلة أخرى ٠٠٠

– ما تأثير « فتح » على السكان العرب هنا ٠٠٠

« فتح » هي أساس المشكلة .. بشكل رومانسي جدا حاولت ان تقود المقاومة أو تحييدها ولكن ما المكاسب التي عانت علينا من نفس الجرار الزراعى ... أو غنطاس المياه ... لقد دمروا في مقابل ..

وهنا نهض المرافق ... قائلا ... كانت فرصة عظيمة وزيارة ممتعة نرجو أن تكونوا قد تعرفتم جيدا على أوجه الحياة المختلفة في بلدنا .. وكنا نريد أن نطيل الزيارة ولكن لنا برنامج يجب أن نستوفيه خصوصا وأن الزملاء يريدون زيارة كنسية البشارة ...

تركنا العائلات العربية .. ونحن مازلنا نشعر بحرارة اللقاء .. والمحبة الحقيقية الواضحة في أعينهم .. وكانت تدور في رأسى أسئلة كثيرة تلح على .. هل هذا اللقاء مرسوم .. هل ما قيل لى هو الحقيقة .. هل أعد من قبل أم تورط المرافق فيه .. جلست في الميكروباص بجوار الشباك أنظر شاردة الى مجاميع الاولاد والاطفال الحفاة يلعبون حولنا وينظرون لنا بأندهاش واستطلاع واقترب منى أحدهم .. لم أشعر به فى البداية حتى أصبح ملاصقا لى .. ونطق بكلمات قليلة كانت كافية لحسم الموقف أمامى ... لقد عبر عن رأى عرب الناصرة .. رغم كل الحواجز والقيود .. قال « كسفوتنا » واستدار عائدا ...

زونا كنيسة البشارة .. كنيسة قديمة أقيمت حول بئر يسمى بئر العذراء ... ويقال أن العذراء بشرت بالمسيح عنده .. الجو الرهيب الخائف للاماكن المقدسة القديمة الشموع المتقدة للشمع .. السيدات البسيطات الطيبات يدعون لنا .. شربنا من ماء البئر .. ومررنا بداخل الكنسية .. ثم ذهبنا الى جامع الناصرة .. ساهمت فى بنائه الحكومة الاسرائيلية .. جامع فاخر .. مغطى بالسجاد ومعلق فى سقفه النجف .. وبه مكتبة اسلامية كبيرة .. على حد قولهم ثم ركبنا الميكروباص ثانيا .. فى رحلة العودة فى اتجاه عثليت .. فى الطريق الصاعد الى أعلى جبل الكرمل حيث كيبوتز « بيت عورين » كانت توجد المربيات الصغيرة الواقعة بجوار الرصيف .. ومجموعات من الشباب والشابات الصغيرات يحبون بعضهم بعضا .. البعض غارق فى التلذذات وفى مكان آخر كان أحدهم يرقد فوق زميلته يزاوان الجنس .. أبتسم المرافق وقال هذه مسألة شخصية .. وإن كان اليهود الشرقيون أكثر تحفظا فى ذلك .. عموما هذه من مشاكلنا .. أقصد الفارق الحضارى بين اليهود الغربيين .. واليهود

الشرقيين ... ولكن عموما الشرقيون يحاولون الآن أن يسايروا التقدم الحضارى الغربى ...

وصلنا الى كيبوتز « بيت عرين » انشئ عام ١٩٣٩ فى أعلى جبل الكرمل ... الليل تقدم ... نسمات الهواء الباردة فى يوليو ... أضواء صغيرة منتشرة فى الحدائق ... جلسات عائلية حول مناضد صغيرة ... موسيقى خفيفة منبعثة من ميكروفونات معلقة بين الاشجار ...

دخلنا الى مبنى فخم مكون من عدة طوابق يستعمل كموتيل للراحة والسياحة ... المطعم صالة واسعة تشبه صالة الطعام بالهتلون ... الاضواء المخفية ... المناضد النظيفة ... المضيفات يتحركن بهجوى بين المناضد لابسات الميكروجيب ... سيقانهن والرجلن مثيرة للغاية لأول مرة أشعر بأدميتى منذ ٥ يونيو بعد ما جلست على الكرسي الوثير أمام منضدة العشاء ...

- أريد أن اذهب لدورة المياه ... -

دورة نظيفه جدا ... حتى لو لم ترد فلتدخلها فهم بالمقارنة بدورات عتليت ... بل بعنابر نوم عتليت هى الجنة ... انظر لنفسى فى المرآة لأول مرة منذ شهور طويلة ... البنطلون واسع والمقيص ضيق جدا يكاد تقطع أزراره ... شعرى طويل ... ضعيف جدا ... خاسس ... ما هذه النظرات البائسة ... هل هذا الوقت أنا ... مستحيل ... الراحة تكاد تقتلنى ... اليائسة ... هل هذا الوقت أنا ... مستحيل ... الراحة تكاد تقتلنى ...

المضيئة تقدم لى طبق اللحم ... تميل بجوارى ... أشعر برائحة للبرفان المختلط بعرقها ... أكاد أجن ... صدرها يظهر من خلال توبها وهى منحنية ... ساقها يلمس ساقى ... انتصب ... أخجل من نفسى ... انحنى على طبقى أقطع اللحم أمضغه على مهل معتنى تؤلفى ... فى رأسي صدام شديدي ... قلبى يندق دقات متتالية أريد أن أفرغ ما بمعدتى ... لا أشعر بالحديث الذى يدور حولى ... أبحث بعينى عن المضيئة الفارعة ... الزملاء يحاول كل منهم أن يخفى مشاعر ... أحدهم يميل على أولاد الكلب حلوين ... ما رأيك فيهن ؟ ... أصمت ... يرتبك ... تقع أدوات المائدة منه على الأرض ...



نخرج الى الهواء الطلق الخارجى .. اتنفس بعمق .. الهواء البارد  
يدير رأسى .. اشعر بتعب وخدر شديد فى جسدى .. نركب الميكروباس ..

المرافق يحاول أن يختتم الرحلة .. يفتح الراديو .. الموسيقى  
الهادئة تسبب هواء البحر يتخلل الشبائيك .. اغوص فى مقعدى ..  
مسترخيا .. اغمض عيني .. ما السذى اتى بنا الى هنا .. طلعون  
ابو الحرب .. الموسيقى تتوقف .. المذيع يتكلم هنا صوت أمريكا ...

- اليكم موجزا لاهم الاخبار العربية .. المرافق يحاول أن يخلق  
الراديو .. يخجل .. عموما انه صوت أمريكا .. لا غارق كبير ..

وكتطعة نشاف امتصصنا الاخبار .. فى نهاية النشرة أو قرب  
نهايتها .. المذيع يذيع خبرا بأن الرئيس جمال عبد الناصر قال فى خطابه  
بان الحرب فى ٦٧ ما هى الا جولة يعمقها جولات .. وأن الحرب لم تنته  
يهزيمه يونيو .. أغلق المرافق سكرتير حزب المايى الحاكم الراديو بتوتر  
شديد .. والتفت لنا يرد على عبد الناصر ..

- نحن مستعدون لأكثر من جولة .. وأحب أن اخبركم بأننا ومنذ  
حرب يونيو نتدرب استعدادا للحرب المقبلة .. نحن نملك أسلحه سرية  
مدمرة لم نستعملها فى الحرب السابقة .. لاننا انتصرونا .. بالأسلحة  
التقليدية .. ولم يستدع الموقف تجربتها ولكننا سنستعملها وعلى وعلى  
أعدائنا .. كلمة قائلها شمشون اليهودى وهو يهد المعبد نحن لدينا أيضا  
ابحاث متقدمة فى معاملنا .. يحضر من أجلها علماء أمريكا ليستفيدوا منا ..

وهنا كان الميكروباس قد دخل الى المسكر .. وكانت النوايا قد  
وضحت تماما وأطارت الكلمات الاخيرة كل الخدر الذى كنا نشعر به ..  
ولذلك فلكد كانت خطبة الوداع سخيفة جدا وهو يتلوها غير خاسب لما حدث  
منذ دقائق حسابا .. كنا نستمتع لمعونا وهو يقول :

- والان انتهت الرحلة .. وكل شىء لابد وله نهاية .. حتى وجودكم  
بيننا له نهاية وحتى عداؤكم لنا له نهاية .. ونأمل أن تزوروا ثانيا  
وقريبا .. أخوانا سيحا حقيقيين .. كلمات مرسومة بسخيفة رغم كل  
الطلاءات العديدة التى كشفتها أضواء الحقيقة والتى أجبرته غلى كشف  
أوراقه فى لحظة غير مناسبة ...

استقبلنا الزملاء باستطلاع شديد وتشوق لمعرفة ما حدث .. وقضينا ما تبقى من الليل نحكى قصة خطواتنا على الارض المحبوسة داخل اسرائيل .

تتابعت بعد ذلك الزيارات لباقي الاسرى .. وتنوعت لعلنا ونل ابيب وبافا ... صور متكررة لما حدث لنا ولكن بنحفظ اكثر فيما يختص بتقابل المصريين مع الفلسطينيين في اسرائيل .. وصاحب ذلك تغييرات كثيرة لحياتنا في المعسكر لنبدأ مرحلة اخرى من اواخر يوليو وحتى اوانل أكتوبر ... فالاستجابات اختلف طابعها ... وتحولت الى مقابلات سياسية .. وصاحبها في نفس الوقت محاضرات جماعية يلقيها بعض المتخصصين وعرض أفلام سينمائية .. وحدثت بعض التغييرات في نظام معيشتنا .. لقد احضروا لنا مراتب وكميات من القش لحشوها .

وتحسن الى حد ما الاكل .. فلقد سمحوا لنا بتناول بعض الفواكه مع الغذاء .. وكميات من المربي مع الجبن في العشاء .. وانتظم تمويننا بصابون للوجه .. وامواس للحلاقة .. وصابون للحلاقة .. بل احضروا لنا بعض ادوات الترفيه طاولات وشطرنجات وكثاشين .. وخفت قيود الحراسة .. بل ولقد جاءنا من مصر خطابات من الاهل ووصلتنا طرود هدايا من الحكومة المصرية ... وطرود خاصة من امالينا .. واضيف للقرير اليومي من الاذاعة اغنية « على بلد المحبوب ودينى .. » وتحدثت مرات اذاعة الاغانى .. ودخل المعسكر مجلات اخرى غير الجبروزليم بوست .. واليوم .. فلقد دخلت مجلة الكواكب .. وهى صورة من الكواكب المصرية والشبكة نفس المقالات ونفس الريبورتاجات ونفس الصور المسروقة .. كذلك هربت سرا جريدة « الاتحاد » جريدة الحزب الشيوعى .. وهى تندد بالاحتلال واغتصاب الارض وتحذر من العصابة العسكرية الحاكمة وتحكى قصصا للضغط على العرب في الاراضى المحتلة وتذكرهم بمجازر دير ياسين .. وتحكى قصة امام المسجد الاقصى الذى بكى في صلاة العيد وقال « عيد باى حال جئت يا عيد » .. وتجاوب الجماهير معه بـ « يا عيد الصبر .. الصبر .. » ثم رعب المذبح الاسرائيلى واستدعاؤه الجيش .. وتعلق الجريدة على الرعب الاسرائيلى من مجموعة من العزل فتقول هل ستحرمون الناس حتى من حق البكاء .. ومنها ايضا عرفنا ان النائبين الوحيدين الذين عارضا وفندا بحرب يونيو في الكنيست الاسرائيلى كانا من اعضاء الحزب الشيوعى ...

هذه بعض التغييرات التى حدثت بالاضافة الى مد فترة السماح بالماء .. واصلاح دورات المياه الجديدة .. وحدثت في حياتنا تغييرات

أخرى هامة ٠٠ فلقد ابتدأت الملكات تتفتح لدى الضباط ٠٠ وظهرت أنواع عديدة من الفنون بأقل امكانات ٠٠٠

هذا يرسم ٠٠ لوحا جيدة خريج كلية الفنون ٠٠ نملا جدران الحجرات بالنسوة العاريات ٠٠ وهذا يصنع عرائس ويفتتح مسرحا للعرائس ٠٠ وآخرون يؤلفون الشعر وزملاء لهم يلحنونه ويغفونه وظهرت أكثر من موهبة غنائية ٠٠ وانتشرت طقات الغناء في جميع الحجرات تستمع الي الصبيان ومجدى وعمر ٠٠ وآخرين ٠٠ وتكونت فرق موسيقية بالآت بدائية ٠٠ واستمعنا الي أغاني محورة تحصل معانى جنسية او فكاهية ٠٠٠

وبجوار هذا انتشرت الحلقات الدينية ٠٠ احضروا القرآن والانجيل ٠٠ وتكونت حلقات القراءة ٠٠ وحلقات التفسير ٠٠ وحلقات الذكر ٠٠ وعم المسكر نوع من أنواع التصوف ٠

وبجوار حلقات التصوف هذه ٠٠ كانت حلقات البركر ٠٠ والمسامرة على السجائر ٠٠٠ وانتشرت الاسواق الخفية لتبادل البضائع ٠٠ الزنوبة بثلاث علب سجائر كبيرة وعلبة المربي بعلبتين والغيار الداخلى بخمس علب ٠٠ وكانت الاسعار ترتفع وتنخفض حسب توفر السجائر من عمه ٠

طلبت للاستجواب ٠٠ كان المستجوب شابا صغيرا يكلم الانجليزية ٠٠ عرفنى بنفسه ٠٠٠ طالب بالدراسات العليا بالجامعة العبرية ويعد دكتوراه في العلوم السياسية والاجتماعية ٠

- ما رأيك في نظام الحكم في مصر ٠٠٠ ؟

- ماذا تقصد ٠٠٠ ؟

- الديمقراطية ٠٠٠

- عظيمة ٠٠

- هل لديكم ديمقراطية ٠٠٠ ؟

- نعم ٠٠٠

- وهل هذه ديمقراطية ٠٠ هل لديكم احزاب ٠٠٠ ؟

- وهل الديمقراطية معناها احزاب .. ؟ هذا شكل قديم نظرى ..  
في الحقيقة الديمقراطية ترتبط أساسا بمن يملك السلطة الاقتصادية .. في  
أمريكا مثلا هناك حزبان .. ولكنهما يخدمان نفس الايديولوجية .. ونفس  
الهدف .. وهو تسلط أصحاب رموس الاموال الأمريكية على الحكم ..  
ما الفرق بين الحزبين اللذين في أمريكا .. كلاهما سيطر عليه بواسطة  
الأموى اقتصاديا .. بواسطة أصحاب الملايين ...

- فلنترك أمريكا جانبا .. انجلترا ...

- أيضا الحزبان الرئيسيان المحافظين والعمال .. لا فرق بنما .. كلاهما  
يخدم نفس الغرض .. بل العمال أكثر رجعية من المحافظين .. جميع أعمال  
القمع التى عانت منها المستعمرات .. جميع أنواع الاستغلال والمظالمات  
حدثت أثناء حكم العمال .. الأكثر دلالة على ذلك حكومات الظل التى  
تكونها الاحزاب خارج الحكم .. أين الديمقراطية في هذا .. الحكم في انجلترا  
رغم الهاید بارك .. ورغم البرلمان الانجليزى .. في الحقيقة يتحكم فيه  
مجموعة من محترفى السياسة .. المسيطر عليهم بواسطة أصحاب رموس  
الاموال الانجليزية ..

- ما قولك في أن المواطن الانجليزى قادر على سب ملكة انجلترا .. ؟

- كل هذا كلام في الهواء .. ما تأثير سب الملكة سوى تخفيف  
التوتر .. هل يغير ذلك الطبيعة الاستعمارية لانجلترا .. بالعكس  
لم تستطع ديمقراطية الهاید بارك أن تؤثر الا في اباحة الشخوذ الجنسى ..

- لدينا هنا في اسرائيل ديمقراطية ... ( قالها بتحد ) ...

- واليهود الشرقيون .. والعرب الفلسطينيون .. وأهالى المدن  
المحتلة ... هل هذا رأيهم أيضا .. ؟ .. هل يزاولون حريتهم الديمقراطية  
مثلك أنت القادم من الغرب ...

- بالتأكيد لهم حرية ديمقراطية .. الا بعض القيود الخاصة بأمن  
الدولة ...

- هل تريد منى أن أتكلم بصراحة ١٠٠ أم حديث بين أسير وآسره ؟

- لا .. وبصراحة فهنا من الديمقراطية ما يسمح لك أن تقول  
ما تريد ...

- بعض القيود الخاصة بأمن الدولة هذه تزداد حتى تصل الى سجن  
وتحديد إقامة الآخرين كما حدث يوم ٥ يونيو ...

- لا ٠٠ هذا غير صحيح ٠٠ العرب هنا لديهم الحرية الكاملة ٠٠  
عندنا هنا جميع أنواع الأحزاب ٠٠ وكل منها له مجلته وجريته وينطبع كل  
الكلام الحر ٠٠٠

- يا سيدى الفارق أن ٠٠ بامريكا حزبين ينفذان سياسة الليونيرات  
الامريكان ٠٠ وهنا عشرون حزبا ينفذون سياسة التوسع لحساب  
الليونيرات الامريكان أيضا ٠٠٠

- من قال هذا ٠٠٠ ؟

- هذا هو ما كتبتم فى الكنيست « من الفرات الى النيل » ٠٠

- لا هذا غير موجود ٠٠

- وحروبكم ٠٠ التوسعية أيضا غير موجودة ؟؟

- نحن لا نريد الارض المحتلة ٠٠ نحن نريد السلام ٠٠٠

- وهل يفرض السلام بالقوة ٠٠٠ ؟

- نحن ندافع عن أنفسنا ٠٠٠

- بالنابالم والاسلحة الهجومية والتكتيك الهجومى ٠٠ والاستراتيجية  
الهجومية ٠٠ هل تفكر أن استراتيجيتكم مبنية على الهجوم ونقل المعركة  
الى أرض العدو ٠٠٠ ألم تبحأوا الحرب ثلاث مرات ثم تقولون نحن ندافع  
عن أنفسنا ٠٠٠

- خرجنا عن موضوعنا ٠٠ هل عندكم ديمقراطية ٠٠٠ ؟

- الديمقراطية الاشتراكية ٠٠ تخالف الديمقراطية الغربية ٠٠ فى الحول  
الاشتراكية هى تحالف ٠٠ فى الدول الغربية هى تصارع ٠٠ والتصارع يحدد  
القوى فى تفاهات والتحالف يدعم القوى الحقيقية المنتجة فى الحولة وهم العمال  
والفلاحون ضد القوى الاستغلالية والطبقات غير المنتجة ٠٠٠  
فى بلدنا الديمقراطية هى تحالف بين القوى المنتجة من عمال وفلاحين  
ورأسمالية وطنية وجنود ومثقفين ٠٠ وعن طريق هذا التحالف تتحقق آمال  
وأهداف الطبقات الكادحة فى حياة أحسن ٠

هذا عظيم جدا ٠٠ ولكن نظريا ٠٠ هل تتصور يا عزيزى أن الفلاحين  
والعمال المتخلفين حضاريا ٠٠ الذين هم فى الاغلب يجهلون القراءة والكتابة ٠٠  
وهم الذين يشكلون ٥٠٪ من أعضاء التنظيمات السياسية قادرون على تحقيق  
هذه الحياة الاحسن ٠٠ هل يفهمون فى الاقتصاد والتخطيط والادارة  
والقانون ٠٠٠

الفلاح الجاهل المتخلف بالطبع لا يفهم في القانون والادارة والاقتصاد ولكنه يفهم مشاكله جيدا ويفهم ماذا يريد .. وهو في التنظيم يحقق ما يريد .. حقا لم نصل بعد الى العامل والفتاح المؤثر ولكن هل تتصور ان هناك عصا سحرية تضربها فتحول العمال والفلاحين الى اساتذة في القانون والادارة بالطبع لا توجد لدينا هذه العصا .. ولكن لدينا ما هو أكثر جدوى وهو الزمن والممارسة .. فخلال ممارسة العامل والفلاح للعمل السياسى في وحدته الصغرى يتعلم ويثقف وينضج ويصبح أكثر صلابة عند انتقاله لوحده الأكبر .. فيشارك في سياسة اتليمية .. حتى يصل الى أعلى مستوى يصبح فيه قادرا على التخطيط لتسيير مستقبل وطنه .. ان الممارسة والزمن كافيان لان يجعلنا فلاحينا وعمالنا زعماء سياسيين قادرين على تسيير دفة بلدنا ..

ايضا هذا الكلام نظرى نفلاحو وعمال التنظيمات الشعبية منفصلون عن الشعب والمجتمع قاتعون بما وصلوا اليه من رفاهية ...

لن اجادل في هذا ايضا .. ولكن هذه الظاهرة ستزول عندما يكتشفهم ناخبوهم ومع الزمن سيحدث تطور وستصحح هذه الاخطاء وقد يكون ما حدث امس كافيا لا حوادث التطور .. كما حدث بعد حربنا معكم سنة ٤٨ ، سنة ٥٦ ...

انت عنيد .. وتردد كلاما مملى عليك ...

لا .....

ماذا اذن لا تقتنع .. لقد غسلوا لك مخك جيدا ..

هذه خرافة .. والا فاننا بين يديك اغسل لى مخى ... ١١١  
وضحكك .. فضحك وانتقل الى موضوع آخر بعد ان نظر في الورقات  
التي امامه ..

اشتراكيتمكم .. هل عندكم اشتراكية .. ؟؟ .. بالمناسبة نحن لدينا  
الاشتراكية الحقيقية في الكيبوتزيم .. هل زرت الكيبوتزات ...

نعم زرت بعضها .. في الحقيقة الكيبوتز مستعمرة تعاونية عسكرية  
فرضها الواقع العسكرى الذى تعيشونه .. وهى مبنية على فلسفة دين العمل  
لجوردين لا تتصل بالماركسية من قريب أو بعيد .. لا فيما تنتجه الحبة

الجماعية من فوائد .. ولقد قال بن جروين احد المؤسسين لهذا النظام عندكم  
.. عندما يصبح عمال اسرائيل وحراسها من صفوفنا تصبح الارض  
لنا .. ولهذا استتم مستعمراتكم العسكرية الزراعية .. من اجل ربط  
الينودي القادر بالارض وتحويل المزارع او عامل وانتمساتم نظاما دفاعيا  
يسمح بالعمل والدفاع ..

هذا صحيح في البداية .. ولكن لا تنس ان الذين ساعدونا في البداية  
كانت الدول الاشتراكية نحن حاربنا سنة ٤٨ ببنادق تشيكي ١١ ٠٠٠

الدول الاشتراكية ساعدتكم .. سور خاطيء جعلها تعتقد انكم ستعبرون  
ذقطة الامم المتحدة للاشتراكية في الشرق نظرا لتجاورككم مع حكومات اقطاعيه  
رجمية .. ولكن مع الوقت انتم انتم انتم الحقيقى اولا لانجلترا وفرنسا ..  
ثم والان لامريكا .. ما رأيك .. ١١

- اكمل ...

- وعلى هذا الاساس تقف اليوم هذا الموقف الشريف بجوار شعوب  
المنطقه المجاورة لكم ... كى تحميها .. ١١١

- تحميها من ؟؟ ...

- ونكم ...

- لا افهم ...

- من اهداكم القومية لحساب امريكا ...

- يجب ان تجيب على سؤالي .. لماذا ساعدتنا الدول الاشتراكية  
اساسا ؟؟

- عدا ما ذكرته فلا اعرف ... ساسال لاعرف ..

- ستسال من ؟؟ ..

ضحكت وقالت له : السؤال لمعلوماتى الخاصة ولن تعرف الاجابة  
بالطبع ... ساسال عندما اعود .. عموما .. اشتراكية الكمبيوتر اليوم  
هى نوع من الاستغلال الرأسمالى الجماعى . فباسم الامن القومى لاسرائيل  
يعمل آلاف الشبان في اسرائيل لصالح اصحاب الملايين الامريكان ولصالح  
الجموعه العسكريه الاسرائيليه الحاكمه .. اما عندنا .. فاشتراكيتهنا حقاقى دور

التجريب ولكنها أكثر صقفاً.. فالعولة كلها تتبع النظام الاشتراكي في التخطيط والتسيير.. ووسائل الانتاج ملكية شعبية.. وان كانت هناك بعض السلبيات فانتم لكم دور كبير فيها.. فانتقلنا من حرب الى أخرى واستعداداتنا الدائمة للقتال تحت وقع التهديد المستمر.. يستقطب جزءا كبيرا من ميزانيتنا ومن جهتنا لو اننا وجهناها تجاه التنمية لتقدمنا كثيرا في طريق المجتمع الاشتراكي.

- لماذا لا نوفر ما ندفعه نحن وما تدفعونه للقتال ونعيش في سلام  
نبني بلدينا...؟

- هذا اقصى ما نتمناه... ولكن هل سنتركوننا نعيش حقا في سلام  
اشك كثيرا... لان دوركم الذي حددته لكم امريكا في المنطقة لا يسمح  
بذلك وانتم منفذو... السياسة الامريكيه هنا ومرتبون بها ارتباطا كاملا  
- لماذا لا نترك امريكا... وتتركون روسيا... وفتصافى ونعيش  
في سلام...؟

- يمكننا ان نترك روسيا... لانه لا تربطنا بها اى ارتباطات مثل  
ارتباطكم بالسياسة الامريكيه هل تستطيعون حقا ان تتخلصوا من  
ارتباطكم... لا اعتقد يا عزيزى ان تفقدوا كنز الذهب الذى يتدفق عليكم  
فيتحول لمصانع ومستشفيات ومفاعلات ذرية ومشاريع رى... وسلاح  
وتتوسعون به... من اجل ماذا؟؟... من اجل السلام...؟؟ وفرضا  
ان هذا ما تريعونه... فلتتركوا لنا اراضينا التى استوليتم عليها بعد  
5 يونيو ثم نفتناهم...؟

- يا حبيبى والله... والله نحن لا نريد ارضكم نحن نريد ان نجلس  
ما حول منضدة واحدة...؟

ولنقف قليلا لمناقشة هذا الحوار... لقد كنا من الجيل الذى تفتتح  
على الثورة... وعاصر انتصاراتها ضد الملك والاستعمار والاحلاف العسكرية  
... وكان يفخر بتأثير ثورته على شعوب العالم في افريقيا واسيا وامريكا  
الجنوبية...؟

وهو الجيل الذى لم يمارس السياسة فلقد كان عبد الناصر في نظر  
جيلنا اول مصرى يحكم مصر ويقودها برأية وحكمة وسط الزوايج...؟



كان الميثاق والنظام المصري في نظرنا هو أرقى الصيغ التي تلائمنا وكان واجبنا هو أن نحفظ هذه الصيغ ونرددها دون أي تفكير كما نحفظ شعائر ديننا ولا نسمح لأي مخلوق كان بمناقشتها ٠٠ وعن اقتناع وعن إيمان ٠٠ ولذلك فعندما قيل لى أنه لا توجد في بلادنا ديمقراطية أو اشتراكية لم أكن أستطيع إلا الدفاع عنها حتى ولو كنت أسيرا في يد أعداء قد يؤدي إصرارى هذا إلى إيذائى ٠٠ وحتى بعد هزيمة عسكرية قاسية كشفت مدى ضعف الحكم وهزتنا من الداخل هزات عنيفة وحتى بعد أن قررت أن أراجع كل معتقداتى وأفكارى التي كونتها خلال الخمس عشرة سنة السابقة على الهزيمة ٠

بعد أيام استدعيت لمناقشة مع استاذ العلوم السياسية والشرق الأوسط بالجامعة العبرية ٠٠٠

نفس البداية ٠٠ نفس النهاية ٠٠ ولكنه حضر لى يسألنى سؤالاً لم يستطع تلميذه أن يسألنى أيّاه ٠٠ وهو « هل فكرت ٠٠ لماذا تساعدكم روسيا ؟؟ » ٠٠٠ وأجبت عليه بسؤال آخر بعيداً تماماً عن موضوعنا ٠٠ هل أنت مؤمن ؟ ٠٠ اعنى ٠٠ هل تؤمن بوجود الله ؟ ٠٠٠

— صمت قليلاً ٠٠ ثم تردد ٠٠ ثم قال ٠٠ « لا » ٠٠ لماذا ؟ . .  
ثم أردف هذه خرافات ٠٠٠

— هل يوجد مؤمنون كثيرون هنا ٠٠٠ ؟؟؟ ٠٠٠  
— البعض مؤمن ٠٠ ولكنه ليس متحينا ٠٠ والبعض مؤمن ومتدين ٠٠

— لماذا هم غير متدينين ٠٠ ؟؟ ٠٠

— تعاليم ديننا صعبة ٠٠ بمعنى أن في يوم السبت ممنوع على المتدين أن يفتل كرسيه من هنا للشارع ٠٠ لأنه يعتبر عملاً ٠٠

— معنى ذلك أن عدداً كبيراً منكم غير مرتبط باليهودية ٠٠  
— نعم ٠٠٠

— لماذا أنتم هنا ٠٠٠ ؟؟؟ ٠٠٠

— نحن تربطنا الروح اليهودية ٠٠ !!

— ميتافيزيقيا أيضاً ٠٠٠ ١١١ ٠٠٠

— لماذا إذن نحن هنا ٠٠ ؟؟ ( سألنى لينهى المناقشة ويصل إلى

ما أريد )

— أنتم هنا من أجل واقع اقتصادى أنتم هنا رأس حربة للرأسمالية

العالمية قريبا من أسواق الشرق الاوسط وأماكن انتاج المواد الخام .. انتم هنا قاعدة عسكرية متقدمة تسد الفراغ بين حلفي الناتو والسناتو .. لسد فراغ أيزنهاور انذكرونه .. لاحتكام ائسار .. رر الدول الاشتراكية .. حل فهمت لماذا تساعدنا روسيا ١٩٥٥

- لا ...

- هل الخطات نيمنا قلته سابقا ...

- قريبا من الصواب ..

فلنبدا القصة من اولها .. الاتحاد السوفيتي ايدولوجيته الاساسية تتنبأ بأن العالم سيصبح اشتراكيا يوما ما كمرحلة لانتشار السمو عية العالم .. وذلك نتيجة لصراع الطبقة العاملة ضد الراسماليين .. هذا صحيح ...

- يمنع انتصار الثورة الاشتراكية في العالم بعض الحقن المنفرة التي اعطتها الراسمالية لطبقاتها العاملة على هيئة بعض الامتيازات .. من اين احضرت هذه الامتيازات .. من استغلال الشعوب المستعمرة .. معنى هذا انه لو انتهى الاستعمار فلن تستطيع الراسمالية الوفاء بالتزاماتها تجاه عمالها معنى هذا انه سيزداد حدة التناقض الذي سينتهي بثورة للطبقة العاملة ضدها ..

- هذا غير صحيح لان العمال لا يتناضون مرتباتهم من المستعمرات ..

- ولكن الراسماليين يجمعون اموالهم من المستعمرات والتي وفي غيابها سيتحولون الى استنزاف ما تبقى من دماء عمالهم مما سيعزid التناقض كيثوروا .. وبذلك سيفجر العالم بثورات اشتراكية متتالية تؤذن بقدوم العالم الشيوعي .. معنى ذلك ان نهاية الاستعمار هو نهاية الراسمالية .. ومحاربة الاستعمار هو خطوة في سبيل الاشتراكية من وجهة نظرهم اننا قد التقينا .. نحن وهم لا نريد استعمارا لبلادنا .. ولا نريد استعمارا في منطقتنا .. ولذلك فهم يساعدوننا .. يعطوننا السلاح لندافع به عن انفسنا ضدكم ...

وهنا وقف وقد اصفر وجهه .. ومد الى يده مصافحا وقال .. اختلف معك في الرأي ولكنني لا استطيع الا ان احترمك .. شكرا ..

لستدعاني أحدهم للاستجواب .. وبعد الاسئلة اللازمة لتلطيف جو  
الحديث وبعد أن أعطاني سيجارة أمريكية فاخرة وزجاجة عصير برتقال  
مثلجه .. قال لي ..

- بالطبع تريد أن تعرف ماذا دار في مصر بعد الحرب ...

.. .. .

- الرئيس عبد الناصر تنحى وخلفه زكريا محيي الدين ..

.. .. .

- حدثت بعد ذلك مسرحية .. بكى الرئيس في التلفزيون وبعد ذلك  
بعض دقائق كانت الكاميرات تنقل المتظاهرين وهم ذامبون له ..  
والراديو يبث بياناً التأييد والتلفونات مباشرة .. أليست دعى  
أن انتقال معدات التلفزيون لأقل الأحداث يحتاج الى مدة .. هل  
كانوا يعلمون بأن الشعب سيخرج ...

.. .. .

- زكريا رفض المنصب وقال أنه لا يقبل غير عبد الناصر رئيساً هو  
والشعب المصري

.. .. .

- في مصر خافوا من انقلاب فأطلقوا صفارات الانذار وصوروا أن  
هناك غارة وأطلقت المدفعية طلقاتها على أهداف مزورة ...

.. .. .

- يوم ١٠ ، ٩ يونيو

.. .. .

- البلد الآن في مرمى شديدة .. زادت الاسعار .. ولا يوجد  
ما يكفي من الاحتياجات الأساسية للمعيشة .. الناس في ذعر وفوضى

كانت هذه المناقشات صورة لما حدث للآخرين أيضاً .. ولك أن  
تتخيل البدايات والنهايات المختلفة التي حدثت مع باقي الاسرى .. والتي  
كان لها ردود افعال ومناقشات لأول لها ولا آخر .. فمثلاً تعليقاً عما  
سمعناه عن أحداث ١٠ ، ٩ يونيو ..

- البلد في فوضى ...

- يا أخي انت عند عدو ...

- يجب أن تكون هناك فوضى فعلاً .. أنا لا أستبعد هذا الكلام
- ولكن هل المظاهرات حقيقة ...
- لماذا لا تكون حقيقة ...
- هل فعلاً التليفزيون كان يعرفه فنقل المظاهرات بهذه السرعة ..
- والتلفزيونات هل تصل بهذه السرعة ...
- فعلاً هي مسرحية ...
- وهل بلدنا يمكنها الآن أن تستمر بدون عبد الناصر ...
- وهل الذى خلقه لم يخلق غيره ...
- خلق غيره بالطبع لكن هل بلدنا تحتل التخريب فى هذا الوقت الحرج ..
- يتركنا فى حالنا .. مائة آخرون يستطيعون ...
- صدقنى .. هذه مصيبة حقيقية ...
- لا مصيبة .. كان من الممكن أن نعيش أحسن بدون ..
- والله أنا غير مصدق لما حدث .. كلام يهود ودعاية ...
- ولماذا يكذبون ...
- لأن من صالحهم أن تتصور بلدك فى فوضى فتستسلم لهم ...
- يجب أن تكون فوضى ...
- كانوا وصلوا للقاهرة ...
- غير معقول لأن الشعب ...
- شعب أياه ياعم ...
- الشعب الذى حارب فى يوم سعيد ...
- بور سعيد يا ساذج .. اسكتوا .. اتركونا فى مشاكلنا ...
- وهكذا كانت دائماً ما تثار مناقشات حول امكانيات الحل السلمى ..
- التناطح مع أمريكا التفاوض مع إسرائيل .. حق شعب فلسطين فى العودة ..
- تحالف العرب والدول الشرقية هل الحرب هى أحسن الحلول ...
- تبع ذلك تصنيف للضباط يمكننى أن اتصوره كالآتى .. قسم يناقش
- بمنطق ويحاول أن يفهم وأن يوضح .. وقسم لا يريد أن يناقش فيوافق
- على كل ما يقال له .. وقسم لا يريد أن يستمع حتى لما يقال .. وابتدأت
- التيارات اليمينية واليسارية والمعتدلة تظهر بوضوح خلال المناقشات ..

ثم تتصارع وتعلو الاصوات وتنخفض .. ويختلي كل اثنين في جانب للندارس وتتسع الدوائر .. وتتكلمش ويزيد المناقشات تأججا ضابط قادم من الاستجواب .. فقد كانوا يدرسون الاتجاءات والمناقشات والقاطات التي يحدث عليها الصراع ثم يحضرون لها .. ويدفعونها في الاتجاه الذي يريدونه عن طريق من طرفهم .. وقد تسالني كيف كانوا يعرفون المناقشات التي تدور في معسكر مطلق ...

كانت لهم أكثر من طريقة لذلك .. الاولى سؤال مباشر ل أحد الضباط الذين استطاعوا اجتذابهم .. ماذا تقولون ؟ .. والثانية .. طرح نقطة للبحث على جميع المستجوبين ثم يحضرون أفرادا من شرائح مختلفة في المعسكر ويفاقشونهم في هذه النقطة .. والثالثة كانت بالقاطات سؤال من أحد الضباط لهم أثناء استجوابه أو مناقشاته ..

كذلك أصبح للاستجواب في هذه الفترة دور جديد .. وهو ترويج الاشاعات قد تتصور أن الامر بسيط .. ما هي الاشاعات التي يمكن ترويجها ؟ .. ولحن في الحقيقة كانت الاشاعة سلاحا حاسما في تعذيبنا .. استعملته المخابرات الاسرائيلية بمهارة شديدة .. وكانت أبرز اشاعة لها تأثير في هذه المرحلة هي اشاعة العودة ..

— متى سنعود ... ؟؟

— قريبا اقرب مما تتصورون ... ؟؟

— ... ..

— في حدود شهر ..

ويعود حامل الاشاعة لينشرها سرا .. ثم تتزايد همسا .. وتتناقلها الاذان ... ويؤكدوا آخرون حضروا من الاستجواب .. وبمر شهر .. ولا نعود .. لماذا ... ؟؟

— الحكومة المصرية لا تريدكم ... !!

— معقول لا يريدوننا .. نحن اولادهم ..

— لا يريدونكم لانهم يخافون منكم أن تقولوا الحقيقة ...

— وهل الحقيقة أصبحت خافية ..

— النظام ملق ولا يحتمل البلبلة ..

- وهل لدينا القوة لخلق بليلة ...

- هذا رأى حكومتكم ...

وينقلب التفاؤل الى صدمه .. ونصاب بحالة سوادوية وقلق وقرق ..  
بعدما كنا قد أعدنا انفسنا للعودة .. ونمر الأيام ونعتاد على سجننا ..  
ليطالنا أحد المستجوبين ...

- المباحثات تقدمت وستعودون لبلادكم ...

- ... ..

- دلال الاسابيع القادمة ..

وترتفع حالتنا المعنوية الى أقصى درجة .. ونصاب بموجة تفاؤل  
تتم العسكر اقتكس ثانيا ...

- اختلفنا ثانيا ...

- لمساذا ...

- من أجل ثلاثة جواسيس .. تصوروا لا يريدون مبادلة ٥٥٠٠ أسير  
بثلاثة جواسيس ..  
لهذه الدرجة ؟؟

وتدور الاحاديث .. ما هذا الاستهتار .. لا اصدق ...

- بل صدق الفرد عنقنا لا يساوى شيئاً ...

- لو كان ابن ائدهم معنا لرجعنا من مدة طويلة ...

- اللواء ياقوت دفعة الرئيس لا يعقل أن يتركه هنا ..

هذا ما حدث ....

وهكذا ترتفع حالتنا المعنوية وتلخفض في فترات مقاتلية متقاربة  
أو متباعدة حسب الخطط الاسرائيلي الموضوع لتدمير جهازنا العصبى لاتمام  
خطتهم ..

الحراس الاسرائيليون يضحكون .. المستجوبون يبتسمون بسعادة  
شديدة .. الاذاعة المحلية تفتح قبل ميعادها بمدة .. المذيع يذيع  
تعليقات ساخنة .. قالت السيدة أم كلثوم أنها لن تغنى الا في تل أبيب قبل  
حرب يونيو .. والاذاعة الاسرائيلية يبرها أن نتيج للسيدة أم كلثوم

الفرصة للوفاء بوعدها للفناء في نزل أبيب خصوصا وان هناك اكثر من مليون من العرب في انتظارها واكثر من ٥٥٠٠ مصري اسير بعنليب يذمّون سماعيا تغنى لهم ...

نشرة الأخبار : اذاعت اذاعة القاهرة بأن المشير عبد الحكيم عامر قد انتحر خبر من بيروت بأن الرئيس المصري جمال عبد الناصر قد استقال .. وفي هذه الماره كان رد الفعل مخالفا تماما لكل التوقعات .. فلقد تصاعدت الهتافات من عنابر الجنود ...

- تسقط الاذاعات الكاذبة ...

- عاش الرئيس .. عاش المشير ..

ثم تلتها هتافات من عنابر الضباط ...

- تسقط الاذاعة الكاذبة ...

- لا رئيس غير جمال ...

الضباط يبكون .. الوجوه مصفرة .. كل منا يبكي .. بلدنا تسقط

فعلا ....

- وايه يتغنى اما يموت .. عشرون الفا ماتوا في سيناء ..

- بلاش كلام فارغ ...

تد كان رجلا طيبا ...

- الى اين يا بلدى .. مات المشير .. واستقال الرئيس ...

- وهل تركه الرئيس ينتحر .. انها عشرة عهده ..

- رجل شريف .. رفض تقبل الهزيمة ...

- الصدمة كانت اكبر منه ...

الجنود في حالة هياج شديد .. يقذفون الابراج بالحجارة .. عتاف

واحد ل ٥٥٠٠ اسير - ناصر .. ناصر .. ناصر ..

اليهود يلبسون الخوذ .. في حالة ارتباك شديد .. بعض كبار ضباطهم

ينزلون المسكر فجأة ويهددون بحرماننا من سماع نشرات الاخبار ..

وفي اليوم التالي انتظرنا الفشة ...

اخبار بيروت المشير لم يذبح .. وانما انتحر ...

الهتافات تملو قبل انتهاء الجملة .. عاش المشير .. عامر .. عامر ..

يحيا عامر .. هس .. هس ...

اخبار بيروت تكذب خبر استقالة الرئيس عبد الناصر ...

- ناصر .. ناصر .. ناصر ..
- بمعنى ايه التحرر ...
- بمعنى ضغوطوا عليه لينتحر ...
- بمعنى مات ...
- تستقط الاذاعات الكاذبة ... تستقط الاذاعات الكاذبة ...
- لا رئيس الا ناصر .. ناصر .. ناصر ..
- اليهود في غيط شديد ..
- عائدون لك يا فلسطين ..
- ذهول بين الضباط ... بعضهم يبكي ...
- لماذا تبكي ..
- ألم تستمع لهذه المصيبة ...
- المشير كان يجب ان يفعل هذا ..
- ولماذا تركوه ينتحر ...
- كى لا تظهر الفضائح ...
- معنى مات حقيقى !!
- ولماذا لا ...
- اليهود يطلعون اللواء ياقوت على رسائل وكالات الانباء المختلفة ..
- وهى تقول انه عملا مات .. الاذاعة الاسرائيلية تدافع عن المشير الان اصبح بطالا ..
- وما الذى قالوه عنه من قبل ...
- هذه اذاعة موجهة لنا فقط ...
- لا .. فهى اذاعة عالمية لا تكذب ...
- يقال ان هناك مؤامرة وتبضوا على ضباط كثيرين ..
- مثل من ؟ ...
- صلاح نصر .. وجلال هريدى .. وعثمان نصار ..
- وشمس بدران ..
- لا يعقل هذا ...
- اللواء ياقوت رأى أوراق وكالات الانباء ...
- الان .. هل هذا وقت مؤامرات .. ؟
- ممكن ...
- ياناسى البلد فى ازمة ...



- من أجل تعطلية ما فعلوه في سينما ٢٠٢٠

- هذا كذب

- الرجل قرا رسائل وكالات الانباء ....

ولتخفيف الضغط .. تحبفت اصناف الطعام .. وزادوا لنا المكش في  
المراتب .. واحضروا لنا دفعة من خطابات مصر وطرودها .. واحضروا  
لنا ايضا طرودا من الحكومة المصرية وخفت الازمة تدريجيا .. حتى تمسينا  
ما يحدث في القاهرة ٢٠٢٠

وفي يوم قالوا انهم قد احضروا لنا سينما .. اخذ كل منا بطانيته  
او جردل التبول الليلي .. وجلسنا صفوفنا على الارض امام شاشة  
السينما .. فننظر ٢٠٢٠

عرضوا علينا اول فيلم .. عن الكمبيوتر .. العمل بداخله ..  
الغذاء .. الراحة ثم مناقشات الاجتماعات .. وفي اخر هذه المناقشات  
وقفت سيدة تقول .. اريد ان يكون لى منزلى - اطفالى - زوجى .. اريد  
ان اعيش حياة خاصة اربى اولادى واراعهم واراعى زوجى .. نعيش فى فقر  
فى يوم ونفتنى فى يوم .. ناكل ما نريد نلبس ما نريد - حقا الحياة فى  
الخارج اكثر صعوبة ولكننى اريد ان اعانيها ٢٠٢٠

ثم فيلم آخر .. عن حياة البدو فى صحراء النقب وقسوتها وكيف يقدم  
الاطباء الاسرائيليون كل رعاية لهم .. بل يخاطرون بحياتهم فى الصحراء من  
اجلهم .. ثم انواع الرعاية الاجتماعية المختلفة قوافل الصحة وقوافل  
التعليم .. وقوافل الاعاشه المستمرة فى النقب .. وتصل قمة الرعاية عندما  
يلحق مواطن بدوى بالجامعة العبرية ويصبح طبيباً يقوم برعاية امه ..  
وفى النهاية هكذا تصبح اسرائيل رسول الحضارة بين هؤلاء العرب  
المتخلفين .. ولكن ما فنبهم .. هذا الفيلم ناطق باللغة العربية .. اى انه  
موجه اساسا لعرب فلسطين ٢٠٢٠

فيلم آخر عن المشروعات الاساسية لتعمير النقب .. مصانع البوتاس  
على البحر الميت مشروعات رى النقب وتحويل نهر الاردن .. ثم فيلم عن  
اعداد المظليين الاسرائيليين وتدريبهم .. وهو فيلم شبيه بالفيلم المصرى  
عن اعداد المظليين المصريين .. ومجموعة من افلام الدعاية الواضحة التى  
اضجرتنا .. فى نهاية السهرة قمنا بنسب لهم ولهذه السينما السخيفة التى  
صدعوا بها رعوسنا .. وبطبيعة الحال وصلتهم تعليقاتنا .. ولكنهم

بالتأكيد كانوا يعرفون أن هذا سيكون رد الفعل بدليل أنهم أفرغوا جميع  
أفلام الدعاية المباشرة في سهرة واحدة .. ثم أصبحوا يعرضون علينا أفلاما  
طويلة بعد ذلك فيلم كل أسبوع ...

في منتصف الأسبوع التالي طلبونا لحضور محاضرة أو ندوة .. وكان  
موضوعها اللغة العبرية وعلاقتها باللغة العربية .. محاضرة طويلة عن شراكة  
اللغتين فهما من أصل واحد .. في اللغة العبرية تقول آحاد .. اثنين ..  
ثالث .. رباع .. خمسه .. في اللغة العربية تقول رجل .. في العبرية  
يقولون رجال .. وهكذا امثله كثيرة لا أذكرها جيدا ولكنني كنت موافقا  
عليها .. فبالفعل اللغتان نشأتا في منطقة واحدة ولا بد أنهما قد تأثرتا  
ببعضهما .. كما حدث بين الفرنسية والإيطالية والإسبانية .. ولكن المحاضر  
يتبع ذلك بأننا أبناء عمومة .. وأنه ولا بد أن يحل السلام والتفاهم بين  
أبناء العمومة وعموما كنانا المحاضر مثونة تحليل ما يريد أن يصل إليه  
فلقد أوجزها هو بنفسه في نهاية المحاضرة عندما قال .. وسواء رخصتكم أم لا ..  
وسواء كان هذا اليوم ( قريبا أو بعيدا ) الذي سنتفاهم فيه ونتبادل المصالح  
التجارية والصناعية .. فإنه من الضروري عمل جسر بين اللغتين بدايته  
عمل قاموس للغة العربية العبرية .. ونحن ندرس اللغة العربية في مدارسنا  
كلغة أولى إجبارية لكل طلاب المدارس في إسرائيل .. ومنعقد دراسات  
للعرب في اللغة العبرية .. في الضفة الغربية وفي الجولان .. وفي قطاع غزة  
وسيناء ...

وتطورت حياتنا .. فلناخذ يوما من هذه الايام .. عتليت الساعة ٧  
صباحا الحجرة رقم (١٠) .

- يا حضرات برثيته البوكر جاهزة ..  
- يا اخي قول يا صبح .. بوكر .. بوكر .. بوكر .. انتم ايه !  
- احنا ورانا ايه .. واحد .. اثنين .. ثلاثة .. والرابع رفع رأسه  
من تحت البطانية .. الا .. اونه .. الا دوه ..

- فسرق ..

- صباح الخير يا حضرات ... الفطار ... الفطار ..

- والنبي خذ لي ... معك ...

- لا قوم انت ...

- لما اخلص الدور ده ...

- من يلعب بريدج ...
- انطوان من حقنا اليوم .. أمس كانت في الحجرة رقم (٩) ..
- أحضرها يا مجدى ...
- فسل دورى ...
- أنا أخفت الدورى مرتين والرائد ترخيق مرة .. ومحمود مرة ..
- ندمل القرعة لتحديد اللاعبين ...
- اذت يا جدع انت بس ديتى تستدري وتطفى النور ...
- أنا حر يا أخى أسهر زى ما أنا عايز ...
- تصوروا في الحجرة رقم (٨) كانوا حباطين جردلين واحد للميه والسانى للقتول واحد منهم قام في الفضلة نزل في جردل الشيه وشرب من جردل البول ...
- يا شبيب معهد الشهاده حسمد نقرا شوية في الاوده ١٢ ...
- الحب معانم ...
- لا اعملوا برتيته تانية ...
- أنا عندي صولد محترم سجاير العال مش سياون ولا ناديف ...
- شارك الدكتور ...
- نعميا يا عم ... هل توجد مياه في الحمامات ..
- ميه جميله .. خلقت في الاوده ٦ واستحميت ..
- ثمن علبه المربى دلوقت ثلاث علب سجاير بلمونت صغيره ..
- وبكره ترخص كمان لما الناس تخلص سجاير ...
- أنا محتفظ بالسجاير لغاية مترخص خالص وحشترى بها غيارات ..
- يا أخى خلى عندك دم .. زملائك بيتشمشموا على سيجاره وانت لا تدخن ومخزنها عندك ..
- ايه حقى أنا لا اخذ اكل مربى .. اشرب عصير .. اشفري غيارات ..
- وزمليك بيتى بدون غيارات ..
- والله مزاجه هفه على كده .. يايدخن .. يايلبس .. حد ضربه على ايده ..
- تلاعبنى عشره طاولة بعلبة بلمونت كبيره ...
- لا صغيره ...
- تعالى حكى لك حكاية ...

- عارفها القائد سسابك .. ومشى وتنت في الجبل .. وكنت حتموت من العطش ..
- لا ... ده فوزى بيقول ان الاتفاقية وقعت ...
- ياعم والله ما عايزينكم احنا حنفضل هنا طول العمر ...
- لادى حقيقى .. فوزى رشا الحارس بعلبة سجائر بلمونت كبيرة .. وسمعه صوت العرب النشرة .. بس متقولش لحد ...
- تفنكر حقيقى حتمشى امتى ... ؟؟ ...
- بتوع ٥٦ قعدوا شهر ونصف واحنا كده على شهر سبتمبر ...
- لا سبتمبر كتير قوى .. نقعد ٤ شهور ..
- امبارح حضرنا الارواح في السلة وكتبت اننا حنساغر في سبتمبر ..
- بلاش كلام فارغ ...
- والله السلة حقيقى انا اعرف واحد ...
- اسكت وحياتة ابوك انا مش فاضى لك ...
- ضجة - ياه .. برافو .. برافو .. تصور ضرب صولد على فلوش ما فكيه ..
- كسب تمد ايه ...
- اربع غلب سجائر ...
- المستجوب لمح لى من بعيد ان كنت عايز اسافر بره .. ممكن ..
- ازاى ... !!
- قال لى لو تمساغر بره تحب تروح فين ... !!
- طيب م تسافر .. هى عيبها الوحيد انهم حيشـفلوك هناك جاسوس ..
- لا جاسوس ولا حاجة .. مش احسن من الرمية دى .. انا اتقدر اسافر اى بلد ومن هناك اروح الكويت او ليبيا .. وابعت اجيبه مراتى ولادى ...
- فكرة عظيمة ...
- اذا طولنا عن شهر كمان حطاب منهم ...
- يا شيخ محمد عيب كده انت راجل عارف ربنا كويس ميصحش ..
- امال نسيبهم يموتونا هنا .. والله في الاخر حيزوهموا ويموتونا ...
- الواحد يسافر بلد كده ولا كده .. ولا يقعد لغايه م يموتوه ...
- فلان الفلانى .. مطلوب استجوابه ...
- ايوه ياعم .. حتشرب لك سيجارة نضيفه وشاى .. وحاجة ساعة ..
- والنبي تقول لهم على الصابون ... لحنن خلكم وعايزين ...

- وكوتشينه ...
- الجوابات اتأخرت والطرود ...
- حاول تشمشم كده ختمشى امتى ...
- الجرايد بتاعتنا جيبقوها ...
- لا .. هاتها والنبي ...
- شوف يا سيدى الكلام ...
- ايه ده يقصدونا احنا ...
- الجريدة دى محسوسة وحقييره جدا ...
- انا بقول نقاطعها ...
- وليه نقاطعها .. مش عايز تقرأها بلاش انت لواحدك .. لكن  
لخلفل حاطين خواجه على فكرنا لخد امتى ...
- الكلام ده كلام اعداء .. افهم .. ومطبوعة مخصوص علشان اهالى  
المناطق المحتلة .. عايز تقرأ .. اقرا الجيروزليم بوست .. يمكن  
محترمة شويه ...
- اتفلسفوا علينا اكلها بالانجليزى .. لا حقرا جريدة « اليوم » واللى  
عايز تعمله اعمله ....
- قالك ايه المستجوب ...
- قال انهم مش عايزينا فى مصر .. وان المشكلة ٣ جواسيس مصر  
مش عايزه تسلمهم مقابل الاسرى ...
- والله م انا مصدق .. بقى ده كلام عاقل نصدقه ...
- بكره لما نروح مصر حتعرف ان ثلاثة جواسيس اهم منك ومن  
اللق مشك ..
- وقال ايه كمان .. فيه طرود .. فيه جوابات ...
- بيتقول مندوب الصليب الاحمر .. رجع ومعه ٤ جوابات فقط وطردين ..
- واين هم ...
- اتسلمت اللوات ... كلها لهم ...
- شوف البلد .. حتى هنا كمان .. لوات ايه احنا يعنى زبالة ..
- ده طبع .. مفيش فايده سعد زغلول قال كده .. والله والله ببسرقوا  
فى مصر طرودنا ميتورعوش عن سرقة سجاير اسير ...
- بالمناسبة الطرود فى المرة اللى فاتت جابوا اللوات ياقوت فتسح  
الصندوق بنفسه ...

- فض الشمع الاحمر .. وسابها في الأوده بقاعة الاذاعة ومع ذلك وصلت ناقصة ..
- أنا شفت بعيني العساكر المصريين اللي بيخضفوا دخلوا الأوده وبصوا يمين وشمال وحطوا عليتين سجائر من الطرود في جيبيهم ..
- الفبارده ذيه سينما .. قاللى .. وسألنى ايه الافلام اللي بتحبوها ..
- شفت البفت أم صدر كبير ...
- لا .. لكن شفت شويه رجلين ونخاد .. يابوى .. مش معقواين .. ولا سلاسل الذهب .. الشعور .. الشعور .. متفكر زيش ..
- كل الناس تقف انتباه .. تحية للكنت رويال ...
- اقلعب صح .. قال بارول عليه .. البيه قال غلبه سجائر واللبيه الاثنى رفعهم لخدس تاليد .. راح ضارب عشر تاليد .. اغتكرها بييلف .. دخلوا مصاه .. ولس ..
- كان معاهم ايه ...
- غول رواه .. وثلاثة آرس ...
- الغدا يا حضرات النهارده بولوبيف ...
- دى لحمة خنزير .. والله اوغوا يا حضرات تكلوها ..
- هاتوا لى أنا لحمة الخنزير .. اوغوا يا حضرات تكلوها .. هاتوها لى أنا ..
- يا ناس والله دى لحمة بقرى ..
- الشيخ محمد اكل منها ...
- الشيخ محمد ياكل الدردى .. انت مش فاكركه اما شرب بوله وتعد يصوت ويقول ويسكى .. ويسكى ...
- أنا رحت بنفسى المطبخ وسالت قالوا اللحمة بقرى مش خنزير .. واليهود على كل حال مبيكلوش خنزير ...
- انت عارف ان فيه ترفيه جه من تونس ...
- مش معقول ايه .. ؟؟
- مربى .. وبسكويت .. وامواس خلقة ...
- بيشمتموا فينا ..
- والله بورقييه راجل .. هو اول واحد قال نلما شويه ..
- يا اخى بدل ما تشتم اشكر .. انت ايه .. ؟؟
- انت امبارح .. وافنت نايم كنت بتحلم بايه ... ؟؟

- لييه ٦٠٠ ٩٩

- كنت بتصوت وتقول ابني ٠٠ ابني ٠٠

- حملت انه بيسقط من البلكونة ٠٠٠

- انا حوديك لواحد في المعسكر هنا يريقك ٠٠ يتضحك والله حقيقى

٠٠٠ بقرا لك شوية قرآن قبل النوم ٠٠٠

- لا ابدا انا رحت للدكتور وسالته ٠٠ ادانى « برت رانكيل » اخذتهم

قبل النوم ولا ورد ٠٠٠ ولا عفاريت ٠٠ يا راجل اتمدنوا بى ٠٠

- ايه رايك انا مش عاجبتى الطريقة اللى بنعيش بيها ٠٠٠ عايزين

نجدد ٠٠٠

- وايه تصورك للتجديد ٠٠٠

ايه رايك نعمل محاضرات تثقيفية بدل البوكر والخبيبة اللى احنا

عايشين فيها ١٠٠٠

- موافق ٠٠ لكن ايه المواضيع الممكن الكلام فيها ٥٥

- الرسم - المسرح - السينما - علم النفس - التطور - القضية

العربية ٠٠

- شوفنا لنا كام واحد كده ونقعد انا شخصا موافق ٥٥٠

- ايه رايك ٠٠٠

- انا شخصا لى راي في القضية العربية بلاش الكلام فيها لحسن

كل حاجة بتوصل ٠٠

- يا اخى في مواجهة الحرب النفسية دى لازم تعمل حزب مضادة ٠٠

- ربنا يفوت الايام دى على خير ٠٠ وعندما نصل بيتنا سيلتفى

كل شيء ٠٠ عموما ملتش دموع باى حاجة ٠٠ لكن الرسم والمسرح

٠٠٠ المجلس موافق ٠٠٠ بالمناسبة شفت مجلة البلاى بوى ٠٠

- لا ٠٠ تلاقىها حلوه ٠٠

- تجنن ٥٥ يا اخى ببجيوا النسموان دى منين مش الغفر اللى في مصر ٥٥

- احنا تحتى مش لاقين لاقين الغفر دول ٠٠٠

- لا انا عندي ماتش تسميل ٥٥ حقسل البيجاما والكمام غيار والاوفرول

- عندك شوية اومو ٠٠٠

- آه بعثوا لى من مصر رابيسو ٥٥ وثايد ٥٥٥

- بيوفر كثير في الفسيل ٠٠٠  
 - أنا بنقح الهدوم في الميه والرابسو يوم ٠٠ ثم اضع الصفيحة  
 تحت الدش ساعة اثنين ٠٠ وانشيز الهدوم على السلك لغاية م تنشف  
 - لا مينفعش لازم تدعكها ٠٠  
 - ياعم عنها مندعكت المهم تكون ريحتها كويسة وخلص احنا حنتجوز  
 - النهارده سينما ٠٠ وقفل الابواب متأخر بعد السينما ٠ احجز  
 لنا ببطانيتك ٠٠

- ايه الفيلم ٠٠ بيتولوا كيلوباترا ٠٠  
 ميت مره كيلوباترا ويجيبوا افلام اخرى ٠٠ اشاعات ٠٠  
 ونحضر الفيلم ٠٠ فيلم فرنسى جنسى جدا ٠٠ عن سيرك انقى تغري  
 رجلا لمزاولة الجنس ثم تهرب مع رجل اخر ويضطرون لقضاء ليلتهم في كشك  
 بالجبل يشغلون الدفاية ٠٠ ويزاولون الحب مرات عديدة بتفاصيل كثيرة ٠٠  
 وينتهى الفيلم ٠٠

- ايه رأيك ٠٠ اما حنة فيلم ٠٠  
 - يابوى على النسوان ٠٠ والقبلات والحب ٠٠٠  
 - والموسيقى والرقص ٠٠٠  
 - الناس دى اكيد عايزه تجنبا ٠٠ الفيلم مستحيل يتعرض عندنا  
 بالشكل ده واحنا مطلوقين ٠٠ يقوموا يعرضوه والواحد آخر ذل  
 - حتى الواحد مش لاقى مكان يدارى فيه حاجة تكسف ٠  
 - ياواد ياشقى ٠٠ كل واحد يا ساده يحاسب على نفسه مقى ٠٠  
 - مساء الخير ٠٠ احاذ ٠٠ اشفين ٠٠ ثالوث ٠٠ تصبنوا على خير  
 - عندنا اليوم الصبان سيقنى يا حضرات يدلا من محمود لان في الاوده  
 ٨ برتيقة بوكر سيحضرها ٠٠٠

- معزمتش ليه ايمى بيطبل كويس ٠٠٠  
 - انت صاحبه معزمتوهش ليه ٠٠٠  
 - الصلاة يا حضرات ٠٠ حى على الصلاة ٠٠ حى على الفلاح ٠٠  
 الله اكبر ٠٠ الله اكبر ٠٠  
 - انت م بتصليش ليه ٠٠  
 - نفسى والله ٠٠ لكن حاسس انى بصحك على ربنا ٠٠٠  
 العدد للى بيصلى كبير ٠٠ لم يبق الا انا وانت والرائد توفيق ٠٠



- علشان مسيحي ٥٠٠
- عارف ٥٠ لكن بيصلي يوم الاحد ٥٠ القسيس بيحي لهم ويصلوا ٥٠
- مشتاق يا احباب مشتاق ٥٠ وتعبت من الاشواق ٥٠ صمت شديدي
- وشيرو
- ياها فترق الامر على ورق الليمون ٥٠ نصفيق على الواحدة ٥٠
- حبيب قلبي واعنني ٥٠١٠
- في الحيرة ٢٠ عملوا مسرح عرايس عايزين نغمهم يوم يعملوه لنا ٥٠
- مين اللي اخد بولة الطاولة ٥٠٠
- فاضل نور بين محمود ومجدي ٥٠٠
- معاك سيجارة نضيفه ٥٠٠
- انت قريت الجواب ده ميت مرة ٥٠٠
- يا جماعة الساعة بقت ثلاثة عايزين نغام ٥٠٠
- م تمام حد مسكك ٥٠
- المنور ٥٠٠
- كل واحد حر ٥٠ يعني لو كان اليهود اللي بيقلوا نغام والنور
- مفتوح تمام ٥٠
- لازم كل واحد يحترم الاخرين ٥٠
- قوللي من فضلك مين يستحق الاحترام فيكم ٥٠٠
- حكسر اللعبة ٥٠٠
- اكسرها وانا اكسر رقبته ٥٠
- انت اخلاقك حقيرة ٥٠٠
- انت فاكر نفسك بنى آدم ٥٠ الدلورنك منك بقرش ٥٠٠
- وانت اذا م سكتتش حقوم اضربك ٥٠٠
- يا جماعة صلوا على النبي ٥٠٠
- لا ٥٠ دى عيشة تزهد لنا جعزل من الاوده دي بكره ٥٠ مليش قعاد
- معاكم ٥٠ كل يوم سهر للساعة ثلاثة ٥٠ واربعة ٥٠ لا يا حضرات
- واذا الواحد اتكلم بيتشتم ٥٠ لا يا حضرات ٥٠ دى مش عيشة
- الواحد بيقياس من المصريين اكثر من اليهود ٥٠ لا يا حضرات
- دى مش عيشة ٥٠ لهم حق يطلبونا ٥٠٠
- اتكلم واسكت ٥٠
- حاضر حكتكم انتم ايه مش مصريين ٥٠ فراغنا ٥٠٠

ان الاسرائيليين لا يملون الدعاية .. وحربهم النفسية مستمرة ..  
قبل الحرب .. واثناء الحرب .. واثناء الاسر .. وبعد الاسر ستستمر  
ايضا دعايتهم وحربهم وتأثيرهم وهم لهذا يبذلون جهدا كبيرا .. وتخطيطا  
علميا حقيقيا للوصول الى اهدافهم .. وهى ترسيخ بعض المفاهيم فى عقولنا  
عن ضعفنا وتفككتنا .. وقوتهم وسيطرتهم وعظمتهم .. وبالتالي عدم قدرتنا  
على مناعتهم والصمود امامهم وما تبقى ان نستسلم تماما لما يريدون ..  
فقبل الحرب لم نمل اذاعتهم ابدا عن الدعاية .. بل استغلوا ان حالتنا  
تستوجب البعد عن اهلينا دائما .. فاعرقوا اذاعتهم باغانى التشويق  
للحباء البعداء .. وكان لهذا تأثير بالتاكيد بطيء ولكنه فى النهاية  
مثمر .. واثناء الحرب استغلوا القصور والتفكك الذى حدث للجيش المصرى  
احسن استغلال .. وقد كنت اعجب للنداءات التى كانوا يذيعونها واعجب  
لسعة خيالهم كما راينا قبلا ولكننى فهمت ما معنى ذلك عندما رايتهم  
يجمعوننا من الصحراء كسمان وقع فى اقرب شبكة منصوبة له على شاطئ  
البحر بعد رحلة طويلة مرهقة .. وفى بداية الاسر كانت دعايتهم مركزة على  
استقاطنا من الداخل .. على كسر انسانيتنا جماعيا .. على تكثيف  
الاحساس باننا نعيش فى غابة .. وكيف تزيد التنازع والضغائن بيننا ..  
بل وبالعكس كيف كنا نشعر بانسانيتنا اثناء الاستجواب .. ومع العدو  
ذقت وكيف توصلنا الى نتيجة خطيرة جدا وهى اننى كمصرى بين المصريين  
محترق وذليل وكائنسان فرد امام مستجوب شخص يستحق الاحترام  
حتى من عدوه .. وكيف توصلنا ايضا الى نتيجة خطيرة ان سبب على  
هو مصريتى وهو انضمامى لجيش مصر .. واسرى مصر .. وكيف توصلنا  
فى النهاية للتبرأ من مصريتنا .. وعضويتنا بجيشها وانضمامنا لجماعاته  
.. ثم وبعد ذلك محاولتهم لبث فكرة انهم لا يحملون لنا اى ضغينة وهم  
المظلومون المدافعون عن انفسهم ضد طغيان حكامنا العرب الذين تدفعهم  
تطلعاتهم الشخصية .. ورغبتهم فى مجد شخصى للتضحية بنا .. وكانت  
وسائلهم لذلك متعددة .. حبس الاخبار عنا وتركنا عيانا فى بلد من المصريين  
.. ثم السماح لنا بالاخبار المسيطر عليها بطرق مختلفة .. وكيف كانوا  
يقبلون اوجاعنا كلما هداننا ببيان أو فيلم أو محاضرة أو اشاعة أو استجواب  
أو كتاب أو أغنية أو قطعة موسيقى ..

ثم كيف استغلوا الحرمان وربط للسيجارة النظيفة والقهوة والشاي  
والمرطبات بالاستجواب .. وتحويله الى قضاء وقت سعيد بدلا من الحرب

منه .. كذلك استغلوا الجنس الاذرع المارية .. الأرجل المارية ..  
الصدور المارية .. الجالسة في الطريق للاستجواب .. الذاهبة للمطعم  
والمكلمة في الميكرفون .. ثم كيف زادوا انفعالنا الجنسي عن طريق  
الجلطة .. والفيلم .. والزيارة .. وهكذا استعمل اليهود كل شيء ..  
الخطابات .. الاكل .. النوم .. المرحاض .. الترفيه للوصول بنا الى  
هذا الشكل ..

كنا كفتران التجارب في معمل أبحاث .. يضمهم الباحثون في الظروف  
والاماكن وبعالونهم بالشكل المطلوب لباحثهم ليطوروا عليهم تجاربهم ثم  
يعيدونهم بعد اخذ النتائج ..

ولقد أجرى علينا الاسرائيليون تجارب عديدة نفسية وجثمانية وعلمية  
 واجتماعية .. ودونوا نتائجهم وطبقوها ثانية علينا .. من هذا المفهوم  
.. نستطيع ان نقول ان معظم تصرفاتنا وكلماتنا في معسكر عتليت كانت  
انعكاسا للتجارب التي يجريها باحثو اسرائيل ..

تجمعنا في يوم امام السور الامامي للمعسكر في انتظار نشرة الاخبار  
وكان الاسرائيليون في حالة ارتباك شديد .. وفي الموعد لم تذع النشرة ..  
- لماذا ؟؟

- النور مقطوع عن المعسكر ..

- لا بد وأن شيئاً ما قد حدث ...

لا أعرف ...

ثم انتشر الخبر بعد ذلك .. انتشر من معسكرات الجنود .. لقد غرقت  
مدمرة اسرائيلية دمرتها لهم البحرية المصرية ...

- كيف عرف الجنود ؟؟

- وهل يخفى عليهم شيء ؟؟

- حتى هنا ؟؟

- مش معقول .. لقد انتهت الحرب ..

- وما الذي يمنع ...

- حقا .. كيف عرف الجنود ؟؟

- لا أعرف الا انهم أرسلوا لنا ورقة بالخبر ...

وفي اليوم التالي تجمعنا ثانية للاستماع لنشرة الاخبار ..  
حرائق في مستودعات البترول بالزقية ...

الحرائق تشاهد على بعد ٢٠ كيلو متر ٥٠  
 الدخان الاسود يغطي مدينة السويس ٠٠  
 مستحيل السيطرة على الحرائق ٠٠  
 ضجة في العالم نتيجة لفرق المدمرة الاسرائيلية ايلات ٠٠  
 هيه ٠٠ هيه ٠٠ ( صيحات فرح للمصريين ) ٠٠٠  
 الجنود الاسرائيليون يصوبون رشاشاتهم لنا ٠٠  
 اسكت خليفنا نسمع الباقي ٠٠٠  
 ضرب مستودعات البترول في الزيتية رد عملي على اصابة  
 المدمرة ايلات ٠  
 الجنيون يهاجرون من مدن القناة ٠٠٠ الاقتصاد المصري ينهار ٠٠  
 ودارت المناقشات حول هذا الموضوع ٠٠٠  
 - ضربة معلم **ثابت**  
 - والله خبر جميل جدا ٠٠ لكن كيف عرف الجنود ٠٠٠٠  
 - هيه المدمرة يبقى فيها كام ٠٠٠  
 - حوالى ألف **ثابت**  
 - بلاش هباله ٠٠٠ ألف ايه لا يزيد عن ميتين ٠٠٠  
 - طظ في الزيتية ٠٠٠  
 - لكن هم مجانين يسيبوا بترول في مستودعات على مرمى بنادق  
 العدو مش مدقعيته ٠٠  
 - كله بتمنه ٠٠ يعنى ميضربوش ايلات لغاية م يفضوا المستودعات ٠  
 - الواحد لترد له ثقته بنفسه ٠٠  
 - عقبال سينا **ثابت**

كان هذا الخبر ايداناً بمرحلة جديدة في حياتنا ٠٠ فلاول مره نشعر  
 ان العالم خارجنا تحدث فيه احداث مخالفة لما نسمعه عن أن الكباريات  
 في القاهرة مفتوحة وأن المواطنين يتنزهون على الكورنيش وأن الاقتصاد  
 المصري في انهيار وأن هناك انقلابات وانتخارات وانهم لا يريدوننا  
 كى لا نثير البلبلة ٠٠٠ الخ ٠٠٠

وصاحب هذا انفجارات متتالية في معسكرات الجنود ٠٠ واضراب  
 عن الطعام وانتقلت الاضرابات الى معسكرات الضباط ٠٠ وقامت أكثر من  
 معركة بين الجنود المسلحين بالطوب وقطع القماش الجبل بالسولار

والحترقة ٠٠ وبين الاسرائيليين المسلحين بالرشاشات وهاجم الجنود  
برج حراسة واستولوا على رشاش ٠٠ واستدعى احتياطيات جديدة للسيطرة  
على المسكر ثم اعدوا دراسة نظام الحراسة بالمسكر واحضروا اللواء  
الجولاني ليشاركنا في معسكرنا ٠٠ وسارت طوابيره ليلا ونهارا تستعرض  
خطوتها وتغنى اغاني بالعبدية على الحان موسيقى غربية وزادت وريات  
الحراسة الراكبة عربات حبيب المصطحية للكلاب وشاهدنا محاولتين  
للهرب مسافيتين ٠٠ احدهما كان ضابطان صغيران وقعا عند اول  
منعطف خارج المسكر عندما تحدث معهم احد الجنود الاسرائيليين فلم يستطيعا  
الاجابة الا بكلمة « شالوم » وهى الكلمة اللوحيدة العبرية التى يعرفانها ٠٠  
واضطر اليهود لاصطحاب اللواء ياقوت والرائد صفوت للسيطرة على  
الجنود فلقد منع الجنود المصريون الاسرائيليين من اخذ التمام ٠٠ ولقد عاد  
لنا الرائد صفوت بصورة لما يحدث في معسكرات الجنود ٠٠ فهناك نظام  
الحكم مختلف لقد استقر بشكل قبلى ٠٠ فافراد المحافظات المختلفة تجمعوا  
في وحدات صغيرة ٠٠ والمحافظة التى لها رجال اكثر تحكمت وفرضت  
سلطتها على الاخرين ٠٠ وهكذا وفي ظل الحكم القبلى اوقف الجندى ذو  
العصبية الكبيرة الصف ضباط في الصف بغض النظر عن رتبتهما وساعدا  
على ذلك ان عددا كبيرا منهم كان من الجنود الاحتياط او المستعدين قبل الحرب  
مباشرة ٠٠ ثم برزت بعد ذلك اللقيادات الحقيقية التى استطاعت تنظيم  
الحياة في المسكر وقيادة الاضرابات وقيادة المعارك المختلفة ٠٠ ووصفهم  
بانهم رجال في منتهى الصلابة والجدة ٠٠٠

كنا نجلس صامتين ٠٠ نستمع الى اعلان حلول شهر رمضان من  
الميكروفون المعلق بالمسكر ٠٠ ثم صوت الذيع وهو يهتفنا بهذه المناسبة  
الدينية ثم القرآن المذاع بعد ذلك وانفجر الرائد عادل في البكاء  
والتشنج ٠٠ متذكرا زوجته واولاده ٠٠ وحسرتهم وهم يحتفلون برمضان  
دون عائلهم ٠٠ وتتم آخر ٠٠ اول مرة اغيب عنهم في مثل هذا الشهر ٠  
واندفع احران لنجدة الرائد عادل المغشى عليه ٠٠ ثم انفجرا في البكاء مع  
الكلمات الحزينة التى يقولها خلال بكائه ٠٠ وتنبهنا على صوت احدهم يقول  
« وحده » بكوه نرجع ونعوض اللي فات « ٠٠٠ جلست مباحا افكر نرى  
كيف سنحتفل بلينا برمضان ٠٠ بعد هذه الهزيمة الفكرية ٠٠ ترى ٠٠ هل  
سنضام الانوار ٠٠ وهل سنبتاع الكنافة والمكسرات ٠٠ وهل سنستمر  
السهرات للفجر في الحسين ٠٠٠ !! - وهل سيقول بعضهم لبعض كل سنة

وأنت طيب ٠٠ ترى كيف تعيشين يا بلدنا ٠ جفف البكاؤن دموعهم ٠٠  
وجلسنا نحكي ذكرياتنا ٠ أيام طفولتنا ٠ وأيام صبانا ٠٠٠ وأيام  
شبابنا ٠ المكسرات ٠ قمر الدين ٠ الفوانيس اللوثة ٠ الاغاني  
القديمة ٠ جو ورائحة ليالى الف ليلة وليلة ٠ حضر الحراس وفتحوا  
لنا الابواب مهئين بمرضان ٠ فالنظام الجديد للمعسكر أن تفتح الابواب في  
الساعة الثامنة ٠ وتفتح في الثانية عشر لقد تقلصت ساعات الحبس الى  
أربع ساعات يوميا ٠ وسمح بإذاعة الاغاني والقرآن ليلا ٠ وساد  
المعسكر شكل جديد من أجل رمضان ٠٠٠

في الصباح انتشر خبر قدوم اللواء الكاهن الاسرائيلي ٠ ليغابل مندوبي  
الاسرى ويرتب معهم الترتيبات المعيشية خلال شهر الصيام ٠٠٠

وبعد الظهر عرفنا انهم قرروا أن يصنعوا ويزيدوا كمية طعامنا ويعملوا  
مواعيده بما يناسب الشهر الجديد وأنهم قرروا أن يصرفوا لنا ( لبن  
زبادى ) ٠٠ ومكسرات وفراخ على الافطار ٠٠ وخابلنا في البداية موضوع  
صرف الفراخ باستخراش ثم ابتدأت بعد مدة مناقشة الموضوع تسارة  
باستهزام ٠٠ واخرى بشهوة وامتدت المناقشة بين هل صحيح ان اليهود  
سيطعموننا فراخا وزبادى ومكسرات أم لا ٠٠٠

وإذا كان فما مقدار الفراخ ياترى التى سياكلها كل منا ٠٠ وكم مرة  
في هذا الشهر ٠٠

وكان من قبل قد حضر لزيارتنا اللواء اسحق رابين رئيس اركان  
الجيش الاسرائيلي مر علينا في حجراتنا وشاهد أماكن نومنا ٠٠ وعندما وجد  
عنهنا كتابا مؤلفا همدى عن ( عبد الناصر مصر ) سألنا ترى لو كان اسرانا  
عندكم هل كنتم ستعطونهم كتبنا عن ليفى اشكول او بن جوريون ٠٠  
ويومها قلنا له سنجعلهم ينامون فوق أسرة بدلا من النوم على الارض ٠٠  
ووعد بان يامر باحضار أسرة لنا ٠٠ وأعطونا كمية من البرفوق كهدية  
لزيارته ٠٠٠

وفعلا أحضروا لنا أسرة قرب بداية رمضان ٠٠

أصبح الجو أكثر برودة ٠٠ المطر الغزير يهطل ٠٠ أحضروا لكل منا ٤  
بطانيات بدلا من البطاطين السابقة ٠٠ وأكثر نظافة وجدة ٠٠ وأحضروا لنا  
بعض الملابس الصوفية القديمة ٠٠ بدل كاكى صوفية من النوع الذى نسميه  
« باتل درس » ٠٠ وسمحوا لنا بطرود جديدة من مصر ٠٠ تحمل ملابس

صوفية وبيجامات صوفية وكسفور .. وادخل للخمامات نظام المياه الساخنة والباردة .. ثم احضروا لنا بعض الحلوى وقالوا هدية من نجمة داوود ( مثل الهلال والصليب الاحمر ) وبعض اللب والسودانى والحمص وقالوا هدية من الشعب الاسرائيلى ..

ثم تلت زيارة اسحق رابين .. زيارة للقادة الاسرائيليين .. الجنرال اهرن مدير المخابرات العسكرية الاسرائيلية .. والجنرال موزخاي هود قائد الطيران ومدير الاذاعة الاسرائيلية الناطقة باللغة العربية .. واعضاء من الكنيست الاسرائيلى ومن الحزب الحاكم .. وزادت حضلات السينما .. وتحسنت نوعيتها .. بعضها عن السيرك .. واخرى عن حياة مغنى الاوبرا كرورز وكان فيلما جيدا وبعضها افلام مندية ولكن ما يستحق الاهتمام منها حقا فيلمان او ثلاثة اسرائيلية ناطقة باللغة العبرية .. وكان الجنود الاسرائيليون يترجمون لنا الحوار وان لم يكن فى حاجة للترجمة الفيلم الاول تدور أحداثه فى المانيا اثناء حكم النازى .. وخلال مطاردة الجستابو لليهود اختلعت عائلتان فى خجرة سرية هربا من الاعتقالات وفى انتظار تهريبهما للخارج .. فى العائلتين شاب وشابة .. فى سن الحب .. فى سن التفتح .. كان لابد ان تنشأ بينهما علاقة عاطفية .. ولكن فى مثل هذه الظروف .. وتحت انظار الاباء والامهات والعمات والجدود تتحول هذه العلاقة الى عذاب .. الانظاسار تخيطلها .. وتفهم سرهما .. ولا يستطيعون مساعدتهما الشابان يحاولان ان يخطيا ببعضهما فى ركن ولكنهما يخجلان من اهلهم وهم لا يشعرون بانهم يفهمونهما ويعطفان عليهما .. الاعصاب تتوتر مع كل طارق .. الاعصاب تتوتر من الحبس .. والرعب من الموت .. عمة غانس تتلعلل .. يا للقسوة .. حق الحياة الطبيعية محرومان منه .. فى نهاية الفيلم ومع اصوات ابواق عربات الجستابو القادمة للقبض عليهم تندفع الفتاة الى حضن فتاها ويخبيان فى قبة طويلة .. ثم يصلحان ملابسهما ويسيران مع باقى عائلتيهما الى قدهم .. وهو فيلم جيد كقصة وتصويرا واخراجا وتمثيلا .. يستطيع فعلا وفى الظروف الطبيعية ان يسرق منك الحب والمطف على اليهود .. والصهيونية .. ثم يصل بك للنقطة الحاسمة وهو حقهم فى ان يكون لهم وطن يمرحون فيه ويحبون ويحاولون حياتهم من خلال حوار غير واضح وتغيير ظاهر فى الفيلم ولكن تأثيره علينا كان تعليميا ظريفا من احد الزملاء اذ قال : الله يخرب بيته هتلر ..

لانه لم يقتض على اليهود ويريحنا منهم .. فيلم آخر .. أم يهودية .. ضمن عائلة كلاسيكية تعيش في فرنسا .. الاب يقرأ والام تشتغل التريكو والطفلة تعزف على البيانو والطفل يستذكر دروسه .. الاضواء خافتة نظرا لتيود الاضواء اثناء الحرب العالمية الثانية .. ثم صوت صفارات الانذار .. وتحدث غارة .. ويسقط المنزل وتموت تحت الانقاض الابنة .. ثم يدخل النازي المدينة ويقبضون على الاب .. وتهرب الام .. ويشاهد الطفل اعدام النازي لمجموعة من رجال المدينة ومنهم أبوه .. الابن يهرب عن النازي وهم يطاردون جميع اهل المدينة يأكل من صندوق الزبالة مثل القطة والكلاب الضالة .. الام تنضم الى ملجأ لتربية اطفال اليهود في جانب من الارض غير المحتلة اطفال كثيرون .. الام تبحث عن ابنها .. والابن مشرد ثم تقوى أحداث الفيلم حتى دخول الامريكيين فرنسا .. ويتعلق أحد جنودهم بالطفل .. ويعلمه الانجليزية ويحاول تنبيهه .. والام تجد سلوكها في حب الاطفال بدلا من ابنها .. والاطفال يبادلونها حبا بحب .. وزميلاتها في الملجأ يعطفن عليها ويحاولن البحث لها عن ابنها .. الجندي الامريكي يقرر امرا بعد ما جاءته الاوامر بالتحرك سيرسل الطفل الى الملجأ .. وفي نفس الوقت تقرر الام امرا ستبحث عن طفلها .. الام تتجه الى محطة السكة الحديدية بعد حفلة وداع صغيرة يقيمها لها الاطفال .. في المحطة تجد فرجا من الاطفال ذاهبا الى الملجأ .. تبكي من اجلهم تحن لهم تقرر الا تسافر وتهب حياتها للاطفال من اجل ابنها .. ترجع معهم تداعبهم وهم يغنون تضع يدها على رأس احدهم ينظر لها تنظر له .. انه ابنها ضمن هذا الفوج .. وبين القبلات والدموع يكتسب اليهود عطف العالم وتكتسب اسرائيل ملايين من الدولارات التي تحولها الى اسلحة تشرد بها اطفال العرب ..

هذه امثلة لافلام ساعدناها في هذه الفترة محاولة لكسب عطف اسرى حرب لا حول لهم ولا قوة على القضية اليهودية .. ومحاولة لقرسيخ مفهوم ان اليهود مظلومون وانه من العدالة قيام وطن لهم ناسين ان لنا اطفالا نبحث عنهم .. بين اللاجئين والمشردين في فلسطين وسوريا والارون ومصر ..

وفي الليالي التي خلت من الافلام كانت هناك المحاضرات .. محاضرم عن الديمقراطية في اسرائيل ابتعا المحاضر حديثه بأن اسرائيل هي البلد



الديمقراطى الاول فى العالم ٠٠ فتعدد الاحزاب وتنوعها من أقصى اليمين الحينى  
الرجعى التوسعى ٠٠ الى أقصى اليسار الشيوعى الصينى أو السوفيتى ٠٠  
وما بين هذين الطرفين أحزاب تتفاوت درجة يمينيتها أو يسارياتها ٠٠  
جعلها قمة الديمقراطية ٠٠ وهو الشيء غير المتوفر فى دول العالم اجمع  
حتى انجلترا أو أمريكا ٠٠ الفرد فى اسرائيل يستطيع أن يقول أى شيء  
فى أى مكان وبأى صورة ومسموح بذلك عدا العنف فى فرض الرأى ٠٠٠

هامش ( ان هذه الاحزاب فريدة فى نوعها اذ هى قد نشأت قبل قيام  
اسرائيل وفى ظل مجتمعات غربية فى أوروبا الشرقية وبولونيا وروسيا  
القيصرية على وجه التحديد .

أغلب هذه الاحزاب بدأت أحزابا طائفية متعصبة ولقد شجبتها حركة  
الصهيونية العالمية أنها ليست أحزابا على الطريقة الأوروبية رغم أنها  
أوروبية المنشأ فى الغالب فهى تقوم بنشاطات متعددة فى حقول مختلفة  
من الاقتصاد الى الخدمة الاجتماعية والضمان الصحى والثقافى والانباء  
والمصارف والمسارح والجرائد والنوادر وليس بمستغرب ان تشكل « دولة  
داخل دولة » رغم تعددها وشدة صراعاها العقائدى وحدة التنافس والقناحر  
الا أنها بمثابة تنوعات مختلفة على الموضوع الاساسى الواحد « الصهيونية  
ومخططاتها العدوانى فى جميع شمل يهود العالم تحت ظل دولة اسرائيل » .  
هذه الاحزاب تعكس المذاهب السائدة فى القرن التاسع عشر . العلمانية  
والاشتراكية والليبرالية والقومية المتطرفة وتنافسها ليس عقائديا  
أو ايدىولوجيا بقدر ما هو من قبيل السعى وراء المصالح الخاصة والمنافع  
الاقتصادية أو الحصول على أكبر جزء من الميزانية .

بعضها تحول الى تروستات اقتصادية هذه الاحزاب تقوم على مركزية  
القيادة حيث تنحصر السلطات الحزبية بايدى فئة قليلة من الزعماء أما باقى  
الاعضاء فينضمون للحزب لكي يستطيعوا أن يجدوا عملا أو خدمات  
أو تسهيلات . . . . . والتى بدون ذلك لن يجدوها . . . . .

( نظرة فى أحزاب اسرائيل « أسعد مرزوق » )

لم يعارض مغامرة ٥ يونيو سوى عضوين شيوعيين فى الكنيسة وباقى  
الاحزاب أيدت الاعتداء على العرب ٠٠ أساس الدعاية الاسرائيلية فى  
اسرائيل مركزة على اعتبار العرب مجموعة من المتوحشين الذين يريدون  
الفتك بالاسرائيليين ولذلك يجب مقابلة القوة بالقوة والارهاب  
بالارهاب ٢٢٠

المحاضره الاخرى عن نشأة اسرائيل .. ومن خلال المحاضره نفهم  
أن أكثر من ٨٠٪ من مواطني اسرائيل ليسوا متدينين وأن نسبة ٣٠٪  
من هؤلاء غير مؤمنين أساساً بل هم ملحدون أما الهدف من التجمع  
الصهيونى فهو تحقيق تقابل للروح اليهودية .. وهو نهاية العجز  
الايدولوجى الذى تقوم على أساسه دولة اسرائيل .. الروح اليهودية فى  
مفهومهم هى أن اليهود خلال تاريخهم الطويل لا قوا من الاضطهاد والتشريد  
والمسوة ما لم يلاقه غيرهم .. فهم من البداية مطرودون من مصر مستعبدون  
فى العراق مضطهدون فى الجزيرة العربية فى صدر الاسلام ومع بداية الدعوة  
من النبى محمد بالذات .. ثم وفى العصر الحديث واقعون تحت اضطهاد  
القيصرة الروس والغازية وأعداء السامية فى أوروبا وحالياً منبذون من ١٠٠  
مليون عربى يحيطونهم بالكراهية ولقد نجوا من أعداءهم العديدين ثلاث  
مرات خلال عشرين عاماً .. والسبب فى هذا ( هو الروح اليهودية والتضامن  
اليهودى التابع من التوراة .. التى ما هى الا تاريخ الآجداد وصاياهم )  
والروح اليهودية تصل الى أقصى حالتها فى المساعدات التى يقدمها لنا  
أخواننا يهود العالم جزءاً من حقنا فى أموالهم .. ويسكب المحاضر الاعمى  
يستجدون حتى أسراهم .. اننا فى ايديهم يفعلون بنا ما يشاءون فلا يجدون  
طريقة لاقتناعنا الا بواسطة محاضر اعمى يبكى لنا :  
ولكن النقطة الهامة فى هذه المحاضرة هى كيف استطاع اليهود  
المتفردون القادمون من جميع انحاء العالم أن يكونوا وحدة متجانسة تشكل  
شعب اسرائيل ..

ويعترف المحاضر .. أنه لولا عدااء الدول العربية لهم لما استطاعوا  
أن يحققوا هذه الوحدة فاليهود العرب الشرقيون ( مراكشى .. جزائرى ..  
عراقى .. مصرى .. يمنى ) واليهود الغربيون واليهود الروس واليهود  
الامريكان .. بقبائليتهم واختلاف أفكارهم ولغاتهم وأشكالهم وطرق حياتهم  
لم يوحد بينهم الا عدااء العرب لهم .. وبالتالي الدفاع عن النفس .. وكانت  
كلما ظهرت التناقضات قتلوها باسم العدو الرابض على الحدود .. معنى  
هذا أنه لولا خوف اليهود المشترك من العرب لانفجرت اسرائيل من داخلها ..  
ولكن هل مجرد الخوف هو الذى اذاب الفوارق وحافظ على الكيان الاسرائيلى  
يقول المحاضر أنهم قد كونوا معسكرات تستقبل اليهود الجدد المهاجرين  
.. تعلمهم اللغة العبرية وتدرس لهم الايدولوجية الاسرائيلية .. ثم تحكى

لهم كيف يعانون في سبيل التقدم والمدنية :١٠ وتطلب منهم المحافظة على المكاسب واكمال النضال من أجل العلماء المهددة على مر التاريخ . ومن خلال هذه التربية تستطيع اسرائيل تجنيد ١٠٪ من سكانها ( وهي نسبة عالية جدا اذا عرفنا أننا نجند ١٪ من سكاننا ) .٢٠ ومن خلال هذه التربية تحفهم للعمل في مستعمراتها الجماعية العسكرية على الحدود وفي الاماكن للصعبة .٣٠٠ ويستطرد المحاضر . . .

ان المائتيكم ودعايتكم كانت تحمسننا أكثر منكم .٤٠ فيكفي ان نستمع لن يقول سنرميكم في البحر .٥٠ اضرب .٥٠ اقتل .٥٠ اقتل .٥٠ اخرج . . . بالنسبة لك كلام اما بالنسبة لي خوف ورعب وحرب وانتصار وموت وتعذيب ثم حماس . . . وهناك نقطة أخرى طرحها المحاضر وتستحق الاهتمام وهي كيف استطاع اليهود بناء اقتصادهم :١٠ ويركز المحاضر صراحة بأن أغلبية يهود العالم تجار . . . وأن الانتاج يحتاج للزراع والصانع وهي مهام لا يتقنها اليهودي ولحل هذه العقبة اشترت الوكالة الصهيونية اراضي في فلسطين وحولتها الى مستعمرات زراعية يعمل بها اليهود في زراعة جماعية . . . ثم حولت جميع المعونات التي تتلقاها من دول العالم الى مصانع ومعامل ومشروعات اقتصادية وبذلك استطاعت تحويل ما تقتضه الى انتاج وفي هذا المعنى قال المحاضر . . . وبعد عشرين سنة من العمل والانشاء وبعد ما ابتدأنا نأخذ ناتج هذا العمل . . . تريدون أن تحرمونا منه . . .

حقا :٢٠ بعد هذا المجهود هل نريد أن نحرهم منه :٣٠ وبالتالي هل سيسلمون بسهولة . . . ١١ سؤال لابد سيضغط على عقولنا بعد هذه المحاضرة :٤٠

والنظرة الأولى ونتيجة لظروفنا يمكن أن تجعلنا نقول . . . لا . . . حرام :٥٠ لابد من الصلح والاتفاق ولكن النظرة التالية ستجعلنا نفكر في هذه الدول التي تقدم لنا قمحا وعربات وأجهزة تكييف هواء ولبن وجبن وأدوات زينة وكلها مواد استهلاكية . . . تنتهي باستعمالها مقابل يترولنا وقطننا :٦٠ وتقدم لاسرائيل المصانع والمعامل والخبرة وأدوات الانتاج وكلها أدوات تنتج وترفع مستوى المعيشة حضاريا مقابل . . . لا شيء . . . هذا هو الفارق :٧٠ لماذا تقدم لنا أمريكا القمح والجن وتقدم لاسرائيل المفاعل الذري لتحويل المياه المالحة الى مياه صالحة للشرب ؟؟ هذا السؤال لابد من قنهم جيدا واستيعابه ونحن نجيب على سؤالنا الاول هل بعد هذا المجهود نريد أن نخرجهم من ارضهم . . . هكذا نصل الى منطلق آخر للقضية . . . المفروض أن تصبح بلدنا مصدرا للمواد الخام وسوقا للمنتجات المصنعة . . . وأن تصبح

اسرائيل قاعدة صناعية متقدمة اى نطل نحن متخلفين لما لا نهاية .. ونزداد  
سرعة تقدمهم وفرصتها الى ما لا نهاية وفي ضوء الحياة والموت تصبح  
الاجابة على السؤال .. يجب اخراجهم .. او تحويلهم الى شكل مخالف  
لهذا الشكل القاتل لنا مثل

فلنجد الحاضرنا ..

لنجد يلقى ببذوره لتنمو .. او يؤكد نمو بذور اخرى .. ومن  
أهمها ان اليهود أصبحوا شعبا له مقومات الشعب من لغة وأرض وحضارة  
ودين .. وأن الدولة اليهودية في اسرائيل ذات تاريخ حضارى عريق وحاضر  
حضارى متقدم وأن اقتصادهم أصبح اقتصادا يعتمد على مجهوداتهم  
الصناعية والزراعية وميزانهم التجارى تخدّم الزراعة والصناعة المصدرة  
وليست المعونات .. فالمعونات تحولت الى مراكز الانتاج .. وأنهم لكى  
يحقّقوا ذلك بذلوا مجهودا كبيرا .. ودما وعرقا وأعصابا .. لا أول لها  
ولا آخر وأنه بحرمانهم من نتاج عرقهم ومجهودهم بريرية ولا انسانية ..  
وبذلك تتحول حربنا الى تعصب وتدمير لدولة حضارية متقدمة تسحق  
كل احترام وتقدير لمجهوداتها الجبارة في سبيل الحياة .. تسلسل منطقى  
معتول جدا ولكن هل يقنّعك .. !!

المحاضرة التالية كانت عن الكيبوتزيم .. وفي هذه المحاضرة يحاول  
بلورة وانماء البذور التى طرحتها الزيارات والاستجوابات .. من جهة ومن  
الجهة الاخرى التشكيك في اشتراكيّتنا العربية بمقارنتها باشتراكية  
الكيبوتز .. والكيبوتز هو مستعمرة زراعية صناعية لها حجم معين فقد تكون  
كبيرة او متوسطة او صغيرة بين ٣٠ و ١٥٠٠ نسمة ولقد أنشئت لحماية  
اليهود من العرب المغيرين عليهم في بداية الهجرة الثانية هكذا يقول ولقد  
اشترت الوكالة الصهيونية بعض الاراضى .. واستولت على اراضى اخرى  
بعد ان تركها اصحابها العرب ورحلوا فآخذناها نحن وحولناها الى زراعة  
متقدمة .. والحياة في المستعمرة اختيارية ولكن يشترط في بعض الاحيان  
ان يقضى بعض المستوطنين الجدد مددا متفاوتة وفي هذا يقول بن جوريون  
« لا بد وان يعاني المستوطن الجديد ما عاناه المواطن القديم في الانشاء » وهذا  
بالطبع ان لم يكن هذا المستوطن من الاغنياء او حاملى الشهادات والخبرة  
التكنيكية .. او منضمّا لحزب من الاحزاب الكبيرة او الهستدروت ..  
فالحياة هناك شيوعية كل الناس تعمل .. كل الناس تستفيد استفادة  
متساوية .. وان اختلفت الاستفادة من كيبوتز لآخر حسب درجة غنى هذا  
الكيبوتز .. وعموما لا جديد في هذه المحاضرة عما عرفناه من قبل ..

في صباح أحد أيام الشهر انتشرت اشاعة بأن الفراح في طريقها الى المطبخ واندفع الضباط الى الاسوار لنجد أكياس الفراح الذمركي وهي تنزل من العربة الى المطبخ . ثم اندفع اخرون الى الرائد فريد . . . المكلف بالاشراف على التعيين يستحثونه لمعرفة الاخبار من المطبخ . . . وقف الرائد فريد بكرشه الخارج من بنطلون البيجاما ووجهه التركي الاحمر وعينية المتعبتين لصحوه فجأة من النوم يطلب مقابلة الشاويش امزراحي حكمدار المطبخ وحوله الضباط يتغامزون . . .

- ايوه يا عم الفراح جت . . .
- يومك . . . ده . . .
- أوعوا يحرقوها . . .
- أنا عايز نصيبي مسلووق . . .
- وحياتك خليههم يحمروها قوى . . .
- أنا عايز فرختي كامله زى م . . . هي . . .
- يا ترى جيعملوا على الشوربة ايه . . .
- لو كان عندهم ملوخية ؟؟

واخيرا سمح للرائد فريد بمقابلة الشاويش امزراحي . . . وبعد حوالي ربع ساعة رجع منكس الرأس . . . وتوالت التعليقات . . . لازم مش لنا الفراح . . .

- يا ترى زعلان ليه . . . III
- لازم أتخافق . . . !! وعندما دخل من بوابة المعسكر التف حوله الضباط ثم انتشرت اشاعة في المعسكر بأن الفرخة ستقسم على عشرة أفراد . . . ومع انتشار الاشاعة توافد الضباط الى حجرة الرائد فريد . . . غير مصدقين وللتأكد منه شخصيا . . . واجتمع كبار الضباط فوراً لمناقشة هذه المشكلة الهامة : -

قال أحدهم - يا حضرات هذه امانة لا تفتقر هل نحن شحاتون . . . الفرخة على عشرة . . . أنا راى ان ترفض أكل الفراح . . . وصفق له الحاضرون وهتفوا . . . فلتسلط الفراح الاسرائيلية . . . قام آخر خلال الهاتف . . . حاول أن يرفع صوته قائلاً : . . .

اسمعوا من فضلكم . . . لو رفضنا الفراح بماذا ستفطر . . . واحنا ناس صايمين . . . أنا من راى ان نطلب زيادة الكمية . . .

- رد الآخرون : . . . - مستحيل سيوفضون . . .
- نعمل مظاهرة . . . ونضرب عن الطعام . . .

- لسه قاتلين اثنين من كام يوم .. واحنا قربنا نروح بلدنا ..
- بلاش مشاكل ..
- ناكل الذى مع الفراخ .. ونتركها لتعفن فى حللها ..

واخيرا تقرر أن يشكل وفد يطلب مقابلة قائد المعسكر للتشاور معه ليحفظ لنا كرامتنا .. وخرج الوفد .. ومن حوله الضباط يؤيدونهم .. ويرجون لهم التوفيق .. ووقف الضباط قريبين من الاسوار والبوابة منتظرين ما سيحدث .. وبعد نصف ساعة عادوا يسيرون بسرعة ونشاط .. ووقف الضباط عندما رفع أحد أعضاء الوفد كفه بعلامه V أى انتصربنا .. وعندما فتحت البوابة حمل الضباط أعضاء الوفد على أكتافهم وذهبوا الى حجرة للرئاسة ليقف أقدم الضباط خطيبا ..

أولا : يا حضرات الفرخة مش على عشرة الفرخة على ثمانية ..

ثانيا : واضح ميقدروش يزدوا المدد أو يخيروه باللحمة لانه انتصرف وهم عندهم روتين زى عندنا بالضبط ..

ثالثا : هذا هو التعيين الذى يصرف للمجندي الاسرائيلي المعادى حسب قوائم التعيين وبالنسبة للفراخ كبيرة شوية ..

رابعا : وهو الاتفاق .. اتفقنا .. وسكت قليلا .. وتعلقت الاعين به لتعرف الحل رغم كل هذه الاعتراضات ثم اكمل .. ان نصف الناس تاكل اليوم .. والنصف الآخر ياكل فى وجبة الصرف القادمة .. وبهذا الشكل تصبح الفرخة على أربعة ..

كان لشهر رمضان طعم آخر فى الاسر .. فلقد كنا قد قاربنا الوصول الى الشكل المطلوب أن نكونه أى تم ينجاح الانتقال بنا من مرحلة كسر الانسانية لمرحلة التشكيك فى أنفسنا ومجتمعنا ثم انتقلنا الى مرحلة استقبال افكار جديدة وآراء جديدة .. ولم يبق الا مرحلة الصداقة أو الذكري الحسنة .. لذلك فلقد تحول المعسكر فعلا فى النهاية الى معسكر جواله أو اصطيف • أسرة نظام عليها والحبس لا يزيد عن ساعات معدودة .. كنا نحشر فيها فى غرف بعينها عشرون أو ثلاثون أسيرا .. حول أحدهم يبنى أو مسرحا للعرائس .. أو مسرحية أو بارتيتة بوكسر أو نوبة .. أو حلقة ذكر .. وتشتعل لفافات الدخان .. وتحمر الاعين من السهر .. وترتفع الضحكات .. وفى بعض الاحيان - التشنجات والذهنات ثم يوزع السحور كميات كبيرة وجيدة من الجبن والزبادى والمربى والعص .. ونسهر حتى الفجر نتجول فى المعسكر نتكلم .. أو نجرى تحت زلزال المطر الخفيف نلعب كالاطفال .. وتقام صلاة الفجر باحتمال يقسم أغلب مسلمي

العسكر وفي هذه الايام أحضروا لنا منضدة للبنج بونج .. وشبكة فولى بول وكرات ففتحنا مباريات البنج بونج لليوم التالى .. لنفهم ساعات قليلة نقوم منها للتلعب البريدج والبوكر والفولى بول ونغسل ملابسنا .. ونقرأ بعض القصص التى جاءتنا من مصر .. سواء فى طرود خاصة أو عامة .. ويقوم بعضنا للاستجواب الذى لم يعد يشد اهتمامنا كثيرا .. ثم نستمتع لمحاضرة أو فيلم سينما أو نحضر ندوة من الندوات ويتكرر اليوم .. الآن اتخيل أنك تسألنى وماذا كنتم تقولون فى نوباتكم؟؟ سأمص عليك منها .. فى أحد هذه الندوات كان موضوع الحديث التطور ..

- هناك نظريتان يحكمان تفسير الحياة على الأرض .. النظرية الاولى تقول أن الحياة خلقت كما هى الجبال كما هى والبحار كما هى .. والمخلوقات كما هى .. لم يحدث عليها تغيير .. والنظرية الثانية تقول بل الحياة متحركة متفاعلة متطورة ولا وجود للثبات الجبال لم تكن بهذا الشكل منذ مليون سنة ولن تصبح بهذا الشكل بعد مليون سنة أخرى والبحار واليابسة والموجودات الحية على الأرض لم تكن بهذا الشكل ولن تكون فهى فى حالة تطور وحركة مستمرة على مر الزمن ..

- بالطبع النظرية الاولى هى السليمة .. فهذا يتفق مع الكتب السماوية ..

- ولكن النظرية الثانية تتفق مع العلم .. وما دما نتكلم كلاما علميا فلنترك جانبا الى خد ما الحياتات ونتكلم حسب النظريات العلمية ..  
- لا .. احنا مسلمين أو مسيحيين ولنا دين ..

- يا أخى انت ضابط مدفعية عندما تكوس رياضة أو نظريات الميكانيكا اتسأل الاول هل هذا يتفق مع الدين أم لا ؟؟

- الكلام ده تخريبي .. انت مخرب هل معنى ذلك أنك تكفر بالاديان ..

- لم أقل هذا وانما قلت عندما تكون الكلمة للعلم فلنتفق على أن يكون محور حديثنا ومراجعنا هو النظريات العلمية .. وتعالى الاصوات تسكته ..

- لكن من أين جاءت الأرض .. وما عليها ..  
- يعنى انت عايز توصل أن الانسان كان قردا ..  
كان هناك سديم .. انفجر ..

- وقبل هذا السديم ماذا كان ..

- وتقبل وجود الله ماذا كان ؟؟ سنصل الى مجهولين .. وبالقالي  
فعلينا ان نؤمن بالموجود ...

- طيب .. طيب انقل .. الارض موجودة حتى ظهر الانسان ...  
- انا اسف يا جماعة بهذه الطريقة لا استطيع ان اكمل .. فلنكلم  
في موضوع آخر ...

- هل تريد ان تحجر علينا نقول ما نريد ونحن نستمتع لك فقط ..  
تعلم الديمقراطية ..

- الديمقراطية هي ان تتركني اقول وجهة نظري حتى النهاية .. ثم  
تقول انت وجهة نظرك أيضا حتى النهاية ... وعلى كل منا الا يتعصب  
لراية ويحاول ان يقتنع ..

- اكمل ... اكمل ... نحن نريد ان نسمع متى ظهر الانسان على  
الارض ....

- ظهر الانسان في نهاية تطور طويل وصل الى ملايين السنين ..  
فمنذ كانت الحياة نبضة صغيرة حتى أصبحت نبضات في الماء تنمو لتصبح  
خلايا فاميبيا .. وتطور الاميبا لتصبح جسد الملكة الحيوانية وثبتت  
أخريات على الشاطئ مكونة الملكة النباتية .. ثم تتطور الاميبا الحيوانية  
الى اسماك كثيرة فحيوانات برمائية .. فزواحف فطيور فثدييات وتفرغ  
من الثدييات عائلات كثيرة .. كثيرة .. حتى نجد القرد الانساني الاورانج  
أوتان .. والغوريلا .. والجيبون .. والشمبانزى ومنه عائلتان احدهما  
تخط فتصبح قرود .. وعائلة أخرى تستعمل أصبعها الخامس فتمسك  
بالادوات وتنتصب لتسير على رجلين فتكبر رأسها .. ويكبر عقلها فتزداد  
التجاويف في مخها ويزداد بذلك عدد الخلايا المفكرة .. ويصبح بذلك القرد  
الانساني .. انسانا ... بالعمل وبالانتصاب واقفا وذلك خلال حلقات  
طويلة قد تستغرق كل حلقة آلاف السنين ..

- اولا ... قصة انه كلما كبر المخ زاد الذكاء هذه غير حقيقية ..  
فلا علاقة بين كثرة التجاويف والذكاء ...

- مستحيل بل هناك علاقة سببية حقيقية لو راينا مخ قرد ومخ  
انسان سنجد أن مخ الانسان انحاءاته أكثر وتجاويفه أكثر ..

- انا اتحداك .. لا علاقة بين الخلايا وبين مقدار الذكاء ...

- احنا بنكلم بالعلم الآن ملكش حجة ..

- هل تذكر سلسلة التطور هذه ...

- بالطبع .. الان أصبحت كلها مخلوطة وبها سلبيات وفرغات  
كثيرة .. وهي نظرية لا علمية ..



- الم تدرسها في كليتكم ...  
- لا .. لا ندرس هذه المغالطات ...  
ولولا أن الحراس أنقذوه بفتح الابواب لتطورت الفتوة الى معركة ولكن  
سلم الامر ...

ممس في أذننى ...  
- اليوم عنقنا ...  
- لماذا ... ؟؟  
- عنقنا العقيد فلان سيفغنى  
- عقيد يغنى ...  
- صوته رائع .. أغانى عبد الوهاب القديمة ...  
- عقيد ... عقيد ...  
- عقيد احتياط كان في معهد الموسيقى العربية .. وعند اللوات  
ضاغطين عليه لدرجة انه فعلا يقول عايز اتعد معاكم ...

في المساء كنا حوالى الثلاثين .. نجلس في دوائر ضيقة جدا حول  
منضدة أمامها عقيد كبير السن أبيض الشعر أبوى الملامح .. وبعد ما أخرجنا  
ما عنقنا من سجاثر محترمة .. وتبادلنا بعض النكات .. وقفل علينا  
الحراس الباب .. ابتدا في الغناء .. صوت هادى ممتلىء بالشجن  
والتطريب الشرقى ..

ياوابور قولى رايح على فين ... ياوابور قولى وسافرت منين ...  
وأشعر أذننى انتقلت لعالم آخر .. بهت الثلاثون رجلا قاعا من  
حولى .. وبهتت صورة العقيد ولم تبق الا ذبذبات حلوة متتالية متلاحقة  
تستقبلها أذننى فتنفجر بداخل عقلى بواكين وانفعالات وأصواء مشبعة  
حلوة .. يعقبها .. أحزان دفيئة عمرها آلاف السنين ورثتها عن أجدادى  
عنما كانوا يلتفون حول ناي أو مزمار حزين في ليلة من الليالى القمرية يعثون  
بشوقهم وحزنهم وتهرمهم ...

الورد جميل .. جميل الورد .. الورد جميل وله اغصان عليها يميل  
من .. وأسرح واضغط على شفتى السفلى .. وأخرج عليه السجاير  
المسيلتونة وأشعل سيجارة يلتصق بطرف لسانى جزء من الخان فابصقه  
محاولا الا يلتصق بقفا زميل جالس أمامى .. يا جارة للوحدى طربت وعادنى  
ما يشبه الاحزان من فكراك .. ما هذا الحزن .. عيناه تمتلئان بالدموع  
صوته يهتز .. رائع .. صوت رائع .. ينثر حوله موجات من الشجن

في فجر طاقات حزن على وجوه سمراء ٠٠ وصفراء ٠٠ امضها الارهاق والجوع  
والحزن ٠٠ والذكرى ٠٠ وتنتهي ليلة من احلى ليالى حياتى ٠٠ ممتعة ٠٠  
ممتعة ٠٠ كما لو لم اكن اسيرا ٠٠٠

قال احدهم - عندما يقفل علينا الباب اعود ثانيا للقاهرة بين مجموعة من  
الاصدقاء ٠٠٠

- متى نعود ٠٠٠ متى نعود ٠٠٠

- طالت المدة كثيرا ٠٠٠

- هل سندفن هنا ٠٠ يا دنيا ٠٠ يا حياة ٠٠ ياهواء ٠٠

- اريم ان اتلفس ٠٠٠ آه ٠٠٠

لقد تعودنا على هذا النمط من الحياة ٠٠ بل لقد خدث ما هو اعجب من ذلك ٠  
لقد كسر الضباط ابواب وحوايط دورات المياه والمنشآت الاخرى وعملوا دوابب  
وترايبزات ٠٠ وكراسى ٠٠ وقطعوا البساطين وعملوا منها جاكيتات  
وبلاطى ٠٠ وشنط ( هاند باج ) ويمر شهر رمضان سريعا ٠٠ تأقلمنا ٠٠  
تيلدنا ٠٠ لم تعد تؤثر علينا اشاعات العودة التى كانت تتكرر كثيرا ٠٠  
وصلنا لاتفاق ٠٠ واتفاق ٠٠ وصلنا لاتفاق ٠٠ ارسلنا ٥٠ اسيرا لمصر  
هدية بمناسبة العيد ٠٠ لكى نظهر حسن نوايانا ٠٠ هل معقول هذا الكلام  
٥٠ اسير هدية ٠٠ لماذا ٠٠ ؟ من الابله الذى يستطيع ان يصدق هذا  
الكلام ؟ ٠٠ انها محاولة لاثبات ان المفاوضات المباشرة خير وسيلة للوصول  
الى حلول ٠٠ لقد ارسلنا العميد فريد مع الاسرى عندما سيصل الى القاهرة  
محملا براينا سيتفاهم مع المسئولين وسنصل لاتفاق برجوعكم ٠٠٠

ليلة العيد ٥٠ اسيرا فعلا يحملون مهماتهم ويتحركون في طوابير  
متجهين الى القاهرة ٠٠ نرقص نضحك نغنى ٠٠ لأول مرة تصدق الاشاعة  
٠٠ يحتضن بعضنا بعضا ولكن ٠ قد يتفقون ٠ وقد لا يتفقون ٠٠ يصرغون  
لنا علبه جبنه بيضاء وعلب فول وعلب مربى كانت قادمة من مصر والمفروض  
انها كنا سنستهلكها خلال شهر رمضان ٠٠ كميات هائلة من الاكل  
اصبحت لدينا ٠٠ الصليب الاحمر يحمل لنا هدايا ٠٠ بطانية صوف وحلوى  
٠٠ وسجائر سويسرية ٠ لم تبق الا ايام ٠٠ من يعرف ٠٠ ؟ ٠٠

الله اكبر ٠٠ الله اكبر ٠٠ لا اله الا الله ٠٠ الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا  
٠٠ وسبحان الله بكرة واصيلا ٠٠ لا اله الا الله ٠٠ صدق وعده ٠٠ وفى  
عهده وهزم الاحزاب وحده ٠٠ اصوات قوية ٠٠ قوية ٠٠ تتصاعد ويمتلئ  
المسكن بترنيمات العيد ٠ يتوافد الضباط ٠٠ يجلسون فى صلوف ٠٠ الاصوات  
تعلو لا اله الا الله ٠٠ اللهم صل على محمد ٠٠ وعلى آل محمد ٠٠

اليهود يتجمعون حول الاسوار ينظرون لنا يصرون الصلاة بالكاميرات  
وبالسينما اصوات قوية تملأ عقليتي .. اليوم عيد .. الاغاني طول اليوم  
.. على بلد الحبوب وبنيني زاد وجدى والبعد كاويني نخرج بطاطينا  
ونجلس نقششمس .. اليوم سمينتي شمس الاعداد .. يوزعون علينا  
دفعة من الخطابات والطرود القادمة من القاهرة .. وتبدأ فترة جديدة  
.. مرحلة جديدة من حياتنا في الاسر .. بعض جرائدنا نستطيع تهريبها  
مع الطرود .. قصة ايلات .. ضرب مدينة المنطرة .. مقال لمحمد عودة  
يدعو فيه الى الصمود واستمرار النضال ..

محاضرات الصفرة النهائية .. تركيز على ثلاث نقاط  
تريدنا ان نحملها الى القاهرة .. السلام .. المفاوضات  
المباشرة .. التقليل من قيمة العمل الفدائي والحرب .. من سلال كمية  
هائلة من الدموع يخرفها الحاضر السجان الاقوى مسترحما المسجون  
الاضعف .. اقرب الطرق للوصول الى عواطفنا بدون المرور على العقل .. نحن  
رجال سلام .. السلام امنية حياتنا .. فهو مسيحيح لنا الفرصة  
لان نعمل .. لان نفتح .. لان نعيش .. نريد ان تخرج اطفالنا من الخنادق  
ثم تهديد سنحارب حتى نحقق السلام ..

وطريقتهم للسلام المفاوضات المباشرة .. ( الجلوس على مائدة واحدة )  
على حد تعبيرهم .. وخلال هذا الكلام على ان انسى ان اسرائيل  
انشأتها بريطانيا .. عندما كانت اعنى دول الاستعمار العالمى .. وحافظت  
عليها امريكا عندما انتقلت لها زعامة المسكر .. وكان مندوبوها يتفاوضون  
مع النازي فيما لو انتصر النازي .. وسيتفاوضون مع الشيطان لو أصبح  
حاكما لاقوى دول الاستعمار في العالم .. وكان عادة ما تربط احاديث السلام  
.. بعبارة صغيرة « احنا ائمنى منطقة في العالم .. عندنا البترول والقناة  
والثمن والرجال والموقع .. نحن بخيرتنا ورموس اموال اقاربنا يهود العالم  
الاغنياء .. وانتم بموانكم الخام وايديكم العاملة .. تعيش في سلام واكتفاء  
ذاتي » .. اما العمل الفدائي .. والحرب ..

العمل الفدائي عمل طفولي .. غير مجد .. والحرب مستحيل انشاء  
جيش في اقل من ثلاث سنوات هذا ليس رأيا .. انه رأى اكبر المعلقين  
المسكربين في العالم الجيش ليس دبابة فقط .. الانسان الذى يحرك الدبابة  
يحتاج الى ثلاث سنوات تدريب وخبرة .. الطيار والطيارة .. وعموما انهم  
يمثلون قوة لا تقهر واسلحة سرية لم تستعمل في حرب يونسو لان الاسلحة  
التقليدية أدت دورها .. هكذا يقولون .. لقد ادار النصر السريع رموسهم  
وهم مستعدون لتحدي الاله اذا حكم قهدهم رغم كميات البكاء الهائلة ..  
وابتدأت الاستجابات تأخذ شكلها النهائي .. فاكتمالا للشكل السياسي

اجروا لنا اختبارات قياس الذكاء .. وتجارب على جهاز كشف الكذب ..  
وتصنيفات للمجتمع .. اعمال المهندسين .. الزراعيين .. التجاريين ..  
الفلاحين العمال .. طرق المعيشة في مصر .. الترفيه .. الكباريهات ..  
السينمات .. اماكن التجمع .. المناهج الدراسية في المعاهد المختلفة  
والكليات ..

- متى تستطيع ان تصمم منزلا ...

... ..

- هل تعمل مساعدا لمهندس لفترة ...

... ..

- كم اجرک في بداية تخرجک ...

... ..

- كيف تزيد مرتباتکم ...

نم كيف تكتب خطابا مسجلا .. كيف توصل الطرود ...

ما رتبك .. ٩٩ عبد الناصر ماذا كانت رتبته عندما قام بثورة ٥٢  
بعد حرب ٤٨ .. ٩٩ ثم سمحوا بأن تتم زيارات بين معسكر القادة ..  
ومعسكرنا .. كل قائد سلاح او ضابط كبير حضر .. ليرى رجاله وثارث  
من جديد اخبار الحرب .. تصوروا .. لقد وجدوا كتيبة دبابات سبئالين  
في خنادقها كاملة بعد شهرين من انتهاء الحرب .. وكانوا يعجبون لماذا  
تركوا هذه الدبابات .. لقد انتهى الاتحاد السوفيتى الحرب العالمية بها .. ونحن  
تركناها في خنادقها ..

وفي الاذاعة .. كاسترو يشيد بشجاعة الجندي الاسرائيلي في الحرب

.. !! .. توسع حجم التبادل التجارى بين اسرائيل ورومانيا .. ١ ..

ومكذا ول نهاية المدة صبح المثل الذى يقول .. كل من يزرع يحصد  
.. وكل من يخطط بدقة يصل الى ما يريد .. وهكذا نصل الى شكل كان  
في يوم ما بعيدا كل البعد عن التصور .. ولكنه كان نتاجا لما خطط  
له بدقة شديدة .. لقد استعمل الاسرائيليون ما يسمى بالحرب النفسية  
لعمل غسيل مخ او فرض ارادة .. ولقد نجح يهود اسرائيل في النهاية  
للموصول الى ما يريدون .. لم يعودوا اعداءنا .. اعتدنا عليهم .. وعرفنا  
مزاج كل منهم .. قائد المعسكر .. امزاجى المستول عن التعيين .. اهرور  
كبير المستجوبين .. الحراس .. اصوات المنيعات في الاذاعة الداخلية ..  
بل والجمال العبرية التى ينفقونها .. السجائر التى يذخرونها .. والفوارق  
بينها .. طريقتهم في التهفقه والتهديد .. الاخبار السارة والاخبار السيئة

على وجوههم .. الاغراب بينهم زوارهم الاجانب .. ومن الناحية الاخرى  
تأكدوا من انفسنا أصبحنا مسلمين مستسلمين لقرنا وحياتنا  
ولم نعد نفكر في الهروب أو الاعمال العنيفة .. أو حتى ابداء الامتناع  
أو الكره .. فخفت الحراسة .. وأصبحت صورية .. وزيدت مدة الخروج  
خارج الحجرات .. وتبادل الحراس والاسرى بعض النكات .. ولم يمتنع  
احد لهذه النكات فهم آدميون .. بل أطلقت النكات عن تصورنا السابق  
لليهودى ذى الانف المعقوف والشعر المنكوش .. وأصبح بعضهم لا يخجل  
من أن يقول صديقى المستوجب قال .. وتبدلت الهدايا الرمزية .. وأصبحت  
المسألة مسألة وقت واجراءات تمطلها الحكومة المصرية ثم ترحلون لاهاليكم  
. ولم نسمع الاصيحات ليلية تقول يا امزراحى خضر السندوتشات .. ليذا أنا  
بالرحيل .. لقد نضجت الطبخة : .. ولم يبق الا أن يتذوقها الشعب المصرى  
الكريم الذى لا يحمل له الشعب اليهودى اى ضغينة أو حقد .. سيرسل  
اليهود خمسة آلاف وخمسمائة سفير لهم محملين بأفكارهم وتصوراتهم  
ينشرونها فى اعماق مصر ومدنها .. وأصبح رجال المخابرات الاسرائيلية  
فى منتهى السعادة .. لقد استطاعوا أن يقدموا عملا طيبا .. لقد غسلوا  
من خمسة الاف وخمسمائة حائد متوتر بكرهم وحولهم الى خمسة الاف  
 وخمسمائة سفير لهم يستطيعون الاعتماد عليهم الاعتماد الكامل .. ولم يبق  
الا الوجه الاخير .. التلميع النهائى .. قبلما يدخلون الامتحان .. وبعدها  
.. ستنفجر هذه الالغام .. حاملة افكارهم داخل الشعب المصرى .. وعاصرت  
هذه الايام نشاطا ملحوظا .. انتهى بأن جاء موسى ديان ليرى بنفسه ما فعله  
رجالنا .. وأعضاء من الكنيسة ومدير الاذاعة الاسرائيلية للشعب العربى  
( وهو مدير المخابرات السابق ) ورجال الاحزاب المختلفة .. كل بكلمة ..  
وكل بمحاضرة .. وكل بسلامات .. وكل بقبلات واختفت الرشاشات ..  
واصوات الطلقات .. اعتقد انكم فى شوق لتعرفوا ماذا قال موسى ديان  
ساقص .. كان يوما من ايام شتاء يناير .. الامطار تضرب اسطح المباني  
بشدة ... البرد شديد .. المعسكر تحول الى بحيرة .. جلسنا فى حجراتنا  
فى حبس اختيارى نلعب البريدج والبوكر وندخل السجائر ونطم بالعودة  
.. استدعونا .. مجموعة من القيادات وبعض الرواد وقليل جدا من الضباط  
الصغار جلسنا فى قاعة واسعة .. الميكروفونات الكثيرة فى صحن القاعة ..  
معد كبير من الضباط يزوحون ويجيئون ... قائد المخابرات يعلن علينا بأن  
السيد الوزير سيزورنا اليوم .. رجل طويل أبيض ذو عصابة سوداء على  
عينه يرتدى ملابس مدنية بسيطة بنظرون فائقة رمادى فاتح وياكلت شمواه  
اخضر زيتونى .. وقميص أبيض بدون كرافت .. حركاته خليط من الاعتقاد

بالنفس ومحاولة التبسط ٠٠ ليس مرعبا او مخيفا يتكلم الانجليزية بلهجة  
او كسفورد ٠٠ ابتدا يتكلم بلغة عربية ركيكة ٠٠ « انا لا اعرف العربى  
كويس حتكلم انجليزى هل تحتاجون المترجم » ٠٠ قال المترجم سيادة الوزير  
بيقول انه لا يعرف العربية ٠٠٠ فضحكنا خجل المترجم وسكت ٠٠ قال كلاما  
كثيرا يدور حول الثلاث نقاط السابقة : السلام والمفاوضات المباشرة ٠٠  
وعدم جدوى الحرب ٠٠٠ ولكنه فى النهاية اطلق قنبلة دعائية ٠٠ فقال ٠٠  
اينا اعرف انكم رجال عسكريون ٠٠٠ والرجل العسكري ينفذ الاوامر ويستعدون  
ليلاذكم ٠٠ وسيامرونكم بالحرب ضدنا ثانيا ٠ لن الومكم على هذا ٠٠  
بل اتمنى لكم حظا احسن فى المرة القادمة وأن تؤدوا واجبتكم بطريقة افضل  
ر ٠٠٠٠٠ وسكت قليلا بين علامات الدهشة ثم استطرد ٠٠ ولكن اذا حاربتمونا  
٠٠ فسنحاربكم واذا اعتديتم علينا سنقاوم ولاخر رجل ٠٠ واعتقد انكم  
لا تستطيعون أن تحرمونا حقنا فى الدفاع عن انفسنا !! ٠٠ بالمنطق المطلوب  
٠٠٠ اصبحنا نحن المعتدين ٠٠ نحن الاسرى الذين حاربناهم ولذلك حضرنا  
الى هنا ٠٠ نحن الذين يتسببون فى الحرب ٠ وهم مجرد مدافعين ٠٠  
عن انفسهم ٠٠ ولكن رياضيين مثله ولا نمطه من الدفاع المشروع عن النفس  
٠٠ هكذا ٠٠ وهكذا هو المنطق الاسرائيلى ٠٠ وهذه هى دعايتهم ٠٠ وهذه  
هى طريقتهم فى التأثير على الاخرين ٠٠ كلمات معسولة منطقية منمقة رائعة  
ولكن عند تطبيقها تتحول الى رصاص ونوم على الارض وجوع وتشرد وقنابل  
ونابالم ٠٠ وتهديد بأسلحة اكبر واقتوى واكثر تقدما ٠٠٠

بشرنا لقد نجح العميد فى أن نصل الى اتفاق عن طريق المفاوضات ثم  
اعلنا رسميا باننا سنعود الى مصرنا ٠٠ وقسمنا ثلاث دفعات ٠٠ وابتدأت  
بشائر العودة تظهر ٠٠ ولناخذ يوما من هذه الايام ٠٠٠  
عقليت الساعة ٧ صباحا ٠٠٠ أحد ايام شهر يناير ٠٠٠

- المطار ينهمر بشدة ٠٠٠
- ثلاثة ايام بهذا الشكل ٠٠٠
- المفروض الدفعة الاولى تمشى بكرة ٠٠٠
- يقولوا الهواء قفل الطريق بالرمل فى سيناء ولذلك ستتأجل ٠٠
- حتى ربنا بيحاربنا ٠٠ حتى الطبيعة ٠٠٠
- عندما يوافق المصريون ٠٠ يرفض اليهود ٠٠ عندما يوافق اليهود ٠٠ يرفض المصريون ٠٠٠
- يارب بس احنا عملنا ايه ٠٠٠
- لا تتعجلوا كله بامر الله ٠٠ من تحمل مائتى يوم ٠٠ يستطيع أن

- أن يتحمل يومين زيادة .
- لا مش مثنان . مثنان وثلاثة وثلاثون . . . أنا كاتبهم خلفي
- في الخريطة . . كل يوم اشطب عليه . . .
- شفت الحريقة دى . . .
- ايه الحكاية ٥٠٠ الى
- جمعوا السجائر اليهودى الى صرغناها من اسير ووضعوها فى كوم
- ثم حرقوها . . .
- لا يصح هذا . . سيغضب الناس . . ماذا يقولون عنا . . ؟؟
- يا اخى قول لهم يبطلوا لعبه العيال بتاعهم . . . .
- نسيت عندما كدت أن تموت من أجل واحد منها . . . .
- خلاص خنرج للكيلوباترا واليلمونت . . . .
- شفت موسى ديان قال ايه . . .
- آه . . فى منتهى الذكاء . . رجل معقول جدا . . مش زى خنفرهم
- . . . . حنضربهم . . . وحنزربهم فى البكر . . . .
- شفت كان لابس ايه . . . !!
- شيك جدا . . مش زى الصور اللي بتترسم له . . . .
- احنا يا سيد كنا مغمضين . . انت تعرف ايه عن العالم الخارجى . . .
- كل معلوماتك عن طريق الجرائد والمجلات والاذاعة . . وكلها ههنا
- عمل غسيل مخ لك . . . .
- أنا مش فاهم ليه احنا بالذات بلدنا مقفلة كده . . شوف عنا
- مليون راى ومليون واحد يتكلم وكله بيقول . . هل يعطلمهم هذا . . .
- بالعكس جملهم أكثر تقدما . . .
- عملت لى الشنطة بتاعتى . . . .
- هات البطانية وأنا اعملها لك . . . .
- إما شفت حنة شنطة فى الاوده . . رائعة . . من الفوط والبطاطين
- ومنجدة بالخشب والقش . . . .
- يا جماعه حرام عليكم تقطعوا البطاطين بتاعة الخلق . . خلقى
- عندكم اخلاق . . .
- أنا شخصيا عملت من البطانية صدىرى يخفىنى مش شنطة . . . .
- انت عندك ٤ شنط اعطينى واحدة . . .
- العميد عبد العزيز طالب واحدة جيعتها له والباقى على قد مهماتى . . .
- صعم لى بادج أحطه على الشنطة . . بس ألوانه من الخيط اللى
- فى الفوطه دى . . .

- اصوات من الخارج تعلو .. في غناء ...  
والنبي يابه .. قولى لابيويه .. يعينى ريسال .. او قصص ريسال  
.. اشترى ...

- آيه ده ... III

- شوف عاملين ازاي رابطين الفوط حول رموسهم وشايلين الرائد  
بهام وعاملين يرفوه ...

- اصله من الدفعة الاولى يا بخته ...

- تهريج .. فرحانين قوى .. والله اليهود بيضحكوا علينا .. بتي  
ده رائد بالنم لو واحد من اللى بيهللوا حواليه خدم معاه بعد كده  
خيممسل آيه ...

- ياعم خلاص .. انت فاكرفيه واحد من دول ينفخ يخدم في الجيش  
بعد كده مستحيل تفضلوا في القوات المسلحة ...

- تحصل والله .. انت عارفهم بيذكروا ازاي .. اذا كان سبونا عنا  
شوف قد آيه علشان ثلاثة جواسيس ولا أربعة .. الإرفنديون  
مشبوا .. واحنا كرامتنا لا تسمح بمبادلة خمسة الاف وخمسمائة  
مصرى ... بثلاثة جواسيس ..

- الفطار يا سادة ..

- افتح لنا علبتين قول يا هلال .. وعليه الربى خلصت افتح واحدة  
ثانية ..

- السخان خسر .. سخنهم في الوده .. سخانهم كويس ...

- اشتريت البطانية دي بكام ..

- بقاروصة كيلوبترا ..

- آيه رايك بطانية كويسة ...

- انت عارف انها اسرائيلي .. اشتراها الصليب الاحمر من هنا ...  
فضل عندك كام عليه سجائر سويسرى ...

- ثلاثة .. ومجمع الباقي .. الحقيقة سجائر ممتازة بدلتها  
بسجائر كيلوبترا ..

- الشمس طلعت .. آه الحمد لله .. خللى الطريق ينصف  
ونسافر ...

- انت عارف اني خايف ارجع ...

- انا كمان عندى الاحساس ده .. بس مش عارف ليه ٩٩ ...

- مش عارف اذا كنت حقدرا عيش هناك .. ام لا .. لا .. كيف  
سيستقبلوننا في مصر .. هل سيعاملوننا على اننا مصدري  
خطر .. على اننا جواسيس ...



- انا خائف من نفسي .. لقد أصبحت فنى .. يخيّل لى اذنّى
- ساكل حتى أموت من التخمّة .. ولا السجاير .. ولا النسوان ...
- نرجع بس .. وبعد ذلك نموت نعبا فى وسط اهلينا ...
- وصرحت .. ترى ماذا يحدث فى بلدنا حقا .. هل انفسجتنا
- التجربة ؟ هل تخلصنا من عيوبنا ؟ .. هل هزتنا
- الهزيمة من جثورنا .. لا بد وأن يزور التغيير قد نصجت ..
- بالتأكيد .. ما علينا الا المشاركة الآن .. لا بد وأن يزور التغيير
- قد نصجت .. لم يبق الا المشاركة ..
- آخر الاخبار يا حضرات .. ابتدأوا فى اصلاح الطريق .. والدفعة
- الاولى بعد يومين .. ثم الثانية والثالثة مباشرة ...
- من قال لك ..
- سمعت فى الاستجواب .. الاسماء قد جهزت .. وانا فى الدفعة
- الثانية ...
- وانا والنبي ...
- معرفش .. لم يقل لى غير ما ظنّته ... ؟!
- اول م حوصل .. ساجرى الى منزلنا ...
- لا ياعم هناك معسكر فى المعادى ينتظر ك .. للاستقبال ...
- المعسكر فى الهاكستب .. قالوا لنا ...
- وما الذى ادراهم ...
- لا يخفى شىء عنهم .. تصور بيقلوا انهم بيعملوا هناجر طيران
- فى الماظة وفى المقطم وعلى طريق القاهرة الاسكندرية الصحراوى ...
- تفكر متى سيفتقرون من اصلاح الطريق ...
- يومين ثلاثة ...
- انتم تصلحونه فى يومين ثلاثة .. اما هم فيصلحونه فى ساعتين
- ثلاثة .. فاكروا سير المياه فى بئر سبع ...
- طيب يا سيدى يارب ...
- عايزين نلعب بارتيته بوكر ...
- فى مصر بقى بالفلوس .. والله م حد حيشوفكم ...
- نبقى خايفين العيش والملح .. معقول الواحد ينسى الايام دى ..
- او ينساكم ..
- نشرة الاخبار ...
- هو يارنج اللى حيحلها .. بس على الله م نجمدش مخفا ...

- المفروض أن تحلل ٠٠٠ يكفى هذه السفين ٠٠ فهم لا يريدون

سنياء ١٥٠

- يقولوا جيمعوا دولة فلسطين من غزة والضفة الغربية ٠٠ ويتركوا

لها ممرا في وسط اسرائيل ٠٠٠ على شرط أن تكون منزوعة السلاح ٠٠٠

ويمكن تدخل في اتحاد فيدرالي مع اسرائيل ٠٠٠

- لا التي سمعته انهم عايزين يعملوا من الاردن واسرائيل ولبنان

اتحاد فيدرالي ودولة واحدة ٠٠٠

- وهل يرضى بهذا ٠٠ هل تستطيع أن ترفع رأسك ١٥٠

- بطلوا الانشأ دى التي طلعت غينا ٠٠ لا ترفع رأسك

ولا تنزلها ٠٠ السياسة منح يا سيد ٠٠ هم وفناش في داهية

الا الشعارات الجوانا بقاعنكم دى ٠٠٠

- سامع الضحك ١٥٠

- في مسرح المراكيس ٠٠٠ تعال نتفرج ٠٠٠

- سامع الاغاني ٠٠٠

- يا امزاحى اعمل السندوتشات يقى ١٠٠ ها ١٠٠ ها ١٠٠ ها ١٠٠

- للليلة فيه حقة سهرة في الاوده (١) ٠٠

وهكذا كانت تمر الايام الاخيرة والملاحظة اختلعت المواعيد ٠٠

فأصبح السهر طول الليل والنوم نهارا وقد يمر يوم أو يومان ولا ننام سوى

ساعات قليلة ٠٠ الارق ٠٠ الدخان أحلام اليقظة الخوف من قوى مجهولة ٠

وكنا قد استوعبنا الدرس ٠٠٠ لقد كانت الحرب التي خضناها ضيع

اسرائيل ضوءا أحمر يضئ لنا ليشعرنا أننا نعيش في مجتمع متخلف حضاريا

وان للطرف الآخر استعمل أقصى الاشكال العلمية تطورا للقتال وأهمها كان

التطبيق العلمى للحرب النفسية وهو السلاح الفاصل الذى انتصروا به في

حرب ١٩٦٧ ولقد طبقوه علينا نحن الاسرى أحسن تطبيق ٠

وكان علينا أن نواجه العذاب ٠٠٠ لقد صبغونا بصورتهم وتركونا بين

أهالينا ٠٠ نشعر بأننا خوفة منفصلين مصبوغين تردد دعاية العدو ٠٠ وبين

ما تعلمناه طول حياتنا قبل الحرب وما أملى علينا كنا في صراع وتمزق وهو

الشكل الذى عدنا به الى وطننا ٠

# الفصل الخامس

## رحلة العودة

فقلت لكم الفصل السابق من مذكرات صديقنا كما هي تماما .: واعتقد انكم ستلاحظون الفرق بين طريقته في كتابة ذلك الفصل وحواره معنا في الفصول السابقة .:

لقد ظل على هذه النغمة العنيفة والحادة المقلثة بالكلمات المتضخمة عن الامبريالية والحرب الشعبية وما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة .: وخيانة البرجوازية والصراعات الدموية .: والبيروقراطية والكومبرادورية .: كلمات لا اعرف من أين استعارها .: والشئ الغريب أنه كتب هذا في تقرير عن التمييز الطبقي في القوات المسلحة واثره في الهزيمة العسكرية والتف حوله عديد من الافراد يقرأون ويتكلمون ويلعنون .: وأصبح صديقا لعديد من الشباب المنتشرين في الجامعات يكتبون مجلات الحائط ويتجمعون في المدرجات ويصعدون المنشورات وينظمون المظاهرات ويستقزون كل من حولهم .: بل كان يمكنك مشاهدته في مثل هذه الاجتماعات يرقب .: ويتكلم .: وفي بعض الاحيان ينفعل ويسخط .: كان يرى أنه لابد وأن تقوم حرب شعبية تمهيد الجماهير .: وتحركها .: وكان ينتقد بكل شدة أي تعاون أو تراخ يراه حوله .: حتى الطبيعي .: ويثور .: ويسب في بعض الاحيان لاسباب قد تكون قافهة .: وأحب كثيرون وتحاشاه كثيرون .: حتى أكتوبر ٧٣ .: زوجه في منزله يوم السادس من أكتوبر .: وجوته قابعا امام التلفزيون يراقب الاحداث بصمت .: سألته عن رأيه .: كان متحفزا .: لا يستطيع أن يتحمس .: ولا يستطيع أن يرفض ولكن بعد يومين كان ثائرا للغاية .: لماذا .: لماذا لم ننفع حتى المرات انها الحد الأدنى للدفاع .: بغير الوصول اليها .: لا يمكن الدفاع عن شريط رفيع من الارض .: لقد فقدنا بذلك العمق الاستراتيجي .: وبعد ذلك بأيام .: رأيت هائلا .: قال .: لم نكن نستطيع فعلا أن نفعل أكثر مما كان .: لقد كانت الدبابات الأمريكية تنزل من الطائرات مزودة بالقنود ومعمرة بالذخيرة ومستعدة للاشتباك .: ولو وسعت المسافة بين

الجيشيين كان من الممكن استخدام الاسلحة النووية .. ثم لانت لهجته ..  
وأبتعد أو تباعد عن اصحقائه .. وغرق في تفكير عميق لعدة ايام .. ثم  
قال .. معركتنا الان أن نعمل .. أن نتقدم .. أن نتعلم .. أن ندأوى  
الجراح وننطلق .. وشعرت انه كان بحاجة لانتصار حتى يتوازن نفسيا ..  
وعندما توازن ابتداً يفكر بشكل متحضر .. لا يحبذ سفك الدماء  
والتمهير .. وأنما يتطلع لمستقبل يبني فيه الوطن بجهد حقيقى لابنائيه  
لامتلاك لغة العصر وأدواته الحضارية ...

اليوم سيرحلون .. اكيد .. لا شيء اكيد فالشهور التسعة الماضية  
شككتهم في كل شيء .. ورغم أن كل الظواهر كانت تدشرمهم بالمودة الا أن  
شكهم كان أقوى ... رجت الامانات .. والسندوتشات أعدها امزلهى  
وتفاصيل اعدادها عندهم اولا بأول لقد كان يقسطح الخبز الى شرائح  
وبالفرشاة المغسوة في المربى اى الجبن يطلى وجهها من وجهيها .. ومن  
خلال راديو رد مع الامانات استمعوا الى اذاعة القاهرة .. كان جسده  
يرتجس مع سماع الكلمات « هنا القاهرة » رغم البلوفر الجديد الذى أرسلته  
له أمه والفائلة الصوف التى أرسلتها حكومته ..

وانحبست الدموع في عينييه كلما تفكر انه بعد ايام سيكون طليفا في  
شوارع مدينته وبين أهله .. يستمتع بدفء الشمس .. وسحر النيل ..  
ويزاول حياته فيستطيع أن يذهب الى السينما أو المسرح أو الكازينوهات  
واستكثر على نفسه كل هذه السعادة .. حمام دافئ .. وأكل نظيف .. وسرير  
منظم له وحده .. ترى هل سيوجعون ... مستحيل لماذا كل هذا العذاب ..  
ولماذا تركتموهم كل هذا الزمن .. الوجوه حوله متوترة .. ائتمسات ..  
ضحكات يشوبها القلق والترقب .. الخوف من المجهول .. أصبح طابعا لجميع  
تصرفاتهم .. لو حدث اى عامل جديد يغير الموقف .. كان يسد الطريق  
أو تدخل الحرب .. أو يختلفوا فلن يتحسبوا الموقف .. يجهمون  
بباطينهم ... وأوانيهم لتسليمها .. يعدون شغلهم .. لقد أصبح لديهم  
حصيلة من الممتلكات سواء ما وصلهم عن طريق الصليب الاحمر أو ما اعتبروه  
ملكا لهم .. الاسرائيليون يبتسمون يردون عليهم الابتسامة بمثلها .. قامت  
بينهم عشرة طويلة الرائد صفوت يسلمه لفاتة بها بيانات منمصلة  
عما حدث .. عدد مرات الاستجواب .. المحاضرات التى ألقيت سلوكيات  
الافراد .. خاف أن يحملها فيفتشوه ويحصلوا عليها ..

يضيعون الوقت بالحركة .. يدخلون بشراسة .. لا يأكلون .. الجو  
جميل أشعة الشمس رائعة تحتفل بهم .. أغاني أم كلثوم .. على بلد  
المحبيب ودينى .. يحاولون أن يلعبوا كوتشينه .. لا يستطيعون ..

ب- أحدهم يسأل ... مستعد تحاربهم تانى ..

- معرفش .. جليز .. لا .. معرفش ..

يجل الظلام .. انه أطول يوم في عمرهم .. يجتسم عندما يتصور أن  
يوما من عمره القصير المحدود يرجوه أن يتحسرك وينتهى ويتلفس  
متسائلا .. ترى كم يوما من عمره قضاء في الانتظار وتمنى أن ينتهى !!  
ترى هل سيعيش بعد ذلك أياما يرجوها أن تبطل في سيرها وهل سيستطيع  
تمويض هذا اليوم الذى مل انتظار نهايته .. وتشرد أفكاره .. فلم يعد  
يستطيع أن يقودها .. هل هناك يوم حلو .. ويوم مر .. وما المقياس ..  
وما هى السعادة .. أين هى .. متى .. وكيف .. !! هل رجوعه لوطنه  
هو السعادة .. أم هروبه بعيدا عن رعب الموت ورعب الخلل والسجن  
والغرف وقسوة الحياة .. ترى كيف سيستقبلونه ؟؟ هل القضاة والأهل  
والمنازل والأطفال والحائق والشوارع والحياة بنفس الشكل الذى تركها  
عليه ؟؟ مستحيل بعد حرب انهزم فيها الجيش الذى لا يقهر واهتز الزعيم  
الذى لم يهتز أبدا أن تبقى الأشياء كما هى .. هل واجه الشعب نفسه ؟  
هل تغيرت المقاييس أو على الأقل بذرت بذرة التغيير ؟؟ كيف تلقوا ذبأ  
الهزيمة ؟؟ ما الذى دفعهم للخروج يوم ٩ ، ١٠ يونيو ؟؟ هل غيرتهم  
التجربة ؟؟ هل لا يزال الفلاحون يبثرون الحب ولا يكثرثون بما يدور  
حولهم ؟ ماذا يقال لهم ؟ وما تفسيراتهم ؟ أى الأفلام فى دور السينما ؟ هل  
استعاد مجلس الأمة سلطاته التى قدمها هدية ؟؟ الجيش !! أين هو الآن ؟  
هل استعوض سلاحه ؟ وهل يتم تدريبه ؟ هل مازالوا يطلقون البروجى  
للواء عند دخوله المعسكر وترفرف الاعلام فى مقدمة عربته ؟؟ هل تغيرت  
الوجوه ؟ هل سيقابلونهم بالترحاب أم بالحذر والخوف ؟ كان يتجول فى  
حجرات المعسكر بدون هدف .. بعضهم كتب شعارات الثار على الحوائط ..  
عائذون لفلسطين .. لن ننسى شهدائنا ..

الظلام يحل .. لم يعد انذارا بدخول العشب .. أصبح ابذانا  
بالرحيل .. جبل الكرمل فى قمة جمالة .. الاشعة الحمراء والبرتقالية  
والصفراء الناتجة عن الغروب تلقى ظللا طويلة عليه .. والمصابيح الصغيرة  
المتناثرة قتالا فى وسط خضرة زيتونية رائعة .. نسمة هواء باردة  
منعشة ..

ينادون عليهم يتجمعون فى صفوف كل منهم يتسلم بطاقة يتجه  
الطابور عبر الطرقات الضيقة يهرون على معسكرات مهجورة كانت مكان  
الجنود تصدر منها روائح كريهة ناتجة من طفح المجارى وتكوم الزباله  
الضباط يتدافعون لتكون لهم اولوية النحول للاتوبيس المتدافعون يدخلونهم

لآخر الاتوبيس يركب صديقنا آخر الضباط يجلس في أول كرسى . . . نفس المكان الذى حضر فيه الى بئر سبع . شعور مكبوت لا يستطيع تحديده . . .  
 المستأثر تسدل . . . ولكن من فتحة صغيرة يستطيع ان يشاهد عربة جيب فوقها لبة تنبيه زرقاء تجرى بجوارهم وحذائهم . . . ثم تسرع لتسقيهم وتبطل . ليسبقوها قول الاتوبيسات يتحرك . . . ها هم في طريقهم الى وطنهم الحارس فقد قوتره . . . يشرب خمرا من زجاجة صغيرة ويقضم سندوتشا . . . يتكلم كلاما غير مفهوم رغم انه باللغة العربية عن معاملة اليهود ورائهم في الحرب ومتى سيعيشون في سلام . . . وأنه يريد ان يترك السلاح ويرقص . . .  
 أصبحوا في غزة . . . الشوارع خالية . . . يقوم بالحراسة في نقط المرور فتاة حلوة . . . ترتدى زيبا باناقة وتحمل السلاح . . . اثار الهمد واضحة على المنازل . خان يونس . . . ولحج . . . مبنى اشرف على اقامته يشد انتباهه وحدة صحية سابقا . . . أصبحت ثكنة عسكرية مرفوع عليها العلم الاسرائيلى . . . نوافذه مكسرة . . . يشعر كما لو كان قد ترك في الاسر ابنا له . . . الاتوبيس يمر سريعا . . . طالما عبروا هذا الطريق محملين ببضائع غزة . . . الشيخ زويد لديه ابن آخر هنا يبحث عنه حتى يجده وحدة صحية اخرى لم يتمها . . . وها هي مكتملة . . . ولكنها محبوسة . . .  
 العريش . . . عاش فيها لمد طويلة في خداعة تخرجه . . . كان مهندسا للاسكان والمرافق بها . . . وله ابناء كثيرون وتوقفوا امام واحد منهم مدرسة الصناعات . . . نزلوا من العربات لقضاء حاجتهم اخرا فتركها في سيناء . . . وكلمته الارض . . . وكلمه المبنى . . . كانوا يبيكون . . . استنجحوا به . . . ودار بينه وبينهم حديث طويل . . . حديث عن ومن الارض المحبوسة . . . وود لو بقى . . . وود لو عاد مهندسا يبنى ويخطط ويعمر . . .  
 ولكن صوت الحارس كان اعلى من صوت الارض . . . كان عليه ان يغادرها . . . على امل . . . وظلر الحجر وهم يسيرون على طريق العريش - القاهرة اطلت الشمس من بين النخيل . . . طالما اطلت عليه في عربته العسكرية اثناء المناورات . . . او عربة الاسكان وهو يخطط لبناء جديد . . . كان يجب ان يراها دائما من هذا المكان . . . وكان يود دائما ان يرقد لآخر عمره على الرمال البيضاء الشديدة البياض بشاطئ العريش . . . تحت نخلة . . . ترعى حوله الماعز في سلام . . . انتهى آخر ليل يقضيه في الاسر . . . وشعر بانقباض ترى حل هم متجهون فعلا للقاهرة ام سينقلونهم لمسكر آخر . . . وهمه هذا الخاطر حتى انه لم يودع ابنا آخر له في بئر العبد حيث كان يشتري السمك البورى المشوى والسمن . . . الاعراب يلوحون لهم . . . وهو لا يستطيع ان يقف ليناصلهم في ثمن البورى والبيض والسمن . . . الاعراب

يشيرون الى انواهم .. جيع .. ترى من اين ياكلون .. وكيف  
يتكسبون من قوات الاحتلال .. المثلث .. من هنا الطريق للفتنة يسرفه  
جيدا .. هنا كشك المرور .. ولكن لا وجود له الان .. للتحصينات  
العسكرية تملأ المنطقة .. ما هم قد وصلوا القنطرة .. هذا الطريق يوصل  
الى الجمرک .. او ما كان جمرکا .. هنا كانوا يضعون ايديهم على قلوبهم  
حوما من المغالة في الجمارک .. والان تنق قلوبهم فبلهم على بعد خطوات  
العربات تقف في قول واحدة خلف الاخرى .. والحراس يلتقطون  
للصور التذكارية .. هنا القاهرة .. « الناس والثناء » ويستمعون بشغف  
للبرنامج رجل عجوز من أهل القنطرة يركب حمارا ويضع على ساعده علامة  
رجال الامن .. عجوز يريد ان ياكل .. العربات تتحرك وتعود بالاسرى  
اليهود .. واحدا في كل عربة .. شعرة طويل .. خفنة كثيفة ..

وتذكر عندما سأل سكرتير حزب المباى عن عدد الاسرى اليهود فقال  
سترونهم عندما يتم التبادل وتعرفون انهم لم يتجاوزوا العشرين .. العربة  
تقترب من المعينة .. مبنى الجمرک تحول الى مركز قيادة مرفوع عليه العلم  
الاسرائيلى ويتحرك منه واليه عدد من الجنود والمجنذات الاسرائيليات ..  
ثم تستدير العربة لتقف .. لا يصدق نفسه الشاطئ الاخر ها هو واضح ..  
لا يصدق .. جمهور من مصورى التليفزيون والمصورين الصحفيين يلتقطون  
لهم الصور .. يزم شفتيه يتماسك من أجل المصورين .. لنش من هيئة  
القناة يقوده مصريون .. يخطو داخل اللنش .. لا يستطيع ان ينظر خلفه ..  
صباحات التهليل والسلامات من اليهود مع السلامة مع السلامة ..  
شالوم .. يجلس على فكة في مواجهة شاطئنا كلما كان قريبا من شاطئ مصر  
كلما كان أفضل .. مازال متماسكا .. زاما شفتيه .. الارض المصرية تحت  
قدميه .. جنود بملابس الشرطة العسكرية المصرية .. لواء مصرى سمين  
يقف لتحيتهم .. الحمد لله على السلامة .. كيس به سخوتشات .. عليه  
سجائر زجاجة كوكاكولا .. اهلا .. ما اسمك .. يبكي بشدة لا يستطيع  
ان يمنع دموعه .. انهار التماسك التمثيلي .. يبكي على حضن امه ..  
منا يستطيع البكاء .. ولاول مرة .. احدهم يربت على كتفه .. مملش ..  
يبكى ..

احدهم يساله .. ماذا تريد .. ؟

- اريد نظارتى ..

- امين هى ..

- اخذها اليهود منى يوم قبض على .. آ

وحتى الآن مازال صديقنا يبكى كلما قص علينا هذا الموقف لقد أهدته  
عائلته عشرات النظارات واشترى عشرات أخرى على أحدث طراز ٠٠ ولكنه  
كلما تذكر نظارته يبكى ٠٠٠ لقد كان دائما يعتبرها الشيء الشخصى الذى  
سرق منه ولم يستطع أن يدافع عنه ٠٠٠ حتى ولو بكلمة احتجاج ٠٠ كان  
يردد دائما ان افسى درجات المهانة أن يغتصب شخص ما اشياك أمامك  
ولا تستطيع الاحتجاج سواء كان هذا الشخص عدوك ٠٠ أو من بنى وطنك  
٠٠ أو غريباً وحتى الآن مازال يستفزه جدا لو مد أى شخص يده الى شيء  
يخصه واخذه دون اذنه حتى ولو كانت سيجارة من علبته ٠٠٠٠

ركبوا اتوبيسا آخر فى طريقهم الى القاهرة ٠٠ كان يرافقهم رائد بحرى  
٠٠ وأمطره زملاؤه بأسئلتهم ٠٠ اما هو فقد كان يبكى ٠٠  
٠٠٠٠ - كيف حال الجيش ٠٠

- عال عظيم

- ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ دموع ٠٠ دموع

- ما قصة الباخرة ايلات

- ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ دموع ٠٠ دموع ٠٠ القاهرة ٦٠ كيلو متر

- ردت لنا ثقتنا زوارق الطوربيد ٠٠

- ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ دموع ٠٠ دموع ٠٠ القاهرة ٥٠ كيلو متر ٠

- كيف كنا سنقتصر ٠٠ هل هذا معقول

دموع ٠٠٠ دموع ٠٠٠ القاهرة ٢٠ كيلو متر

وتظهر مشارف القاهرة ٠٠ المصانع ٠٠ المطار ٠٠ الطريق للكلية الحربية

- الى أين ٠

- الى الكلية الحربية ستقضون بعض الوقت هناك ٠

- ككثيرا ٠

- لا من أجل الخجر الصخى فقط ٠٠٠

وهكذا وصلوا الكلية الحربية ٠٠ وتفتت الخابرات الاسرائيلية انكرة  
الى الخابرات المصرية مجموعة من الرجال المزفين أجريت عليهم  
تجارب الحرب النفسية الحديثة ٠٠ ألقت فيها الخابرات الاسرائيلية بكل  
ثقلها فى مجالتهم ووثقت مما فعلت ٠٠

وابتدا الجانب الآخر يتعامل بحذر مع طرد المتفجرات القادمة له من  
الشاطئ البعيد ٠٠٠٠



الكلية الحربية من الباب الخلفى ٠٠ ضباط من دفعات الاسرى السابقين  
يجلسون يستمعون بالشمس ٠٠٠

فرقة موسيقى الجيش تقف في الفناء في مواجهة المبنى تعزف  
« يا حبايب بالسلامة ٠٠ رحتم ورجعتم لنا بالسلامة ٠٠٠ »  
« الله أكبر ٠٠ الله أكبر ٠٠ الله أكبر فوق كيد المعتدى »  
« بلادى ٠٠ بلادى ٠٠ بلادى ٠٠ لك حبى وفؤادى »  
الحموع لازالت تملأ عينيه ٠٠ جسده يهتز بشدة ٠٠ يشعر بالقشعريرة ٠٠  
٠٠٠ تفضلوا يا حضرات ٠٠ فوق من فضلكم ٠٠ الحمد لله على السلامة  
٠٠٠ تفضلوا يا حضرات فوق  
٠٠٠ تفضلوا يا حضرات  
٠٠٠٠٠ تفضلوا ٠٠٠٠٠

عندما حضر صديقنا للعلاج بالمستشفى لأول مرة ٠٠ تعاملنا معه كحالة  
خاصة جدا ٠٠ كان هادئا منطويا على نفسه ٠٠ يرفض الخروج من المستشفى  
حتى ولو لنزهة قصيرة ٠٠ كان يتكلم عن الوحوش بالخارج في الاتوبيس  
والشارع والمنزل والعمل ٠٠ وكان لا يقبل العلاج ٠٠ فلقد اكتشفنا بعد مدة  
انه لا يتناول الاقراص المهدئة الا ليللا ٠٠ عندما ناقشته في ذلك ٠٠ كان  
رده انه ليس مريضا بل نحن المرضى لاننا لا نستطيع ان نرى ما يراه  
الاعمى بوضوح ٠٠ القيادة لم تتغير حتى القيادة التكتيكية ٠٠ ولازالت  
تتخط بنفس الدرجة ٠٠ والتعليمات المهزوزة والمزودة لازالت ٠٠ ونحن  
بتحرك نحو كارثة لا يستطيع ان يشارك فيها على الاطلاق ٠٠ وفي نفس  
الوقت لا يستطيع ان يتاومها لذلك فهو يفضل ان يبقى بين الجانبين في مستشفى  
عن ان يعيش هؤلاء الخطرين المطلق سراحهم أعداء أنفسهم وأعداء البشر ٠٠٠  
وكان لا يفعل شيئا الا الاسترخاء والقراءة والاستماع للموسيقى  
وفي بعض الاحيان الحديث مع المرضى باهتمام شديد ٠٠٠

ولقد قمنا بعلاجه بطريقة حديثة كانت تطبق لأول مرة بالقولت المسلحة  
٠٠ وهى طريقة المجموعة ٠٠ أى تجميع عدد من المرضى ثم ادارة حوارات  
منظمة بينهم وتصحيح الاتجاهات الفكرية وتنمية رغبتهم في الحياة بزرع  
الامل والحب والاهتمام بالآخرين ليحصلوا حبا واهتماما ٠٠ وتحسن وعاد  
الى عمله في وحدة جديدة من الوحدات التى انشئت بالقوات المسلحة  
من المتعلمين وخريجي الجامعات ٠٠ كان سعيدا بوحدة الجديدة ٠٠ وكان  
يقول لأول مرة أقف امام طابور لا يوجد به اذى واحد ٠ وكان قائد وحدته  
الجديدة حكما ٠٠ عندما تقابلا لأول مرة فاجأه صديقنا بأنه لن يهمل ٠٠٠

ولن يشارك في جرائم قتل الأبرياء عن طريق قيادة ممزقة .. فطلب منه الآخر أن يبقى في حجرته ويكتم بمساعده في ارشاد هؤلاء الصغار قليلى الخبرة حتى يصلب عودهم .. فقط الارشاد .. استخدمه كاستشارى .. وبمرور الوقت اندمج في الحياة الجديدة ووجد صدى لجهده .. كان يحاول أن يصب في رجاله كل خبرته السابقة وأعطى لوحده كل وقته وجهده .. والتف حوله الشباب .. كانوا يحبونه ويحترمونه الى درجة كبيرة .. وتكونت واحة وارفة الظلال داخل صحراء حياته ... خاف عليها ودافع عنها بكل قوته .. حتى كان يوم .. صدرت الأوامر فيها للجيش بالانتشار وسط المدنيين وفي الشوارع والحقول وانتكست حالة صديقنا .. أصيب بالرعب كان يقول ان القيادة لا تدري ماذا تفعل وسيغرقون جزيرتى في بحرهم الفاسد .. وعاد إلينا في المستشفى أكثر ثورة وتوترا كان يقول هل فقدت مصر كل رجالها الأكفاء .. الا يوجد الا هذا ليصبح وزيرا للحربية ومائدا للقوات المسلحة كان يحمل بغضا متزايدا لقيادته وعدم ثقة في قدرتهم .. وبالتالي لم يكن أمامنا الا عرضه على القومسيون الطبي .. في ذلك اليوم دخل علينا متوترا للغاية كانت كفاه تنضخان عرقا غزيرا .. وكان قلبه يدق بسرعة .. وعيناه غير مستقرتين تماما .. وكان لا يزال يتكلم عن الوحوش والغابة بكلمات غير مترابطة وكان يقص علينا أحلاما كابوسية عن الطوفان والزلازل والبراكين .. وقرر الأطباء عدم صلاحيته للخدمة العسكرية لاصابته بعصاب حرب مزمن .. ثم أحيل الى المعاش بعد ذلك بأيام ٢٠١٠

فدافعوا الى النبر الطويل المرصوص به أسرة ذات حورين .. على كل سرير بيجاما وافرول .. وغيار داخلى .. وزجاجة كوكولونيا .. وعدة خلاعة .. وعلبه سجائر صغيرة ..

وطلب منهم خلع ملابسهم وارتداء الملابس الجديدة وبمعرفة تمهيدا لحضور مؤتمر مع السيد اللواء صادق مدير الخابرات الحربية ..

وكان أخذ الضباط يتحرك بينهم يسألهم هل مع احكم نقود كثيرة .. وبالطبع أجاب بأن معه مائتا جنيه تخص كائنتين الوحدة استطاع الاحتفاظ بها فطلب منه الاحتفاظ بها حتى يمر عليه بمكتبه لتسليمها ..

ذهبوا الى مكان المؤتمر خيمة كبيرة بها مناضد وكراسى ودكك وفي نهايتها مكتبة وبيك آب واستوانات وسماعات .. للقاعة مضاءة اضاءة قوية ويقف في صدرها امام الميكروفون لواء طويل أصلع يتكلم ...

— اتفضلوا .. الحمد لله على سلامتكم ..

— مساء الخير يا حضرات .. الحمد لله على سلامتكم .. كنا في شوق اليكم وكنا نتمنى أن تكونوا بيننا من مدة طويلة .. الأوراق التى امام سيادتكم

نحن آسنون بطلب كتابتها بسرعة .. ولكن عندما تقرأونها ستعرفون مدى أهميتها وستقدرون سبب سرعة طلبها .. أرجو أن تملأوها بعناية شديدة ودقة .. بكل ما لديكم من وطنية .. بكل ما لديكم من حب لبلدكم نرجو أن تكتب بصراحة مطلقة لكي يمكن الاستفادة منها .. أكتب كل شيء .. لا أتترك شيئا .. لأن نحاسبكم على أي تصرف مادمتم تكتبونه في هذه الورقات خلص نفسك .. وامسح جميع أخطائك .. بالكتابة بصراحة ..

أوامر السيد رئيس الجمهورية والسيد وزير الحربية بالا يحاسب احكمكم على ما فعل مهما كان مادام قد أخطى بمعلوماته في استمارة البيانات .. أرجوكم لا تتركوا شيئا .. سوف نملأ الاستمارة الآن لكي تكون الوقائع لازالت ماثلة في أذهانكم .. كلما انتهينا سريما كلما كان في مقورنا أن نسمع لكم بالخروج والعودة لئلا نلزمكم ان شاء الله .. نقرأ البيانات مع بعض ..

الاسم : بالطبع اسم سيادتكم تكتبه في الخانة الفارغة امامه السن : الزمنية من العنوان .. بالطبع عنوانك هنا في مصر .. او في البلد التي حقتضى فيها أجازتك .. المهمه اذا كنت سيادتكم احتياط او لك شغل آخر ...

باقي البيانات ... وحتك .. بالطبع قبل الاسر .. انا بتكلم وانتم بتكتبوا ... معانا ...

بيانات عن الاسر : متى ؟ أين ؟ كيف ؟

بيانات عن التصرفات : من حاول الهروب .. من تعاون مع العدو .. هي مش فتنه يا سادة او عمل لا أخلاقي أن تقول ولكن المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار تأكدوا يا حضرات اننا لن نحاسب ايا منكم على ما حدث هناك .. كل منكم يتكلم بصراحة .. نحن نعلم انكم كنتم بين أيدي العدو .. وكان من الممكن أن تفعلوا أي شيء ولذلك نرجوكم الكلام بصراحة ..

أي ملاحظات لك انعام رحلة العودة : اكتب في الخانة القادمة أي معلومات تحب أن تكتبها يوجد ورق إضافي فارغ لتكتب فيه اذا لم يكن الورق كافيا نرجو الا تهمل أي شيء مهما كان صغيرا .. كل شيء سنستفيد به خلاص .. كل واحد من فضلكم يحضر لنا الورقة هنا .. لا تخرجوا يا حضرات ستعذبوا قليلا .. عشر دقائق .. احضرنا لكم فيلما ظريفا سيقشاهدونه في الصالة السفلية .. اما العشاء وتناول الطعام فسيكون في هذه الصالة .. احنا هنا رجالة بلدكم .. وبفعل المصلحتكم ولحمائتكم وكما قلت من قبل لن يحاسبه أي فرد على أي عمل بدر منه في الاسر الورق هنا يا حضرات .. اتفضلوا .. خلاص كل الورق موجود هنا .. نتكلم في موضوعنا الآن .. ثانيا : -

الحمد لله على السلامة .. البلاد كلها مصر .. الجيش .. السيد الرئيس  
والسيد الفريق يهنئونكم بسلامة الوصول وان شاء الله بعد ما تستريحون  
قليلا سيحضر سيادة الفريق فوزى للقائكم نحن نعلم جميعا أننا قد خرجنا  
من شكسة وهزيمة عسكرية لكن الحمد لله الشعب في الداخل والجيش على  
الحدود اخذا موقفا صلبا ومنعا الهزيمة من ان تصل الى اهدافها .. العدوان  
كان موجها للحكم اساسا وبالتالي في عدم سقوطه عدم تحقيق لهدف العدوان  
.. اعرف انكم لديكم أسئلة كثيرة وانهم قالوا لكم معلومات كثيرة عن الفوضى  
بالداخل والانهيار الاقتصادي والحمد لله انتم شفتهم خلال حضوركم ان  
الجيش صامد يحتل مكانه والحقيقة ان هناك رخاء اقتصاديا بعد الدعم العربى  
لمؤتمر الخرطوم .

كيلو اللحمة النهاردة بستين قرشا . وجايز بخمسة وخمسين ومتوفر  
في السوق ... حقيقى بعد الفكسة مباشرة زادت الاسعار قليلا .. ولكنها  
عادت لما قبل يونيو ٦٧ .. والحمد لله حققنا الصمود العسكرى واظنكم  
تعرفون قصة المحمرة ايلات .. بعد العدوان مباشرة كما قال سيادة الرئيس  
كان الطريق مفتوحا للقاهرة .. لا يوجد جندى واحد قادر على الحرب ..  
اليوم الحمد لله الجيش صامد .. وكل ما نرجوه ان تتعاونوا معنا .. الجهاز  
تغير .. الجيش تغير .. القيادات أصبحت أصلب سيادة الفريق فوزى  
سيادة الفريق عبد المنعم رياض وقيادته التى تكلم عنها العدو قبل الصديق  
في الاردن .. الغلطات القديمة تم اصلاحها وحدثت تغييرات كثيرة ان شاء  
الله سوف ترونها عندما تعودون الى وحاتكم .. لا اريد ان أثقل عليكم ..  
ويمكنكم ان تسالوا أى أسئلة .. لا تخافوا .. ها اتفضلوا .. ايه مفيش  
أسئلة ؟؟

.....

المشير انتحر .. اخذ مواد سامة .. والنائب العام قرر انه  
لا يوجد فعل جنائى

.....

كانت هناك مؤامرة فعلا بعض الضباط رجعوا من سيناء خافوا  
من المحاكمة وهم امام محكمة عسكرية عاجلة ...

.....

الاسرى فعلا اليهود اقل من عشرين .. لا .. لا .. لم ناسر اواءا ..  
كاملا كانوا من الضفادع البشرية وبعض الطيارين .

.....

- أيوه ضربوا الزيتيه . . . . . والآن هناك تهجير لاهالى مدن القنال . . . . .
- الجماهير خرجت تنادى ببقاء الرئيس يوم ٦ و ١٠ يونيو . . . . . أيام خالدة . . . . .
- لن يحدث لكم أى شىء . . . لن يفصل أى اسير . . . وستعودون بعد إجراءات بسيطة . . . كلما تعاونتم معنا كان ذلك أسرع . . .
- بالمناسبة وفد منكم سيزور مقابر الشهداء . . . باكر . . . استريحوا . . . نحن فى خدمتكم لا مقابلات مع المدنيين وأرجو الا تخرجونا . . .
- كل واحد له عشرة جنيهات من التأمينات هدية من السيد حسين الشافعى نحن اخوانكم حاولوا مساعدتنا . . . . .
- توجد ترتيبات للمحافظة على الطيران ولن يتكرر ما حدث ثانية . . . . .
- القيادة كانت مهزوزة وحدث ارتباك لها . . . . .
- اليوم احسن بالطبع . . . لا . . . لا تخافوا . . . زملاء لكم يقومون بواجبهم على الحدود بمجهود فوق طاقة البشر . . . . .
- نعم كل ساعة طائرة محملة بالسلاح فعلا . . . لقد كان موقف الاتحاد السوفيتى مشرفا . . . . .
- . . . . .
- لم تضربنا الطائرات الامريكية ولكنهم كانوا مستعدين لدخول الحرب لو انتصرنا تصبحوا على خير . . . أيوه البقرول زى ما هو سنأخذ ثمنه لفشتري به سلاحا . . . . .
- كل الدول العربية موقفها مشرف . . . تصبحوا على خير . . . الحمد لله على السلامة عارفين انكم تعبتم . . . وصلتنا اخباركم . . . اعمال عظيمة حقا . . . كلنا فخورون بموقفكم هناك . . . حاضر . . . حاضر . . . تصبحوا على خير . . . العشاء بعد نصف ساعة . . . تقدرنا سيادتكم تنتفضلوا . . .
- كان صديقنا يراقب بالندهاش . . . لم يكن قد استوعب بعد انه لم يعد فى عتليت . . . ولم يفهم لماذا العجلة الشديدة لهذا المؤتمر . . . كان يشعر بان هناك شيئا غامضا فى البطء الشديد الذى تكلم به اللواء فى بدايه الحديث

ثم السرعة الغربية التي كان يرد بها في نهاية الحديث هل تعرف احساسك عندما تقف امام حاوي يخرج الارانب والحمام من اماكن غارقة او لا يمكن تصديقها .. ولكنك امام الحمام الذي يطير لا تستطيع تكذيبه وفي نفس الوقت تشعر انه قد ضحك عليك كان هذا شعوره .. ولم يبدأ الا بعد أن عرف السبب عندما عاد الى العنبر الذي ترك فيه أشياء البسيطة فوجد انهم قد فتشوا كل شغلهم وأخذوا ما بها .. بداية غريبة لعدم الثقة .. تركت لديه شعورا بالمرارة والرغبة في عدم التعاون مع هذه الاجهزة البوليسية التي لازالت لا تحترم أبسط حقوق الانسان وأهميته .. وتآروا جميعا .. شعروا بالهانة لقد استولوا على خطاباتهم وسجائرتهم .. أدوات الحلاقة .. الملابس .. الاحذية .. حتى السجائر السوبرى التي أهداها لهم الصليب الاحمر وسجائر الكليوباترا .. بعد أن دبروا الهاءم في هذا المؤتمر واستسلموا اهكذا المخابرات في أى مكان ٩٩٩

وانتشروا في العسكر يكتشفونه .. بعضهم عرف أن الفيلم الذي سيعرضونه هو السمان والخريف .. وآخرون اكتشفوا انهم قد أعدوا لهم تليفونا للاتصال بأهلهم وأحدهم جاء يحمل قصة غريبة .. لقد وقف الدكتور قدرى يصلى جماعة .. وفجأة بدلا من أن يركع وقف يخاطب ربنا .. ليه كره يا ظالم !! هو ده عدلك آ وأخذ يهذى بكلام غريب حتى نقلوه للمستشفى .. وخاف كل منهم على نفسه أن يفقد عقله وأبدأوا بنصخون بعضهم بعضا لا تنضب الدنيا لا تستحق .. لقد انهينا أصعب مرحلة .. الحمد لله .. كان من الممكن أن تموت في أى مرحلة من المراحل السابقة ..

وقف أحدهم يتكلم مع أسرته من خلال التليفون .. كان منفعلا الى درجة كبيرة وهو يخاطب الطرف الآخر ..

- أنا ياستى جوزك ورجعت

- .. .. .

- ايه نسييتنى ولا ايه !!

- .. .. .

- مش متجوزة يعنى ايه !! أمال أنا ايه ..

- .. .. .

ياستى أنا رجعت مصر .. أنا بكلمك من مصر ..

ثم التفت باستسلام للآخرين وقال .. تصوروا قفلت التليفون في وشى وضج الجفيع بالضحك وقف خجلا يرجوهم أن يسمحوا له بمحاولة أخرى .. لعلها تتصور أنه يعاكسها ..

- الو ٠٠ انت قفلت ليه ٠٠ انا جوزك ورجعت .

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- رجعت من الاسر ٠٠ انا في الكلية الحربية ٠٠

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- نمره كام ٠٠ ٩٩

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- ياسقنى دى نمره بيتنى ٠٠ هم غيروها ولا ايه اا

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- اناى نمره بيتكم من خمس سنين ٠٠

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- طيب متأسف ٠٠٠

وقف بجوار الحائط يفكر ٠٠ ثم صاح ٠٠ آه ٠٠ لها حق ٠٠ تصوروا

نسيت نمره بيتنى

قرب نهاية فترة الاسر تبادل الاصدقاء ارقام تليفوناتهم ٠٠ وخاف هذا الصديق لحرصه على نفسه واسرته أن تتشع هذه الارقام في ايدى الاسرائيليين ٠٠ فتقلب عقله الباطن على عقله الواعى بأن غشه واعطاه رقما خاطئا ٠٠ حتى اذا وقع هذا الرقم في ايدى عدوه نجا هو ٠٠ وظل محتفظا بهذا الرقم في ذكرائه متخيلا أنه الرقم الصحيح حتى أنكرته زوجته ٠٠ وقد يكون خوفه من مقابلة عائلته بشخصيته المزقه الجديدة هى السبب فى انه اخطأ رقم تليفون منزله ٠٠

ذهب صديقنا لمشاهدة « السمان والخريف » منذ مدة لم يشاهد فيلما ناطقا باللغة العربية حتى قبل الحرب ٠٠٠ قصة الفيلم تشد انتباهه لها ٠٠ فالتمزق الذى يعيشه بطل الفيلم هو نفسه تمزقه ٠٠ ووحل ما قبل الثورة هو نفسه الوحل الذى عاد منه ٠٠٠ يبيكى ٠٠ الحرب التى فى نهاية الفيلم تترك شعورا بعدم الراحة لديهم ٠٠ بعضهم لا يفهم الرمز فى الفيلم بعودة بطله الى تمثال مسعد زغلول ٠٠ يفعل يفسر لهم تمثال مسعد رمزا لنقام الوفد وثوريته ٠٠ وهو يعود له دائما عندما يشعر بالتمزق أو التناقض ليستمد منه المزاء ٠٠

- آه زى الرمز الى خرج من اجله شعب ٩ و ١٠ يونيو رافضا

الهزيمة

- تمام ٠٠٠

وضع الاكل على بوفيه العشاء بكميات كبيرة جدا ٠٠ لحوم ٠٠ فراح  
٠٠ كشك ٠٠ ارز بالكبد والكلاوى ٠٠ ومطبوخ بشكل جيد ٠٠ كانوا جوعى  
منذ تسعة اشهر ٠٠ آكلوا بشراة مرعبة ٠٠ كان كل منهم يود لو كان لديه  
أكثر من فم وأكثر من معدة ٠٠ علق احدهم فى النهاية ٠٠ أجمل ما فى هذا  
العشاء ٠٠ اننى لن اغسل الاوعية بعد ذلك ٠

هكذا انتهى يوم رحلة العودة ٠٠ رأوا فجبره فى مخرج  
او مدخل العريش تظهر شمس من بين النخيل الكثيف تشهد  
الى متى يظل الانسان داثبا على ظلم أخيه الانسان يقتله ويسجنه  
ويعذبه وينفيه ويحمره ٩٩ ٠٠ وانها ليلة فى معسكرات الكلية الحربية ياكلون  
بشراة منقطعة النظير اكلا معدا بصورة جيدة وبكميات كبيرة ومتنوعة ٠٠  
والاهم انهم لن يغسلوا الاواني بعد الطعام ولن يتمم عليهم الجنود الاسرائيليون  
ويقفلوا عليهم الابواب بالاقفال ولن يستيقظوا باكر على صوت المذبحة  
الاسرائيلية الساعة شيش بمعنى الساعة السادسة ٠



## الفصل السادس

### مصر

لقد كانت فترة الحضارة التي قضاهما أصفناؤنا في الكلية الحربية فترة لازمة وضرورية لعمل نقله موضوعية لهم ٠٠ والا خرجوا للعالم كالوحوش ورغم ذلك فلقد اكتسب صديقنا بعض العادات التي مازالت تصاحبه حتى الآن ٠٠ فهو لا يتحرك أبدا إلا ومعه أكثر من علبة سجائر ولا يعتبر نفسه قد تناول طعاما إن لم يحتو على كميات غير طبيعية من اللحوم ٠٠ ولا يستطيع أن يقاوم زجاجة مياه مثلجة ومغبشة من فعل الرطوبة خاصة لو كانت برتقالا أو ليمونا ٠٠ وهكذا حياتنا جميعا أغلب عاداتنا اكتسبناها في ظروف ومناسبات قد لا نذكرها ٠ واثرت هذه العادات على شكله وسلوكه وعلاقته بالعالم فصديقنا الذي كان رياضيا لا يزيد وزنه عن الستين أبدا ٠٠ أصبح نتيجة لشهره انسانا سمينا ذا كرش متوهل ووزنه يزيد على الثمانين ٠ أكثر غرابة علاقته بالجنس الآخر ٠٠ علاقة حسية شرهة لا تصل التغيير والتبديل أبدا ٠٠٠ كذلك لم يعد يستقر في عمل فهو دائما قلق متوتر متعجل ٠٠ ترى عيانه العيوب بسرعة شديدة فيحتاج ويقاوم بضراوة لا تتناسب مع الموقف ٠٠

لقد أصبح صديقنا خطرا فلهذه الامكانات والذكاء والامانة والتحمس والانسانية والخلق الذي يجعله جذابا لعدد من البشر وفي نفس الوقت كان حادا مدمرا بشكل غير انساني لمن يخالف وجهة نظره ورأيه وقيمه ٠٠ والعالم لا يحتمل الابيض والاسود الآن وانما هو مجموعة من الرماديات المختلفة ٠٠ لذلك فلقد كان مثارا لدهشه المتعاملين معه احدهم اطلقت عليه لقب مصاص الدماء ٠٠ وآخرون كانوا يقولون انه مربع ٠٠ شديد الجاذبية ٠٠ شديد الخطر ٠٠

يا صباح مصر ٠٠ يا صباح مصر ٠٠ الحمد لله على السلامة ياسادة ٠٠ لديكم اليوم اعمال كثيرة ٠٠ التطعيم ٠٠ وعمل بطاقات شخصية ٠٠ والنقاط بعض الصور ٠٠ وتعديل الافرولات لدى الفرزى ٠٠ والحلاقة ٠٠ ومجالس تحقيق الاسر ٠٠ مقابلة المستجوبين ٠٠

هنا أيضا مستجوبون .. وضحكوا جميعا ..

وتحركوا جميعا في نشاط كل منهم يؤدي عملا من الاعمال التي يجب ان ينهوها قبل الخروج الى العالم . وعند الحلاق وجد صديقنا احدهم يحلق .. لم يكن قد قابله من قبل .. سألته .. هل كنت معنا .. اجاب بالايجاب . ولكنى لم ارك من قبل .. ابتسم بمزازه وقال .. لقد اعتبروني جاسوسا .. وليس اسيرا .. ثم استطرد ..

بعد حرب يونبير . . كان هناك تشوين نخيرة ومفرقات قرب رمانة . طلب منه ومن زميل آخر نسف هذه التشوينات .. وتاما بنفسها لدرجة ان الآخرين على الشاطئ البعيد تصوروا ان الصاعقة فجرت قبلة ذرية . بعد ذلك ذهب في دورية تصوير مطار حربى . كان بالملابس المدنية ومعه آلات تصوير .. سلمه المربان للاسرائيليين فاعتبروه جاسوسا .. سجنوه سجنًا انفراديا وزاولوا معه كل انواع التعذيب .. ثم حكموا عليه بالاعدام .. حتى انه كان متخيلا وهو عائد لمصر انه ذاهب لتنفيذ حكم الاعدام .. وهذا هو السبب في تاخر تسليم الاسرى . فاليهود اعتبروه جاسوسا ورفضوا تسليمه والمصريون اصرروا على استلامه ضمن الاسرى .. كان شابا رقيقا وسيما يحب الموسيقى ويعزف على الجيتار ويرقص ويرسم ومن اسيرة معظمها فنانون .. رياضى متحمس بتهور .. ورغم كل ما عاناه كان معتزا بنفسه لدرجة كبيرة فلقد كان يجد سببا مقبولا لديه لتحمله العذاب وبالتالي لا تناقض .. لا تمزق .. ولا يعادى نفسه لقد كان وجها آخر تماما لما يمكن ان يكون عليه شباب مصر عندما يعتنى بتربيتهم وعندما يجدون الهدف الواضح .. . تم عمل مجالس تحقيق اسر لاصدقائنا .. تحقيق صورى واجراءات روتينية .. اين سلاحك ؟ .. كيف وقعت في الاسر ! ! .. لماذا ؟ ؟ .. منع السلامة ..

ثم استجوابه : شاب صغير السن ذو تقاطع حلوة .. يلبس نظارة ريبان ويسوى شاربه الاصفر بعناية ويتكلم بكسل شديد وملل .. اسمك .. عفوانك .. سنك .. رتبك .. ملأت الشيت ؟ ؟ عندك حاجة عايز تقولها ! !

— . . . . .

— آه عارف

— . . . . .

— عارنين احنا الكلام ده .. غيره

- آه .. آه .. احنا كنا متبعينه ..  
 - .. .. ..  
 - اشكرك جدا .. تبقى فكرة معقولة .. اكتبها وهاتالي وارسم  
 خريطة للكيوترات انت مهندس .. عليها التحصينات العسكرية ..  
 - .. .. ..  
 - مش كتبت الحكاية دي خلاص ..  
 - .. .. ..  
 - تفكر يعنى نعمل ايه نشنفهما ..  
 - .. .. ..  
 - مش قلتك كتبتها خلاص .. هل ممكن تتصور اننا نسيب اليهود  
 على الجبهة ونجرب نشوف مين اللي ترك كتبيته ومين اللي حرب ..  
 - .. .. ..  
 - الجيش كله ترك معداته وسلاحه يعنى على معدات كتبية مهندسين ..  
 - .. .. ..  
 - .. .. ..  
 - المهم حاولوا يجنحوك .. ولا لا ...  
 - .. .. ..  
 - والفلس فين طيب سلمها في قيادة المسكر ..  
 - اتغيرنا خالص .. الجهاز كله اتغير ...  
 - .. .. ..  
 - هذا اجراء يجب ان نتبعه انت كويس .. غيرك ممكن يكون جاسوس  
 وتأكد مفيش حاجة حققت معنا .. متشكرين .. تقدر تتفضل ..  
 - .. .. ..  
 - آه .. آه م .. انا عارف .. عارفين احنا كل حاجة .. متشكر ..  
 مع السلامة ..  
 في نهاية اليوم وجد صديقنا من يبحث عنه .. فهناك من يقف  
 في الشارع ينتظره ... جرى في اتجاه سطح الكلية الحربية المطل على  
 شارع جانبي ليجد أمه .. أبوه .. أمه .. أخته .. خالته .. والزعرج ان  
 يكون أول لقاء بينهم بهذه الصورة .. كان يود ان يذفن رأسه في صدر  
 أمه .. ويشعر بتربيته كف والده على ظهره ويقبلهم جميعا يلمسهم بيديه  
 يشم رائحتهم .. يبكي امامهم فيمسحوا دموعه وتعبه وآلامه .. جرى  
 كالجنون يبحث عن وسيلة ليقابلهم وجها لوجه .. ليتحدث معهم عن قرب

٠٠ تناقش مع الضباط والصف ضباط حتى سمحوا بمقابلتهم على البوابة ٠٠

- ازيك يا أبني ٠٠

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- عامل آيه واحشني ٠٠ صحتك وحشه كره ليه ٠

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- عذبوك ٠٠٠

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- كانت بتوصلك جواباتي ٠٠

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- آه

- هل كان معه حقيقتي ثلاثمائة جنيه ٠٠٠

- ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- اخذوها منك ٠٠

- لا احضرتهم ٠٠

- والله كويس ٠٠ تعال سلم على أمك وخالك ٠٠

وطلب منهم صديقنا العودة على أمل لقاء اخر ٠٠ وافهمهم أن ذلك مخالف لتعليمات المعسكر ٠

كان عائدا مفعما بالعواطف ٠٠ لقد أجهضوا اللقاء ٠٠ ولكنها أمه يعرفها جيدا لابد وأنها بكت وقالت ابني على بعد خطوات واحرم منه ٠٠ أم مصريه ٠٠ ذهب ليشكر قائد المعسكر ٠٠ ويسلمه النقود التي معه ٠٠ اخذها الاخر وشكره ٠٠ عندما خرج تذكر أنه لم يأخذ ايصالا فعاد ليجد أحدهم يقص عليه ما حدث على البوابة ويشككه في أن المبلغ الذي سلمه صديقنا غير صحيح ٠٠٠

وكالقشة التي قصمت ظهر البعير انفجر صديقنا ٠٠ هذه اهانة ٠٠ هذه ليست معاملة ٠ تستولون على أسياننا بدون علمنا ٠٠ ثم ترسلون الجواسيس خلفنا ٠٠ وتشكون أيضا في ذمتنا ٠٠

٠ كان الاخر يحاول أن يسكته ٠٠ طيب يا أبني متزعش ٠٠ خلاص متزعش نفسك ٠٠٠

٠ استطرد الاخر ٠٠ لو كان اليهود اخذوها مش كان أفضل ٠٠٠ حاول أكثر من طرف تهديته ٠٠٠ كان يتحرك في المعسكر مستغزا هل هذا جزاؤه ٠٠ المثل هذا الموقف حافظ على النقود ٠٠ وهكذا أصبح صديقنا بعد ذلك يستغفر لاتفه الأثنياء متخيلا أن العالم يجب أن يسير كما يتخيل هو في دقة ٠٠ وانتظام ٠٠ ولا يسمح لأى خطأ الا الاخطاء التي يرتكبها هو ٠٠ وعادة ما تكون مبررة له ٠

زاروا بعد ذلك مقابر الشهداء .. وقف يستمع لنوبة صحيان ..  
ثم تحرك حول المقابر يقرأ أسماء شهداء ٤٨ وشهداء ٥٦ وشهداء اليمين كان  
من الممكن أن تكون هنا رفاته تحت عنوان شهداء ٦٧ .. يجد أم أحد الشهداء  
بملايس الحداد تبكي ابنا لها من شهداء ٥٦ .. أحد عشر عاما ولم تنسى  
.. بسى من أجله .. دمعت عيناه ... وقف بجوارها وربت على رأسها ..  
نظرت له بحب شديد .. وكأنها ترى ابنها يخرج من القبر ...

وأخيرا زارهم الفريق محمد فوزى وزير الحربية والقائد العام جلسوا  
في قاعة واسعة في نفس القاعة تقابلا يوم تخرجه وكان قائدا للكلية الحربية  
.. كان لا يحبّه ولا يرنّاح لطريقة كلامه .. يوم تخرجه قال لهم  
احترموا البذلة التي ترتدونها .. لا تشتر فجلا وطعمية وتحرك بها ..  
ولا تحمل طفلك وأنت ثلثيسها .. واستنضفوا لما تتجوزوا مش تتجوزوا  
واحدة بملاية لف وتمشى معاه بالبذلة .. شعر يومها بالقرب كان يقول  
عنه أن جنون العظمة يقتله .. لذلك فلقد اندحش عندما عرف أنه أصبح وزير  
حربية ما بعد النكسة .. علق أحد الزملاء سيدير الجيش كما لو كان الكلية  
الحربية ١١ .. قال لهم سنشكلون وحدة قتالية من الاسرى .. وشعر بمقص  
في معيته من القرف ما هذا التفكير الرومانسى السخيف .. لقد قالوا لكم انكم  
لن تخدموا في القوات المسلحة وأنا أقول لا بل ستعودون لمواقعكم ثانية ..  
قارن بينه وبين ما قاله موسى ديان .. وشعر بالمرارة والحزن .. لقد قررنا  
أن نمسحكم أجازة شهرا ثم تعودون لعملكم ..

الجو صحو .. وشوارع القاهرة كما هي .. بل أكثر جمالا .. والشمس  
الدافئة القوية تضئ المنازل والشوارع والأشجار .. ارتفعت الفساتين والجرنلات  
فوق الركبة كثيرا شاب يربى شعوه يتدح فتاة مرسله شعرها وتلبس الميكروجيب  
وتقفز في شوارع مصر الجديدة .. إعلانات السينما .. ودلو قبل كل شيء ..  
كل من حوله .. العربية تدخل مدينة نصر وتقف أمام منزلهم .. رصفوا  
الشارع الذى أمامهم أهلة يقفون في البلكونه يلوحون ينفلون لاستقباله ..  
أخته ابنة خالته الوجوه كلها سعيدة وتبيلها الدموع ... الجيران يفتحون  
الشبابيك اصوات الزغاريد تطلقها خالته .. عائد من الموت .. أمه تنقف على  
باب الشقة تحضنه .. صوت صباح « والله واتجمعنا ثانى يا قمر .. »  
والله واتجمعنا واحلو السهر .. الزغاريد تعاود ثانية .. يدخل الحمام ..  
امه تدخل خلفه تريد أن تساعد .. لقد نسى هذا من مدة طويلة ولكن ابنها  
ولد من جديد بيجاما جديدة .. بلوفر جديد .. قميص جديد .. والده يعود  
من عمله .. يحتضنه ويلتفون حوله ...

كنتم يتاكلوا ايه .. ضربوكم .. عذوبك يا بنى .. كنت بتنام ازاي .. وحشقتا .. وتنهال عليه القبلات .. امة تجلس بجواررة تطعمه .. تعرف ما يحب وتضعه في فمه .. كل يا بنى ده انت محروم .. الله يجازيهم ابوه يقول وهو يبكي .. يا بنى تموت مش مهم .. انا وانت وكل شباب ورجال ونساء مصر نذاها .. ولكن في سبيل موقف مش لعب العيال ده .. لو مت في هذه المهزله ليكيك طول عمري ..

كانت لحرب ٦٧ والاسر الاثر الاكبر في شخصية ونفسية صديقنا بعد ذلك اذ ورغم أن هذا شيء لا يمكن ملاحظته لاول وهله كان يحكم- شخصيته عاملان هما افتقار الشعور بالامن والشيء الغريب الذي قد تدهسون له .. الشعور بالنقص .. وكان افتقاده للشعور بالامن يجعله خذرا دائما يضع اليدائل باستمرار لا يثق في أى مخلوق أو أى تصرف على الإطلاق ودائم التغيير لا عواطف له .. جاعنى في يوم يشكو من أن احدى صديقاته اتسارت الى حائط مقابلهم وقالت لو كان هذا الحائط يشعر فستشعر أنت .. واصبح لا يستطيع أن يبقى في مكان واحد لمدة طويلة .. وكان شعوره بالنقص يدفعه لتغطيته بطبقات سمكية من التصرفات والمظاهر .. فيلبس أفضل الملابس ... ويدقق في اختيار الالوان ويتحرك كالتاووس يسب كل شيء وينتقد كل شيء .. يفتق ببذخ وفي بعض الاحيان بأسراف شديد .. وكان يتقنه نفسه كثيرا ويقتنى اللوح والمجلات والنماثيل والاسطوانات الكلاسيكية ويستعرض معلوماته وبشكل مستمر ويتعامل مع الناس بتعال وتقرف شديد .. ولكنك ورغم كل هذا لا تملك الا أن تحبه ..

في المساء كانوا يحتفلون بعودته .. تجمع الاهل والاقارب والاصدقاء والمعارف والجيران .. كل منهم يسلم عليه .. يحضنه .. يسأله .. كانوا يصعدون ضجة شديدة اصواتا عالية .. ضحكات .. وصيوت الاسطوانة المشروخة من كثرة الاستعمال يعلو ولا أحد يستمع اليها .. الطشت تاللى .. الطشت تاللى .. قام بتكاسل .. دخل الى حجرة جانبية .. امسك كوبا من الويسكى ثم جلس على كرسى مريح ماذا ساقته الى كرسى مقابل .. وأخذ ينظر لقطرات الويسكى وهي تتخلل مكعبات الثلج من خلال فاصل ضبابى كونته قطرات الندى المتجمعة على جدران الكوب وضع الكوب بجواره .. اذار اليكوردر وابتدا يستمع الى النفحات

الاولى من كرنشرتو التروبيت لارتليان .. خفت الضجة حوله بعد أن اغلق الباب ليحل محلها الاصوات الكفوية للالات الموسيقية والتي اسلمته للحن خفيف مريح اشاع الخدر في جسده .. ظل يتأهب لمدة .. ثم شرد مركزا عينيه على صورة له مرتديا فيها اللزى المسكرى ..

- فتحت الباب مهدوء وجلس بجواره . ثم ربت على فخذه وغال ...
- يا راجل روق .. ولا تحمل هم .. ده يومك النهارده ..
- لا ... لا ... ولا حاجة ..
- هم عذبوك كثير ..
- لا .. مش قوى ..
- كانوا بياكلو كم - اظن مش قوى - طلط بتقول كانوا بيدوكوا على
- العشاء بصلاية او خياريية او طماطماية ..
- آه فى الاول ..
- علشان كده خاسس .. اظن حتاكل لغاية متعوض اللي فات ..
- اسمع .. اسمع اللحن ده .. ثم ردد مدخله مع الموسيقى ليلفت
- نظره ..
- آه كويس .. انت بتحب الموسيقى ..
- احبها جدا ..
- وياترى كانوا بيسمعوها لكم هناك ..
- احيانا ..
- وشفت اسرائيل طلط بتقول انك زرتها ..
- آه ..
- حلوة اظن حذ من أوروبا .. متقدمة .. ررت ايه !! تل ابيب ..
- لا .. خذ سيجارة محاولا أن يشغله عله يتركه فى حاله او لينسى ..
- اخذ السيجارة وظل يديرها بين أصابعه ثم أمسكها بطريقة
- توحي أنه لا يدخن وانما يعفر أحيانا على حد تعبيره ..
- ونسوانهم حلوة ..
- آه ..
- اتشعل السيجارة ثم دفع دخانها فى الهواء ..
- وكانوا بيدوكوا سجاير طلط بتقول كانت مقرعة ..
- فعلا سميكة ..
- زى البلمونت كده ..
- لا زى السجاير الموى وأسوأ ..
- يا سلام وكنتم بتعملوا ايه ..
- ولا حاجة لم نمت ..
- لكن كان مسموح بهدايا من هنا .. مش كده .. كانوا بيدوكوا
- السجاير ولا سرقة .. وارتفع صوت الكونشرتو فى أنضل وأحب جزء

الى نفسه .. فاعتدل في جلسته ليستوعبه .. ثم قال هذا العمل  
لوسيقيار معاصر .. ومع ذلك من اجمل الالحان التى سمعتها في حياتى ...  
- رد عليه - يا اخى اقفل الدوشه دى .. خلينا نعرف نتكلم ..  
طقطق بشفتيه .. اى اسكت ..

- انت ايه اتجننت .. جرى لك ايه .. هو مفيش حد اتأسر غيرك ..  
في الحرب العالمية الثانية ناس اتأسرت بالثلاث والاربع سنين وفي  
كل حرب الناس بتتأسر ده حتى حظك كويس انك ممتش وعنا قفز من فوق  
الكرسى .. ضغط على اصبع الايقاف للريكود وواجهه قاتلا .. يا سيدى  
العزيز انت لن تفهمنى ابدا .. فانت لم تصل الى شفا الموت .. الى شفا  
الجنون .. ولن تفهم ما معنى الموت وما معنى الجنون .. او حتى ما معنى  
الحياة .. ارجوك اتركنى في حالى ..

كان صديقنا يشعر بالغربة لقد تخيل لليالى طويلة ماذا سيفعل بالقاهرة  
ولكنه وبمجرد وصوله الى منزله .. وجد نفسه يسقط في بئر الفراغ .. امامه  
اختيارات كثيرة وليست لديه القدرة على ان يفعل شئيا غير ان يبقى في  
حجرته يستمع الى الموسيقى ويحاول ان يرم نفسه .. لم يكن ليتكلم  
الا مع والده فلقد كانت هناك رابطة غريبة بينهما كل منهما يشعر انه  
امتداد حقيقى لآخر .. قال له : خرجنا في الشارع زى المجانين مصر ..  
مصر .. كانت المنازل تنحف سكانها الى الحواري فالشوارع .. وامتلات  
الشوارع بالناس بالبيجامات والجلابيب والشباشب رجال .. اطفال ..  
نساء .. شباب .. خرجت انا وخالتك واختك نهتف ناصر .. ناصر ..  
مصر .. مصر .. احسسننا بالهزيمة في هذه اللحظة فقط .. لم يكن من  
اجله .. صدقنى .. كان من اجل بلدنا .. من الذى سيفتود في هذه الازمة  
غيره .. يتخلى عنا في لحظة الضيق .. واطلقت صفارات الانذار لم نهتم ..  
اطلقت الانوار لم نهتم .. اطلقوا المدفعية رقدنا على الارض ثم قمنا ثانية  
ننادى ناصر .. ناصر .. ناصر ...

قالت له وهي تشد الجوزلة الاكثر من قصيرة في محاولة لنفطية جزء  
من مخفيها بعد ان لاحظت نظراته الشريرة لها .. « البلاك كوتس يتقدم  
شويجنن » وقف في وسط الحلقة يراقبها امتدت يدها الى الامام بعنف  
ثم بسرعة الى اعلى والى اسفل واهتزت رأسها الى اليمين واليسار بشدة  
مطلقة في الاتجاه المضاد خيوط شعرها الاسود الطويل الحائر من اهتزازات  
صاحبته المتتالية وقرع جسدها الفارع للأمام والخلف ثم صاحت مع الجموع  
التي تصيح « شامب » كان ينظر الى عينيها المغمضتين واطرافها المتشنجة



الصفرام من شدة الانفعال ويحاول أن يجاوبها ولكن يا للفكرى اللعينة لا تريد أن تبارح خياله ...

دقات الموسيقى العامية تذكره بالفتايل وطلقات الصواريخ ..  
أزيز الاورج يذكركه بالطائرات المنخفضة الساقطة تقذف  
لهيها ..... وحتى هذا السمين الذى يأكل البفتيك يذكرك بالكلاب التى  
كانت تنهش الجثث المضروبة بالنايلم ...

كم تغيرت القاهرة فى هذه الشهور القليلة .. فتحت عينيها لتجده  
مرتبكا وسط الحلقة ابتسمت شجعت بهت اليه يديها بدلال لنفسك بيده  
ويستمر ..

زادت دقات الموسيقى وحشية .. ووصل الانفعال الى قمته .. الاجساد  
تهتز مزات غير متسقة .. كل منهم فى عالمه .. وعلى وجهه احساساته  
الخاصة .. رائحة العطور المستوردة المختلطة برائحة العرق تثيره وابتسم ..  
تذكر زميله الذى لكزه .. وقال له من فضلك قل للزميل الذى امامنا ان يلبس  
حذاءه ووضع اصابعه على أنفه .. من منهم لم تكن رائحته أقز من رائحة عفن  
الموتى المتناثرين فى الصحراء .. زادت الاضاءة وغلب عليها الالوان الحمراء  
والصفراء والبرتقالية .. وارتفعت درجة الحرارة بالصالة وتصيب عرقا ..  
زميلته تنفز .. الجميع يجلسون يقفون .. يصيحون .. كان يجلس معهم ويضع  
يديه فوق رأسه ثقله .. يقلدونها يقفون ثم يجلسون مقرصين واضعين  
أيديهم فوق رؤوسهم يحاول ان يوقف تيار الذكريات .. الموسيقى تتوقف  
ذجة الكل ينظر فى اتجاه الفرقة .. عازف الجيتار اسماعيل الحكيم يتمتم  
بالفرنسية ثم الانجليزية ثم العربية هنا القاهرة الراقصون يرددون صيحته  
بصيحة جماعية ...

كان ينظر حوله فيجد أن كل شيء قد تغير الملابس ألوانها .. العطور  
تسريحات الشعر .. كلها مستوردة .. حتى الثورة والانفعال مستوردان ..  
له حق ابن الحكيم أن يذكرهم أنهم ما يزالون فى القاهرة .. القاهرة المهزومة ..  
تخفت الموسيقى وهدأ .. وياخذ زميلته فى حضنه .. يرقصان ..  
خده يلامس خدها .. وصدرها يخترق صدره .. وساعداها متشبعتان برقبته ..  
وكفاه يعبتان بظهرها .. ويهدأ فى داخل الحضان الانثرى الكتمل .. يهدأ ..  
يهدأ .. يتحرك ببطء .. وينتهى انه .. يتخدر .. ويدمن الخدر ..  
ثم يزيد الجرعة .. مرة تلو الاخرى .. ويفرق .. ويفرق .. ويفرق ..  
منذ ذلك اليوم اعناد صديقنا أن تكون له أكثر من صديقة ليضمن  
مخدره دائما وكانت تغلب عليه لغة الجيش فيقول خط أول وخسط ثانى

واختياطي تكتيكي واختياطي تعبوي واختياطي استراتيجي واختياطي عام ..  
وكان كل مرة يحدث حركة تنقلات لتأخذ كل واحدة مكان الاخرى .. كان  
في البداية مرتبكا ثم أصبح محترفا .. ساء السمعة ومع ذلك لم يكف ابدا  
رغم الالام والعذابات التي سببها للاطراف الاخرى .. كان مثل ضوء مبهر  
.. وكانت الفراشات دائما تقترب من ليحترقن .. كم تغير صديقنا كما  
تغيرت قاهرته ...

وضع اسطوانة السيمفونية التاسعة لبيتهوفن فوق البيكس ثم أدار  
الجهاز .. وتهادت اليه اصوات الشيلوهات وهي تعزف اللحن الرئيسي كان  
جالسا على كرسيه مادا ساقيه للامام في لامباله .. ناظرا الى بخار الماء المتصاعد  
من كوب الشاي الساخن .. وانتهت الحركة الاولى والثانية والثالثة ..  
وابتدأت الحركة الرابعة .. اللحن الاساسي بدأ يتكون ويتكثف أكثر .. الالات  
جميعها تنطلق مرددة للحن واصوات الكورال تأتي متصاعدة .. عندما فتح  
والده الباب مبتهجا وكأنه عاد اليه شبابه .. قال بصوت عال جملته بوقوف  
الاسطوانة ..

- معرفتش ايه اللي حصل .. ثم اكمل دون انتظار لاجابة .. اضرابات  
في الشارع الشباب .. الشباب يا سلام بلدنا لسه فيها الخير .. انا بشيت  
في الاضراب بنفسى رغم شيبتي دى .. وشجعنتهم في الحقيقة وعى مش معقول  
.. كانوا عاملين لجان للمحافظة على النظام حاول بعض الاولاد ضرب عربية  
المطافى منوعهم .. اضراب في مصر فين من خمس عشرة سنة لم يحدث هذا ..  
للسباب مازال فيهم الامل .. اكمل استماعه الى التسجيل .. فلقده خاف عليهم  
منه ومنهم عليه .. ظلت هذه الرغبة تؤرق صديقنا طويلا .. حتى شارك بعد  
ذلك في عديد من المظاهرات والنزوات وكانت اكثرها اثرا في نفسه عندما اعتصم  
الشباب في نهاية ٧٢ وبدايات ٧٣ في صالة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ..  
وذهب لمقابلتهم .. كان يقول ان جر الحرية في هذا المكان في هذا الوقت كان  
يمكنه ان يحرك القلب المريض النهار .. مئات من افضل شبابنا يجلسون معا  
في حوار آخيارى يناقشون كل مشاكل الامة .. ويكتبون مجلات تخرج بالحرية  
والشجاعة يقولون فيها كل ما يخطر على البال وأى شيء حتى ولو كان خطا  
.. ثم يناقشونه ويحمسون .. وايجابية .. ويتفقون ويختلفون .. كانت  
لهم قيادة منهم احتلت المنصة ورغم صغر سنهم الا انهم اداروا حوارا واقيا  
بديموقراطية متقدمة للغاية .. في ذلك اليوم ذهب وفد منهم الى مجلس الشعب  
ليناقش .. والتفقوا معهم على أن يقيموا بيانا لهم في نشرة الاخبار وجاءوا  
ممسكين بعضهم بيد بعض في طابور طويل على جانبي ممرات القاعة من الباب

الخارجى حتى المنصة .. مضطدين بلادى .. بلادى .. بلادى .. لك حنى وفؤادى .. كان يجلس بينهم مستمتعا بجو الحرية .. والحماس .. وتجمعوا حول المنياع .. ولكن خلف مجلس الشعب وعده .. وجلسوا فى حسرة واضعين ايديهم تحت خذوذهم .. بعد فترة كان الامن المركزى ينجع فى الخارج .. ثم هاجم القاعة امسكهم جميعا .. شبانا وشابات فى عمر الزهور ممثلين حماسا وطاقة ووطنية .. يريجون ان يفهموا فقط .. وخرجوا ينشدون اصحى يا مصر .. اصحى يا مصر .. احنا ولادكم احنا اخواتكم احنا .. بنعمل كده علشانكم ..

يوم آخر اعتصم فيه الشباب فى ميدان التحرير .. حول النصب التذكارى الذى اعد فى يوم ما ليحمل الخديوى اسماعيل .. وتوقفت الحركة فى الميدان احتلوه .. كانت لهم بعض الاسئلة والمطالب .. كانوا يبحثون عن الحرية ويحاولون ان يتنفسوا بعد ان طال الاحتلال .. ثم هاجمهم الخيالة فى الفجر وقبضوا عليهم لم يكن صديقنا يتصور بالطبع ان اجتماعات هؤلاء الشباب او منشوراتهم او مظاهراتهم سوف تغير الاوضاع او تحرر سيناء ولكنه كان يأمل ان يوجه هذا الحماس وهذه الايجابية فى اتجاهها الصحيح فلقد اصبح يؤمن بان الديمقراطية والحرية وتعدد الاراء وصراعها هو الامن والامان للمستقبل وان علينا ان نشجعها حتى ولو حدثت اخطاء ..

دعى صديقنا الى قرية صغيرة من قرى الوجه البحرى ليلقى محاضرة وفدوة والتف حوله مجموعة من مثقفى الريف وبعض الفلاحين ومن خلال دخان القرن الذى اشعل لعمل النطير فملأ حشرات المنزل المتواضع دار حوار .. - لكن يا عم محمد لما لا تحلون هذه المشكلة بشكل ذاتى .. يعنى بدلا ما يقطع كل منكم الخمسة كيلو مترات لاضرار المياه .. تذهب مجموعة كل يوم بالدور محطة بعدد من الفناطيس تملأ مياه .. وتفرغها فى فنتاس او اثنين فى وسط القرية تستخدمونه جميعا ..

- يا استاذ لازم الحكومة تدخل .. ايه يعنى لما يمدوا لنا خطا لغاية علشاننا ..

- انت عارف ان الموضوع بالدور وبتحكمه ميزانية محدودة .. ولو ذهبنا لرئيس المدينة وقلنا له عزبة ابو غفار .. حيقول وباقى العزب ..

- وايه يعنى يا استاذ حقتكلف الميه لكل العزب كام الف .. الفين بدل الجنائين واعمده النور والزواق نمد ميه الاول فشرب وبعدين نزوق ..

- ولغايه ميمدوا خطوط حتشربوا مئين .. م تحلوا الموضوع بشكل جماعى

- يا بيه انت متعرفش احنا عايشين ازاى انت فكرك الفلاحين بيحبوا بعض وطيبين ومتعاونين بيقلوا كده فى المدرسة والجرنال .. والنعمة دى ولام اوعى اكلها .. كنا حنقتل بعض على شوية تبين .. العزبة دى ما اذت عارف ملك الدكتور حشاد بتاع الرمد اللى فى البندر وماجر لكل واحد فدان ولا اثنين .. وفى وسط العزبة الشونة اللى قدام سعادتك دى .. قلت اوضيها وادخل التبن جواها وازرع الشبوين دول بينفعوا برضه .. الغيرة اكلت قلوبهم راحوا يشتكونى لصاحب الملك .. تقوم تقولى نملا سوا ... لا يابيه الحكومة تمد لنا الميه ..

- يا عم محمد احنا فى حالة حرب والبلد كلها مشغولة ..

- يعنى يا بيه حالة الحرب على الفلبان اللى زى حلاتى .. ربنا ينصره عبد الناصر وملعون ابوهم اليهود .. قصدى الصهاينة لقتولوا علينا متعصبين لكن برضه نفضل من غير ميه ...

فكرة غريبة سيطرت على عم محمد ان كل من لبس بنطلون وقميص وقم من البندر اصبغ من السلطة .. وعليه ان يخل له مشكلته الشخصية .

عندما يحل الليل يشعر صحنقا بالانقباض فالحبس فى خجرة مغلقة ذات اربعة جدران اصبحت تسبب له ضيقا .. لذلك فلقط طرق ابواب جميع دور المرقن فى القاهرة ولقت نظره ظاهرة غريبة .. ان جميع الافلام المعروضة تقريبا افلام جنسية .. فلنراجعها ان لم تخفى الذاكرة .. سينما مترو فيلم « انفجار » فيلم عن الضياع واغراقه فى اللذة الجنسية سينما رمسيس « الحياة للحياة » فيلم يدعو للانطلاق والحب وتحويل المشاكل العامة والحروب الى تسلية مع الغرق فى اللذة الجنسية .. سينما اوبرا « الحب اقدم مهنة فى التاريخ » فيلم يتجكى قصة وثاريخ الدعارة وتطورها .. سينما كايرو « الزواج وحبوب منع الحمل » ما معنى هذا هل هناك خطة مسبقة لدعوة الشعب المصرى لان يغرق همومة وثورته فى مجموعة الانفعالات الجنسية وماذا كان رد فعل ذلك .. 11 امتلات السينريوهات والملاحى بالشبان والشابات يرقصون اسما ويمارسون الجنس بشكل غريبة .. فى بعض الملاحى شاهد صحنقا من خلال الاضواء الخافتة جدا بعضهم يزوال الجنس .. وانتشرت الدعارة وطوقت شرائح واسعة ومختلفة من الناس .. وهكذا بعد الحروب .. تتجلى جميع الاشياء والقيم .. والافكار .. ولم ينج احد ..

بعد ايام زار صديقنا مندوب من المخابرات الحربية .. ثم اخذه معه فى عربة سوداء طويلة عليها ستائر .. ركب فى الخلف بين رجلين من المخابرات مسلحين وفى الامام كان آخر وسائق ..

- الى أين ..

- لا تعرف ..

- ماذا تريجون ..

- لا نعرف ..

- من الذى امركم بذلك ..

- لا نعرف .. قصمت حتى وصلوا الى مبنى صغير بخل ادهم  
قفل جميع الابواب ثم قاده الى حجرة صغيرة وخرج وقفل الباب خلفه .. الحجرة  
بها سرير صغير ومراة ومنضدة بكرسيين وستائر على الشبابتك المفلقة ..  
الزمن يمر بببطء خمس دقائق .. عشرة .. ربع ساعة .. نصف ساعة  
.. ساعة .. ويخل ادهم يضع امامه مجموعة من الاوراق وقلم هذه  
وثيقه تعارف ارجو ان تملأها بعناية ستحاسب على كل حرف تكتبه .  
ويسأله محاولا تخفيف الموقف بإبتسامة .

- هل تتهمونى بشيء ..

- لا مجرد اجراء روتينى ..

احدهم يدخل حاملا كوبا من الشاي يضعه امامه ويخرج .

يملا الوثيقة وهو يتأملها بعناية بيانات متشعبة ينتهى منها ومن شرب  
الشاي .. ويجلس ينتظر .. يصفر بقمه .. يرقد على السرير .. يعيد قراءة  
الوثيقة .. ينظر الى المرأة ويلعب حوليه وتمضى ساعتان قبل أن يحضر  
احدهم يدعوه لمقابلة الرائد ..

- رجل سمين أبيض الوجه أحمره .. إبتدا الصلح يزحف على شعيره  
المرتب بعناية خليق الذفن راض .. يدخل سيجارة طويلة من علبة .  
علبة سجائر تشبه علب السجائر السويسرية التى اخذوها منهم  
يوم حضورهم .. مازالوا يحفون منها حتى الان .. وأبتسم .

- صباح الخير

- مشغول فى قراءة اوراق امامه .. ثم ينظر له ويبتسم .

- اهلا .. اهلا .. اتفضل يا فندم .. احنا اسلين جدا للتعطيل .

- لا .. لا يهم ..

- آه

- شوف يا فندم .. انت هنا فى بلدك وبين اهلك وموقفك من مخابرات  
العدو يخالف موقفك الان .. نحن نحاول قدر جهدنا ان نستفيد منكم

- وأيضا أن نؤمنكم والان امامك الفرصة الحقيقية لكي تصبح صفحاتك بيضاء •• وهي أن تقول كل ما تعرف •• وكل ما حدث ••
- أنا قلت في الورق اللي كتبناه يوم أن حضرنا •
- أنا قرأته كلمة •• كلمة •• ممكن تقوللي •• أحب اسمع منك ••
- قصصتك •
- أي قصة •
- قصه أسرك •
- كنا كتيبة مهندسين الفرقة
- باختصار من فضلك فين اتاسرت •• •• !!
- قرب مطار المليز •
- أسرتكم دورية إسرائيلية مش كده •
- آه •
- ونقلوكم للمطار •
- آه •
- مين كان معاك ؟
- كتير •• فلان وفلان وفلان
- آه •
- اخذوا منكم حاجتكم مش كده •• انت إيه مشريتش حاجة يا سلام •
- آه الا مائتي جنيه احتفظت بها ••
- يا سلام مائتي جنيه •• ازاي كانوا بتقوع إيه •
- وهنا ابتدا صديقنا يفهم لماذا أحضروه فابتدا يجس النبض
- إيه حاجة غريبة اني أرجع بمائتي جنيه •
- لا •• لا ابتدا لكن أحب أفهم ازاي رجعت بينهم •
- فقص عليه القصة كاملة •• بشهودها •• بتواريخها •• بجميع التفاصيل علق الآخر •
- انت عازف يا فندم لم يحدث في تاريخ المخابرات أن فر منا جاسوس
- لنا قصص كثيرة معهم •• جاسوس كان •• وجاسوس آخر ••
- وجاسوس آخر ورغم كل الاشكال العلمية والتوعية من المخابرات
- الاسرائيلية الا أنهم سقطوا فاهم •
- وهنا غلى الدم في رأس صديقنا واعتبر ذلك اتهاما وتهديدا فرد
- وما دخل هذا بي •• •• !!

- مجرد معلومات عامة يمكن تحب تقول حاجة ثانية .
- مد صديقنا سائيه على الكرسي المقابل واستعد للصراع .. بعد التصريح  
الواضح للآخر فسأله .
- أنت بتشك فيه كام في الميه .
- يفاجأ الآخر ويرد بسرعة
- أنا لا أشك فيك ولكن هذه الاحتياطات لمصلحتك .. ثم يستطرد احنا  
عندنا هنا تسجيل كامل لكل تصرفاتكم أثناء الاسر .
- يبتسم الآخر ويسأل بخبث
- ياه وكيف حصلتم عليها ؟
- يرد الآخر بقباهي
- لنا بالطبع رجالنا هناك .. ويمكن المي كان بيستجوبك هناك منهم .
- ضحك الآخر بصوت عال ورد
- ولكن هذا شيء خطير
- امتنع وأجاب - لماذا ؟؟
- رد الآخر بخبث - لأن بالطريقة دي ما الضمان بأن من يستجوبني الان  
ليس من رجالهم ...
- اصفر وجه الآخر ونظر له بشراسة .
- أكمل ليخفف الموقف - يا فندم التسجيلات التي عند سيادتك انا التي  
حملتها من اسرائيل حتى هنا .. والرائد صفوت سجلها وخاف يحصلها  
كان هذا كافيا لرد كرامته امام رجل المخابرات الذي يشك فيه . ولكنه تمادى .
- المسجائر التي امامك دي كويسه .. طعمها كويس ..
- رد الآخر .
- آه انتفضل .
- لا اصلها سجايري وانتم صادرتموها ..
- رد الآخر .
- احنا آسفين جدا لكن انت منفعل ليه كده .. انا اؤدى واجبي هنا  
.. وكان من الممكن ان تكون انت مكاني واكون انا مكانك .. الموضوع وظيفه  
وخدمة ودور ... وكما ترجو ان تؤدى دورك بصورة جيدة لا تستبعد ان يؤدى  
الآخرون دورهم .. ويجب ان تعطيني الفرصة كاملة لذلك فالمصلحة في النهاية  
مصلحة وطننا .. وعموما انا مقدر ظروفك لكن هل تعلم ان من ضمن خمسائه  
ضابط اسير حاولت المخابرات الاسرائيلية تجنيد حوالى ثلاثمائة وأن عناك

أكثر من مائة ضابط استجابوا لها وجندتهم ولولا اعترافهم لما استطعنا أن نساعدهم .. هل أنت راضٍ الآن ؟؟

قام الآخر وسلم عليه بحرارة محاولا الاعتذار عن لهجته الحادة وقال - ولكن لم يحدث لى هذا .. شكرا .. ؟؟

خرج صديقنا مندعشا .. كيف يحدث هذا .. كيف يجروا انسان ما على دعوة آخر لان يخون بلده .. مجرد دعوة .. فما بالك بأن يستجيب ولماذا لم يدعوه لذلك .. ان هذا يتوقف على مدى الذير وارستقوت الذى حدث للضابط بحيث توجه له مثل هذه الدعوة .

اجتمع بهم بعد ذلك نائب مدير السلاح .. كانوا مجموعة المهندسين المصانعة من الاسير ..

قال - انتم آخر من ترك السلاح .. الذين عشتم التجربة حتى نهايتها ورايتم العدو رأى العين .. ولذلك فسنستفيد من خبرتكم الطويلة .

سأله أحدهم - ما حال الجيش اليوم .

- فى أحسن حال .. بعد الهزيمة حدث انهيار ولكننا عوضنا اليوم أكثر من سبعمين فى المائه من خسائرننا .. وطعمنا صفوفنا بجنود مؤهلات علينا سيعود كل منكم لواجبه فيجرب تغييرا كبيرا .

.....

الفريق مرسى فقط .. وحل محله سياده اللواء جمال محمد على .. والقيادات أصبحت أفضل .

- سيادتك تقول القيادات .. ألم يزل قائد كتيبتى ورئيس عملياته اللذان هربا من المعركة قادة ؟؟

- لا .. لا .. انتم اعصابكم تعبانة .. من قال لك انه لم يحدث تحقيق .

- انا اعرف

- يابنى لا تكن مندعما هكذا كل القيادات هربت .. سلاحنا احسن سلاح .

- ولذلك لا تغفلون ما تم لىبقى سلاحنا احسن سلاح .

- هذا مخالف للواقع .

- اسمح لى انتم القيادات الكبيرة يغطي بعضكم على بعض .

لا .. لازم تعرف انك لسه ضابط وانه يمكن محاسبتك على مثل هذا الكلام ساقدر مدى تعبك ولكن قبل أن تتكلم فكر فى مستقبلك .



— صمت طويل  
— الحمد لله على السلامه أن شاء الله نشوفكم في وخذاتكم قيادات جيدة  
تطور الجيش المصرى وشكرا ٠٠

لا شك ان حرب ٧٣ بعد ذلك كانت حرب سلاح المهندسين فالسلاح هو الذى ابتكر هدم السائر القرايى يوشاشات الماء ٠٠ وهو الذى فتح الثغرات وهو الذى أنشأ الكبارى والمعديات وهو الذى أمن الطرق فى الارض المفتوحة وأزال الألغام ورص الغاما جديدة ولقد حدث هذا من خلال تدريب شاق ٠٠ وكان نائب مدير السلاح له الحق ٠٠ ولكن صديقنا كان مطعون ٠٠ لانه لم يجد أى أذن تصفى له وتفسر شىء هل يمكن أن يهرب قائد من المعركة ويترك رجاله بدون أوامر أو تعليمات ولا يحاسب ٠٠ ولو بشد اخفيه ٠٠ ولقد اعترف بعد ذلك صديقنا ٠٠ ونعم أن صبرة قد نفذ ميكرأ فلم يصمد مع القوات المسلحة حتى تحقق نصر ٧٣ ٠ فلقد كان ومازال لا ترى عينا الا الاخطام ٠٠ ولا يستطيع أن يميز الخيوط البيضاء الرقيقة فى الرقعة المظلمة ٠٠ وهذا حال أغلبنا بعد النكسة فماذا لت ارواحنا محبوسة ٠٠

حملت له سؤالى هذا — الم يحن الوقت الان لى تحرير الارض المحبوسة  
داخلنا ؟

قال : هذا السؤال أوجه لك يصفئك طيبى ٠٠ هل هناك أمل لان  
تتحرر الارض المحبوسة داخلى ؟  
وانا لنقل لكم هذا السؤال أنزائى القراء هل هناك أمل لان تتحرر الارض  
المحبوسة داخلنا منذ ٦٧ ؟

انتهت بعد خمسة أيام من تحرير

الارض المحبوسة فى سيناء

أبريل ١٩٨٣

## المؤلف :

- محمد حسين على يونس
- من مواليد القاهرة ١٩٤٠/٣/٣
- حاصل على بكالوريوس العمارة ١٩٦٢
- عمل بالقوات المسلحة حتى أكتوبر ١٩٧٠
- رائد بالمعاش .

## مؤلفات

- |                  |                                |
|------------------|--------------------------------|
| مجموعة قصص قصيرة | - احاديث عن الفولة             |
| مجموعة قصص قصيره | - طعام لنا بدلا من طعام الاله  |
| مجموعة قصص قصيرة | - جدى الملك الاله              |
| قصة طويلة        | - على شفا الموت على شفا الجنون |
| قصة طويلة        | - اجمل الكلمات لم اقلها بعد    |
| قصة طويلة        | - خطوات على الارض المحبوسة     |

رقم الايداع ٨٣/١٨١٥

**دار المصوت**  
للمطباعة والنشر

امام سفترال الهرم - المطالبيه - جيزة - ت : ٨٥٦٨٢٠

# خصلوات على الأرض المكبوسة

الكتاب الذى بين أيدينا يقدمه مهندس شاب عاش بين صفوف القوات المسلحة المصرية وشارك فى حرب الايام الستة التى عرفت بأيام النكسة ... وهو يقدم من خلال رؤيته الخاصة ومشاركته الفعلية فى الحرب والاسر الكثير مما يراه السبب فى الكارثة التى حلت بالجيش المصرى آنذاك ويتعرض بقلب الوطنى الفيور على مصر شعبه وأمتة لكثير من السلييات التى شابت حرب ٦٧ مستهدفا التبصير بمستقبل أفضل للإنسان المصرى والعربى .

كتب الكتاب بأحاساس شاعر وروح فنان عاش لحظة حرجة فى تاريخ الشعب المصرى وهو أحيانا لفرط حساسيته يسخر من نفسه يعريها ويصلبها ويلفحها بالكرباج حتى تبدو لعينه الحقيقة المخفية تحت جلده

انها لحظة صدق قد تنفق أو تختلف فى تفسير بعض ظواهرها ولكنها فى النهاية حرية الرأى وحرية التعبير بما ينير الطريق الى المستقبل

دار المستقبل العربى

٤١ شارع بيروت . مصر الجديدة

ت / ٦٦٥٩٠٠ القاهرة